JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد السادس/ العدد السابع والعشرون

أيلول – شتنبر 2024.

تنسيق: د. حجوبي سكينة

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير :

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير :

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.

- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.
- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب
- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.

- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
   africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة

المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

–يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل، قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفهـــرس

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	هيئة التحرير	**افتتاحية العدد السادس والعشرون**	10
	المقالات باللغة العربية		
02	طارق أبو الهدى، هدى قصطال، عبد المجيد السامي	خصوصيات التحول الديمغرافي وبروز مشاكل التنمية المحلية حالة المقاطعة الجماعية سيدي مومن -الدار البيضاء	20-11
03	AHMAD GARBA	مشكلة التسرب لدى الأطفال في سن المدرسي في نيجيريا: تحديات وحلول	27-21
04	أحمد سليمان أبكر	المستقبل الجيوسياسي لدول مالي وبوركينافاسو والنيجر ما بين التحرر من النفوذ الفرنسي وسبل حل الأزمات	40-28
05	العلاوي محمد	السياسة الخارجية المغربية و تفاعلاتها الإقليمية و الدولية	41 -58
06	محمد عبد العظيم مصطفي	الفيوم "جمال الطبيعة وعبق التاريخ	74-59
07	عبدالوهاب أمشتال، سعيد عزيوي، محمد السعيدي .	التغايرية المطرية والصبيب المائي لواد سكساوة مابين 1989 و2023، أية علاقة ؟	101-75
08	محمد كندري الروضي، محمد وحدو	أنثروبولوجيا الموسم: الطقوس وتجليات المقدس في موسم قبيلة كندر أنموذجا	113-102
09	عبد الرحمان الناطوس	الجفاف المناخي ودوره في تسريع وتيرة الهجرة بتساوت العليا	130-114
10	إسماعيل الراجي	الأمية ومجالس الجماعات الترابية جماعة الخنيشات، توغيلت، لمرابيح، وجرف الملحة بإقليم سيدي قاسم وفق نتائج اقتراع 08 غشت 2021	148-131
11	خريصي عبد الحكيم	دور وسائل الإعلام المحلي في تدبير الأزمات بالمجال القروي (حالة زلزال الحوز)	159-149
12	جمال ازرن، نورالدين أمعيط	دور صناعة السفن بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط	174-160
13	يوسف المساتي	جوانب من تاريخ فوتاجالون وشعب اليالونكي قبل الحماية الفرنسية	191-195
	المقالات باللغة الفرنسية		
14	Aziz Seghir	Étude de l'évolution de la température dans la région centre-orientale du Maroc (cas du bassin de Guercif) et son lien avec l'activité solaire.	201-192

افتتاحية العدد

تسهم الموارد الطبيعية في أفريقيا بشكل كبير في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. حيث تمتلك القارة ثروات متنوعة تشمل النفط، الغاز الطبيعي، المعادن الثمينة مثل الذهب والألماس، بالإضافة إلى المعادن الصناعية كالحديد والنحاس. توفر هذه الموارد إمكانيات هائلة لدفع عجلة النمو وتحقيق التحول التنموي الذي تطمح إليه الدول الأفريقية.

تزيد الموارد الطبيعية من إيرادات الدول من خلال تصدير المواد الخام، مما يساعد في توفير الأموال اللازمة لتمويل مشاريع التنمية والبنية التحتية. تعتمد دول مثل نيجيريا وأنغولا على تصدير النفط كمصدر أساسي للعائدات، مما يمكنها من تمويل مشاريع في مجالات مثل الصحة والتعليم، وتحسين مستوى معيشة السكان.

تخلق الموارد الطبيعية فرص عمل كثيرة في القطاعات الاستخراجية مثل التعدين والزراعة، مما يقلل من البطالة ويسهم في استقرار المجتمعات. حيث تستفيد دول مثل جنوب أفريقيا وزامبيا من هذه الصناعات لتشغيل آلاف العمال، مما يؤدي إلى تحريك الاقتصاد المحلي وتعزيز رفاهية المجتمعات المحلية.

تعزز الاستثمارات في البنية التحتية استغلال الموارد الطبيعية بشكل فعال، حيث تساعد على تحسين الطرق والموانئ وشبكات الكهرباء التي تعد أساسية لنقل السلع والخدمات. وتستثمر بعض الدول عائداتها في تطوير بنية تحتية قوية تسهل عملية التصدير وتحسن نوعية الحياة للمواطنين، مثل ما قامت به بوتسوانا باستخدام عائدات الألماس.

تسهم الموارد الطبيعية في تعزيز العلاقات الدولية من خلال فتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية، وجذب شركات دولية للتعاون مع الدول الأفريقية. تستفيد القارة من هذه الشراكات التي تساعد على نقل التكنولوجيا وتوفير الخبرات الفنية، مما يسهم في تحسين عمليات استخراج الموارد واستغلالها بكفاءة أكبر.

تواجه أفريقيا تحديات في استغلال مواردها بشكل مستدام، حيث تؤدي الفساد وسوء الإدارة إلى تبديد الثروات بدلًا من استخدامها في التنمية. تعيق النزاعات المسلحة في بعض المناطق استغلال الموارد بشكل فعال، مما يتطلب تبني سياسات رشيدة لضمان توجيه العائدات نحو المشاريع التي تخدم التنمية.

تمكن التكنولوجيا الحديثة والابتكار الدول الأفريقية من تحسين استغلال مواردها بشكل مستدام وتقليل الهدر البيئي. تساهم التقنيات المتقدمة في مجالات مثل التنقيب وإدارة المخلفات في جعل عمليات الاستخراج أكثر كفاءة، كما تدعم التحول نحو الطاقة المتجددة تقليل الاعتماد على الموارد غير المتجددة.

تتيح الموارد الطبيعية لأفريقيا فرصًا هائلة لدفع عجلة التنمية إذا تم استغلالها بشكل فعّال ومستدام.

هيئة التحرير

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

خصوصيات التحول الديمغرافي وبروز مشاكل التنمية المحلية

حالة المقاطعة الجماعية سيدي مومن -الدار البيضاء-

طـارق أبو الهـدى[1] هدى قصطال [2] عبد المجيـد السامـي[3]

1.طالب باحث مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية. Abouelhouda1988@gmail.com
2.طالبة باحثة مختبر الجيومرفولوجية البيئة والمجتمع، كلية الآدب والعلوم الإنسانية مراكش، H.qostal@gmail.com
3.أستاذ في الجغرافيا، مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، abdelessami@yahou.fr

ملخص:

تعتبر المقاطعة الجماعية سيدي مومن مجالا معقداً ومركبا، تتحكم فيه عدة أبعاد زمانية واجتماعية واقتصادية وسياسية وأمنية. إذ يبقى انتشار السكن العشوائي، وارتفاع معدلات الفقر والهشاشة، وتزايد الخصاص في التجهيزات العمومية، من السمات الأساسية التي تواكب توسعه. وبما أن هذا التوسع قد تم في غالبيته دون تخطيط، فقد حمل في ثناياه تحديات ورهانات عديدة سواء على مستوى التهيئة المجالية أو التنمية الترابية، كما نتج عنه خسائر فادحة على مستوى إطار الحياة الحضرية، وراء هذه التحديات تم التوصل إلى حقيقة اجتماعية وهي الضعف الكمي والكيفي للتنمية الترابية مقارنة مع الضغط الديمغرافي الذي يعرفه المجال.

الكلمات المفاتيح: التحول الديمغرافي – التنمية المحلية – الاندماج الحضري

Abstract :

The Sidi Moumen district is one of the neighborhoods in Casablanca considered to be an increasingly complex territorial space determined by multiple factors, including temporal, social, economic, political, and security aspects. Indeed, the spread of informal housing, high rates of poverty and vulnerability, and the growing shortage of public facilities remain among the main challenges accompanying its expansion. This expansion largely occurs without proper planning and presents numerous challenges and issues regarding urban planning and territorial development. This is often manifested through the lack of infrastructure and the poor quality of urban living conditions, highlighting the quantitative and qualitative shortcomings in terms of territorial development due to the demographic pressure faced by this urban area.

- **مقـدمة:**

عرفت المقاطعة الجماعية سيدي مومن نموا ديمغرافيا سريعا، خاصة خلال العقود الأخيرة، مما وضعها أمام مشاكل عديدة ومتراكمة، تمثلت بالأساس في زيادة الطلب على السكن من جهة الشيء الذي نتج عنه إنتشار المجالات السكنية العشوائية والصفيحية، وزيادة الضغط على المرافق العمومية والخدماتية بمختلف أصنافها من جهة ثانية، مما كان له إنعكاسات سلبية على مستوى إطار الحياة الحضرية بسيدي مومن، وبروز إشكاليات كبرى ترتبط بالإندماج الحضري

والتنمية البشرية والإجتماعية، بالإضافة إلى انتشار مشاكل التطهير وضعف التجهيزات العمومية وما يثيره تدهور الوسط البيئي من مشاكل صحية.[1]

- **إشكالية البحث:**

تندرج إشكالية هذا البحث حول دراسة العلاقة بين النمو الديمغرافي السريع الذي يعرفه المجال المدروس وواقع التنمية المحلية، أي أن السؤال الإشكالي الذي يشغلنا في هذا البحث هو **ما أثر النمو السكاني الكبير على التنمية المحلية بالمنطقة؟**

- **أهداف البحث:**

يتمحور موضوع هذا البحث في الدراسة العلاقة بين التحولات الديمغرافية التي عرفها المجال المدروس وواقع التنمية المحلية، وتحقيق هذا الهدف رهين بتحقيق الأهداف التالية:

- **الوقوف على طبيعة النمو الديمغرافي بسيدي مومن.**
- **ابراز خصائص التوسع المجالي.**
- **إبراز التداعيات السكانية والمجالية على التنمية المحلية.**

- **مجـال الدراسـة:**

تقع المقاطعة الجماعية سيدي مومن بالشمال الشرقي لمدينة الدار البيضاء، وبالضبط فوق تراب عمالة مقاطعات سيدي البرنوصي، إذ تشغل مساحة تقدر بحوالي 32 كيلو متر مربع، وتبعد على مركز المدينة بحوالي 11 كيلومتر. ومن أجل تحديد دقيق لمجال الدراسة تم توطين موقع المقاطعة على المستوى الوطني، وكذا على المستوى الجهوي، وضمن مدينة الدار البيضاء، كما هو مبين من خلال الخريطة التالية:

[1] - الملتقى الثاني الوطني لجغرافيي المدن، "النظم الحضرية وإنتاج المجال المديني بالمغرب، يومي27 و28 يناير1995، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء ص 103.

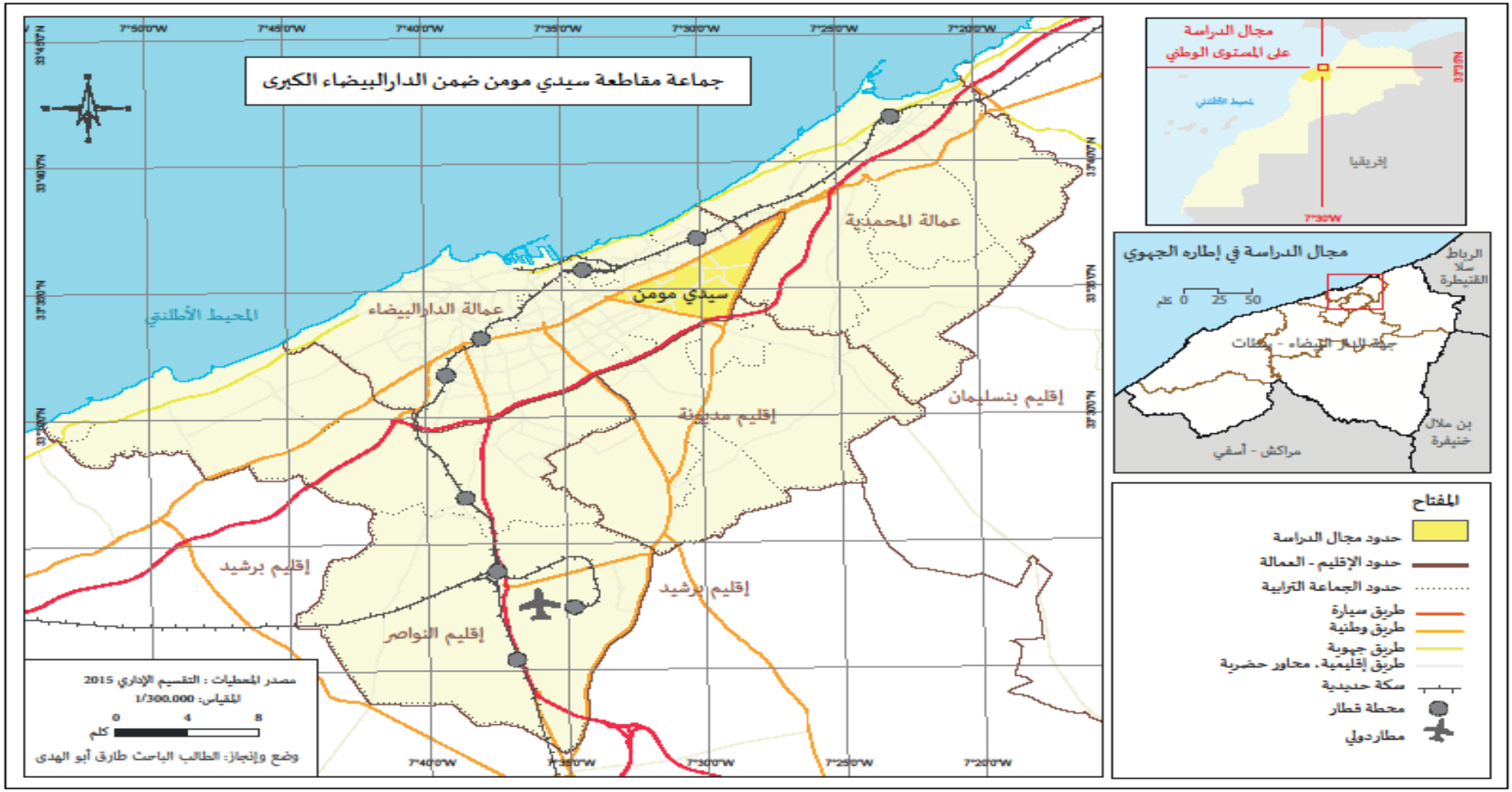
جماعة مقاطعة سيدي مومن ضمن الدارالبيضاء الكبرى
المحيط الأطلنتي
عمالة الدارالبيضاء
سيدي مومن
عمالة المحمدية
إقليم مديونة
إقليم بنسليمان
إقليم برشيد
إقليم النواصر
مصدر المعطيات : التقسيم الإداري 2015
المقياس: 1/300.000
0 4 8
كلم
وضع وإنجاز: الطالب الباحث طارق أبو الهدى
مجال الدراسة على المستوى الوطني
مجال الدراسة في إطاره الجهوي
الرباط سلا القنيطرة
بن ملال خنيفرة
مراكش - أسفي
المفتاح
حدود مجال الدراسة
حدود الإقليم - العمالة
حدود الجماعة الترابية
طريق سيارة
طريق وطنية
طريق جهوية
طريق إقليمية، محاور حضرية
سكة حديدية
محطة قطار
مطار دولي

I. انفجار ديمغرافي وامتداد مجالي سريع وغير منتظم:

1. النمو الديمغرافي ارتفاع الوثيرة خلال العقود الأخيرة:

عرفت جماعة سيدي مومن (سابقا) التي أحدثت سنة 1983، إزديادا ملحوظا في عدد سكانها، إذ وصل عدد السكان حسب أول إحصاء رسمي يشمل جماعة سيدي مومن بعد إحداثها، إلى حوالي 107825 نسمة سنة 1994.

الجدول رقم 01: المؤشرات السكانية بسيدي مومن سنة 1994.

	عدد السكان المغاربة	عدد السكان الأجانب	المجموع	عدد الأسر
سيدي مومن	107786	39	107825	17815

REF : Bulletin Officiel. Royaume du Maroc. 5 juillet 1995.p nr 11.

ومع تزايد وثيرة الهجرة القروية والداخلية، وإنتشار المشاريع السكنية بالمنطقة خلال بداية الألفية الثانية، كان من الطبيعي أن تعرف المقاطعة الجماعية سيدي مومن نموا ديمغرافيا متسارعا، حيث إنتقل عدد سكان المقاطعة من 107825 نسمة سنة 1994، إلى 288677 نسمة سنة 2004، مسجلة بذلك أعلى نسبة نمو سكاني داخل مدينة الدار البيضاء بنسبة 7.9 في المائة، وبكثافة سكانية وصلت إلى 10980 نسمة في الكيلومتر مربع.[2]

يرجع هذا النمو الديمغرافي السريع خلال هذه الفترة إلى عدة عوامل، فبالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته الهجرة القروية والداخلية، وإنتشار المشاريع السكنية خاصة السكن الإجتماعي، ساهم أيضا في هذا النمو الديمغرافي المهم، التطورات الإدارية التي عرفتها المنطقة، حيث رافق تحويل سيدي مومن سنة 2003 من جماعة حضرية إلى مقاطعة جماعية، توسيع دائرة نفوذها الترابي لتشمل جماعة أهل الغلام القروية، والتي كانت بدورها تضم العديد من الدواوير ذات كثافة سكانية عالية مثل (دوار مزاب، بيترا 1، بيترا 2، أهل الغلام...).

هذا النمو الديمغرافي سيتواصل خلال السنوات الأخيرة، بوثيرة متسارعة، إذ بلغ عدد سكان سيدي مومن حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 ما مجموعه 454779 نسمة، وذلك بعدما لم يكن يتجاوز حسب إحصاء سنة 2004 نسبة 288677 نسمة، أي بزيادة وصلت إلى 166102نسمة، وبنسبة تزايد وصلت إلى 4,63 في المائة، وهي نسبة تفوق بكثير معدل التزايد بمدينة الدار البيضاء الذي لا يتجاوز 1,3 في المائة.

[2] المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2004.

الجدول رقم 02: التطور السكاني بسيدي مومن ما بين سنتي 2004 و2014.

2004		2014		نسبة التزايد السكاني
عدد الأسر	عدد السكان	عدد الأسر	عدد السكان	
58029	288677	103310	454779	4,63

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004 و2014.

يتضح من خلال معطيات الجدول أعلاه، أن المقاطعة الجماعية سيدي مومن قد عرفت نموا ديمغرافيا مهما، حيث وصلت نسبة التزايد السكاني خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 2004 و2014 إلى 4,63 في المائة، كما انتقل عدد الأسر خلال نفس الفترة من 58029 أسرة سنة 2004، إلى 103310 أسرة سنة 2014، مما يعكس التطور المستمر في عدد سكان المقاطعة خلال السنوات الأخيرة بالرغم من تباطؤ وثيرة النمو الديمغرافي بمدينة الدار البيضاء، إذ أصبحت تضم أكبر تجمع سكاني بالعاصمة الاقتصادية.

2. امتداد مجالي سريع وغير منتظم:

إن غياب التخطيط القبلي لإنتاج المجال، جعل حركة التمدين خاضعة للتزايد الطبيعي والهجرة القروية المتوالية، وبالتالي شكلت ظاهرة السكن الغير قانوني (صفيحي، سري)، أهم السمات التي ميزت المرحلة الأولى من التعمير بسيدي مومن، ما جعله الآن يشكل جزءا مهما من النسيج العمراني للمقاطعة، بامتداده المجالي، وكثافته السكانية، واختلاله العمراني، وضعفه الإقتصادي، وعوزه الإجتماعي، وخطره البيئي، وتهديده الأمني.

هذا الإمتداد المجالي المفرط، تواصل بشكل أسرع مع ظهور التجزئات السكنية الخاضعة لقانون البناء والتعمير، وذلك من خلال الإنتشار السرطاني لمشاريع السكن الإجتماعي والإقتصادي، بحيث أن الإستجابة الحتمية لعجز المقاطعات المركزية، عزز الوظيفة السكنية بسيدي مومن، وغير من جلدها العمراني ولو بشكل نسبي، كما قلل من وعائها العقاري بفعل الإستغلال المفرط للمجال من طرف المنعشين العقارين العموميين والخواص. مما ساهم في تطور المجال المبني بشكل سريع خاصة خلال العقود الأخيرة، كما هو مبين من خلال الخريطة التالية:

خريطة رقم 9: تطور المجال المبني بمدينة الدار البيضاء الكبرى ما بين 1942 و2022

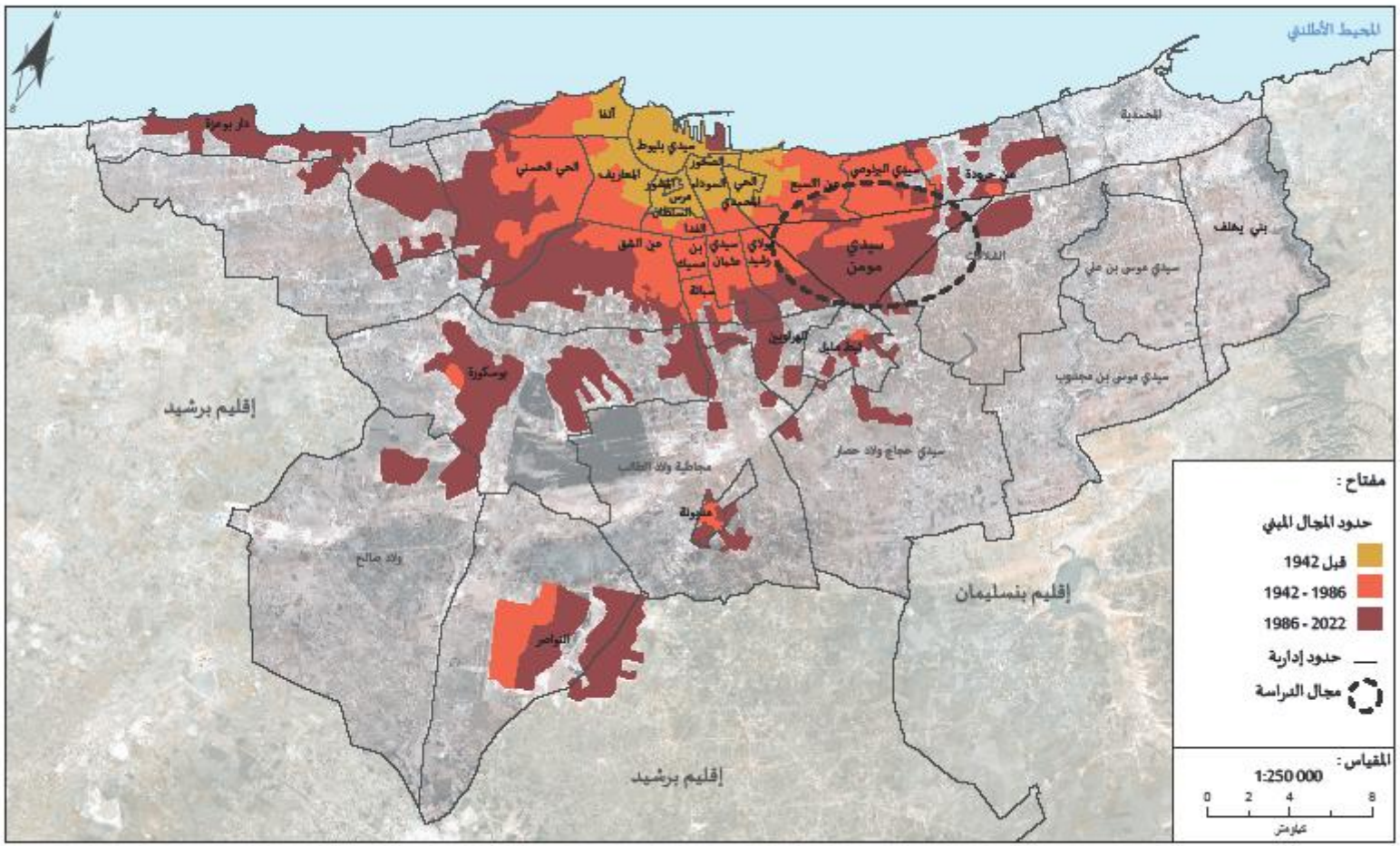

المصدر: التصميم التوجيهي للتهيئة العمرانية، 2006 - صور القمر الصناعي لاندسات، 1986 - 2022

وضع وإنجاز: طارق أبو الهدى

يظهر من خلال معاينة محتويات مراحل تطور رقعة التمدين المحددة للمجال الحضري للمقاطعة الجماعية سيدي مومن، أن هذه الأخيرة حديثة التعمير. حيث شهدت المشاريع المرخص لها بالبناء، وثيرة متسارعة خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1986 و2022، مما يفسر سرعة الدينامية الحضرية التي عرفها المجال المدروس، والتي كانت مرفوقة بتمدين متسارع مقارنة مع باقي المقاطعات الحضرية الأخرى المشكلة للعاصمة الاقتصادية.

II. نتائج النمو السكاني السريع على و اقع التنمية المحلية بسيدي مومن:

1. تز ايد في الطلب على التجهيزات العمومية:

تعتبر التجهيزات العمومية، عنصرا من عناصر قياس التنمية الترابية، وآلية من آليات رفع التهميش وفك العزلة، إذ تشكل عاملا أساسيا في تنظيم المجال وتنميته، كما تعد بمثابة مرآة تعكس المستوى المعيشي للسكان الذين يعيشون فيه، وفي هذا الإطار، تشكل المقاطعة الجماعية سيدي مومن، نموذجا للمجالات الهامشية التي تعرف نقصا كبيرا في المراكز الصحية، والتي على قلتها، لا تشمل مختلف الإختصاصات ومستويات التطبيب، ولا ترقى إلى مستوى التغطية الشاملة لحاجيات السكان، نظرا للتزايد الديمغرافي الكبير الذي تعرفه المقاطعة، والذي يزيد من صعوبة الولوج إلى الخدمات الصحية، كما يتضح من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 01: المرافق الصحية العمومية بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن.

المر افق الصحية	العدد
المستشفيات	01
المراكز الصحية	07
المراكز المرجعية للتخطيط العائلي	01
المراكز المرجعية المتخصصة في داء السل	01
مصالح المستعجلات	00

المصدر: منوغرافية المقاطعة الجماعية سيدي مومن سنة 2020.

يتضح من خلال الجرد الرسمي للمرافق الصحية بالجدول أعلاه، أن العرض الصحي بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن، يبقى محدودا ولا يرقى إلى مستويات التغطية الشاملة لحاجيات السكان. كما أنه لا يشمل مختلف الإختصاصات ومستويات التطبيب، إذ يظهر جليا أن هناك نقص كبير في عدد المراكز الصحية والرعاية الطبية، مقارنة مع النمو الديمغرافي الكبير الذي يعرفه المجال، حيث يبقى هذا القطاع ضعيفا وفقا للمعطيات الميدانية التي تأكد تواجد مستشفى واحد طاقته الإستيعابية لا تتجاوز 45 سريرا، لإجمالي عدد السكان وصل حسب الإحصاء الرسمي الأخير 454429 نسمة، أي بمعدل سرير واحد لكل 10000 نسمة. مما جعله غير قادر على تلبية إحتياجات الساكنة المحلية، ويجبر الأطر الطبية على إحالة عدد كبير من المرضى إلى المستشفيات الأخرى المتواجدة بالمدينة.

من جهة أخرى، يعرف العرض المدرسي بدوره نقص كبير في مجال يعرف نموا ديمغرافيا سريعا، وتزايدا في إجمالي عدد الأطفال والشباب الذين هم في سن التمدرس كما هو مبين من خلال المعطيات الرسمية المتوفرة:

الجدول رقم 02: العرض المدرسي بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن

القطاع	المستوى التعليمي	عدد المؤسسات	عدد التلاميذ
العام	الابتدائي	35	34845
	الإعدادي	17	23114
	الثانوي	09	9431
الخاص	الابتدائي	31	6854
	الإعدادي	06	1682
	الثانوي	02	104

المصدر: منوغرافية المقاطعة الجماعية سيدي مومن سنة 2020.

نخلص من خلال الجدول أعلاه، أن هناك نقص كبير في العرض المدرسي العمومي مقارنة مع عدد الأطفال والشباب الذين هم في سن التمدرس. بحيث وإلى حدود سنة 2014، لم يكن يتعدى عدد المدارس الإبتدائية العمومية بسيدي مومن 35 مدرسة، تضم ما مجموعه 34845 تلميذ وتلميذة، موزعة على مساحة تقدر بحوالي 32 كيلو متر مربع، ما يطرح مشكل الإكتظاظ بالأقسام الدراسية، بحيث يفوق عدد التلاميذ في الغالب بالحجرة الدراسية 40 تلميذ وتلميذة، بل وصل مشكل الاكتظاظ سنة 2015 إلى حدود رفض إحدى المدارس تسجيل الأطفال السنة الأولى ابتدائي، ما دفع بآباء وأولياء أمور الأطفال إلى حد الإحتجاج أمام المؤسسة التعليمية.

وبالإضافة إلى مشكل الإكتظاظ بالمؤسسات الإبتدائية، نجد شريحة كبيرة من الساكنة وخاصة القاطنة بدور الصفيح، تعاني من مشكل البعد من هذه المدارس، الشيء الذي يزيد من متاعب الآباء وخاصة الأمهات الذين يضطرون إلى مرافقة أبنائهم إلى مؤسساتهم التعليمية.

وفي نفس السياق، يزيد تقلص العرض المدرسي بالنسبة للمستوى التعليمي الإعدادي، بحيث أن عدد المؤسسات لا يتجاوز 17 مؤسسة تحتض ما مجموعه 23114 تلميذ وتلميذة، فيما تشهد مؤسسات المستوى الثانوي التأهيلي نقصا ملحوظا بحيث لا يتجاوز عددها 9 مؤسسات فقط، مما يؤثر على نسبة المتمدرسين ويزيد من مشكل الإكتظاظ بالأقسام الدراسية، خصوصا في ظل تزايد السكاني والسكني بسيدي مومن.

2. ارتفاع مؤشرات الفقرومعدلات البطالة:

إن من أهم نتائج التوافد البشري المهم الذي عرفه المجال المدروس، تتجلى في إنتشار مظاهر الفقر والتهميش، هذا المعطى الذي زاد من حدته إرتفاع معدلات البطالة بين القوى العاملة، حيث وصل مجموع نسبة السكان العاطلين بسيدي مومن حسب الإحصاء العام لسكان والسكنى لسنة 2014 إلى حوالي 18.8 في المائة، وهي نسبة تفوق المعدل الوطني، الذي لم يتجاوز خلال نفس السنة نسبة 16,2 في المائة، كما هو مبين من خلال المبيان التالي:

المبيان رقم 01: معدل البطالة بسيدي مومن مقارنة بالمعدل الوطني سنة 2014.

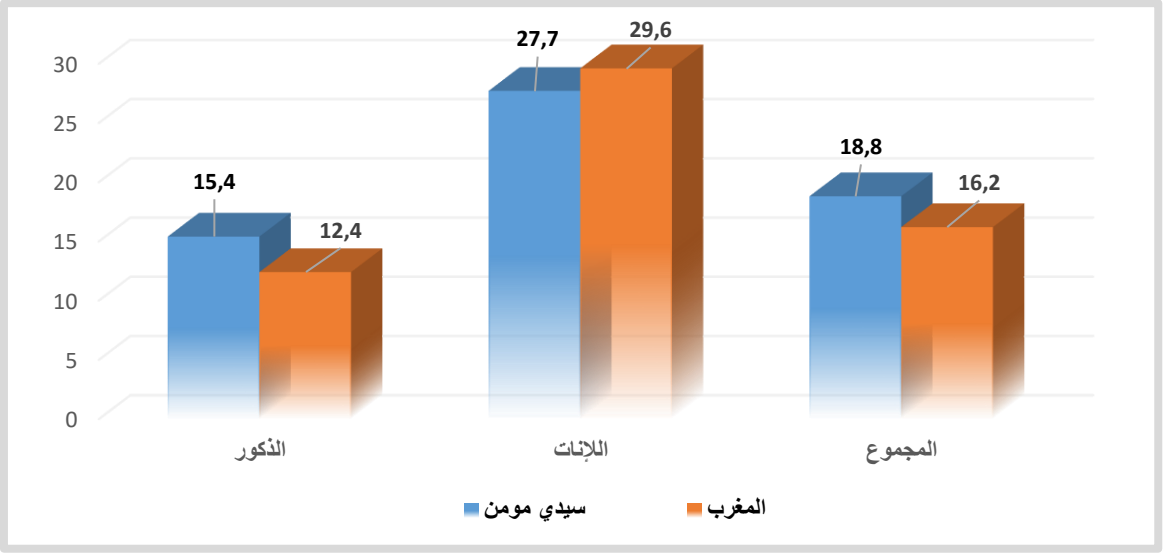

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط: الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014

كما تبين معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 المدرجة بالمبيان أعلاه، أن المقاطعة الجماعية سيدي مومن تعرف إرتفاعا كبيرا في مجموع معدل البطالة مقارنة مع المعدل الوطني، حيث وصلت نسبة البطالة بين الذكور بسيدي مومن سنة 2014 إلى حوالي 15,4 في المائة، فيما لم تتجاوز بالمغرب نسبة 12,4 في المائة، ووصلت نسبة البطالة بين الإناث بسيدي مومن إلى 27,7 في المائة، في حين بلغت بالمغرب حوالي 29,6 في المائة.

ويرجع هذا الإرتفاع الكبير في معدلات البطالة، بين السكان النشيطين بسيدي مومن إلى مجموعة من العوامل، منها ما هو ديمغرافي، كإرتفاع عدد السكان، خاصة بين فئة الشباب، ومنها ما هو إقتصادي كغياب فرص الشغل، خاصة بالنسبة لليد العاملة الغير مؤهلة، والتي تشكل نسبة كبيرة من اليد العاملة المتواجدة بسيدي مومن نظرا لعامل الهجرة القروية، ومنها ما هو إجتماعي كإرتفاع ظاهرة الهدر المدرسي، والتعاطي للمخدرات، خاصة بين فئة الشباب، مما يشكل مظهرا آخر من مظاهر الإقصاء بهذا الحي الهامشي.

3. انتشار المجالات السكنية العشوائية والصفيحية:

ظهر السكن الغير قانوني بسيدي مومن خلال الفترة الأخيرة من الإستعمار، وعرف إنتشارا واسعا في عهد الإستقلال، خصوصا مع بداية التسعينات. حيث شكلت المنطقة خلال هذه الفترة، ملاذا للسكان القرويين النازحين من مختلف البوادي المغربية، خاصة الراغبين في الاستقرار بالسكن الغير قانوني، سواء السري (سيدي مومن القديم) أوالصفيحي (طوما، الرحامنة، السكويلة، زرابة...)، ومع بداية الألفية الثانية، وبالضبط سنة 2003، تزايد عدد الأحياء الغير قانونية بالمقاطعة الجماعية سيدي مومن بفعل توسع مدارها الحضري ليشمل أحياء صفيحية كانت عبارة عن دواوير تابعة ترابيا للجماعة القروية أهل الغلام مثل (دوار مزاب، وأهل الغلام)، ما جعل السكن الغير قانوني يشكل جزءا أساسيا ضمن النسيج الحضري للمقاطعة، خاصة السكن الصفيحي الذي يمثل نسبة مهمة من مجموع السكن المشيد فوق تراب المقاطعة كما هو مبين من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 12: معطيات حول السكن الصفيحي بعمالة سيدي البرنوصي قبل سنة 2014.

	عدد الدواوير	عدد البراريك	نسبة السكن الصفيحي مع باقي السكن بالمائة
مقاطعة سيدي مومن	33	24488	39
مقاطعة سيدي البرنوصي	13	2018	06
مجموع العمالة	46	26506	27

المصدر: عمالة سيدي البرنوصي، قسم التعمير سنة 2021

نلاحظ من خلال معطيات الجدول أعلاه، أن المقاطعة الجماعية سيدي مومن كانت تعرف إنتشارا كبيرا للأحياء الصفيحية، إذ إلا حدود سنة 2014 كانت تضم ما مجموعه 24488 سكن صفيحي موزعة على 33 دوار، أي بنسبة تصل إلى حوالي 39 في المائة من مجموع أنواع السكن المشيدة فوق تراب المقاطعة، في حين نجد أن هذه النسبة في بعض المقاطعات المجاورة كسيدي البرنوصي لا تتجاوز 6 في المائة. مما يسمح لنا بالقول على أن النسيج العمراني للمجال المدروس يتشكل في جزء مهم منه من هذا النوع من السكن.

- **خاتمة:**

أفضى التزايد الطبيعي السريع ونزوح نسبة مهمة من المهاجرين القرويين بالمجال المدروس، إلى العديد من التحديات المجالية والإجتماعية، لعل أبرزها ما لم يعطى له القدر الكافي من الإهتمام والتخطيط، وهو التوسع أو "الإختناق" المجالي، وانتشار مختلف أنواع السكن الغير قانوني، كما نتج عن هذا النمو الديمغرافي الكبير خسائر فادحة على مستوى إطار الحياة الحضرية، وذلك من خلال إنتشار مظاهر الإقصاء والتهميش الإجتماعي (الفقر، العزلة، الانحراف...)، وزيادة الطلب على المرافق والتجهيزات العمومية (المراكز الصحية، المؤسسات التعليمية...) وتدهور البيئة الحضرية (انتشار النفايات الصلبة والسائلة). هذه التحولات تحيلنا على تأكيد نظرية الباحث الإنجليزي **توماس روبرت مالتوس** التي تقوم على ان **النمو السكاني من شأنه أن يخفض من مستوى المعيشة مما يؤدي إلى خلق مشاكل في المجتمع، مثل: المرض، والمجاعة، والحرب**...

- **لائحة المراجع والمو اقع:**

- الشويكي مصطفى "تدبير المجال الحضري بالدار البيضاء: الرهانات والميكانزمات" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 85، الطبعة الأولى 2000.
- الشويكي مصطفى "إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء" جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الجغرافية، الرباط 1994
- الملتقى الثاني الوطني لجغرافيي المدن، "النظم الحضرية وإنتاج المجال المديني بالمغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء يومي27 و28 يناير1995.
- منوغرافية المقاطعة الجماعية سيدي مومن سنة 2020.
- عمالة سيدي البرنوصي، قسم التعمير سنة 2021
- المندوبية السامية للتخطيط: الإحصاء العام للسكان والسكنى سنوات 2004و2014.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

مشكلة التسرب لدى الأطفال في سن المدرسي في نيجيريا: تحديات وحلول

THE MENACE OF OUT- OF- SCHOOL CHILDREN IN NIGERIA: CHALLENGES AND SOLUTIONS

AHMAD GARBA
Phone +234 07030215179
ORCID:0000-0001-8757-8056
جامعة الفدرالية بكاشيري، ولاية غومبي-نيجيريا
قسم الآداب والعلوم الاجتماعية والتربية، كلية التربية
Federal University of Kashere, Gombe State Nigeria
Department of Arts and Social Science Education
Ahmadgarba315@gmail.com

مستخلص البحث

التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان، ويحتل المركز الرابع من بين أهداف التنمية المستدامة، فقد أدى التركيز المتزايد في الآونة الأخيرة على هدف تحقيق التعليم للجميع من خلال الجهود المبتكرة التي تؤثر على حياة الأطفال، ثم تساعد البلوغ إلى الجهود الرامية التي هي ازدياد على معدلات المشاركة في المدارس الابتدائية، وخاصة في حالة الفتيات اللاتي يمثلن أكثر من نصف جميع الأطفال غير ملتحقين بالمدارس، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الحكومات والوكالات المانحة، فإن التوقعات التعليمية في نيجيريا لم تسفر عن النتائج المرجوة، لقد أظهرت العديد من الدراسات والوثائق والتقارير والأدبيات المختلفة أن نيجيريا لديها أكثر من عشرة مليون طفلا خارج المدرسة حسب التقرير الموجودة من وزارة التربية والتعليم في شهر يناير 2022م تقريبًا، وقد ظلت دولة نيجيريا من بين الدول التي لديها أعلى معدلات الأطفال غير الملتحقين بالمدارس. وعلى هذا الأساس، تهدف هذه الورقة تسليط الضوء على مخاطر الأطفال خارج المدرسة وتقييم دور الأسرة والحكومة والوكالات المانحة ووسائل الإعلام في الحد من ظاهرة الأطفال خارج المدرسة، وترى هذه الدراسة أن بعض الجهود التي تبذلها الحكومات والوكالات المانحة للقضاء على التحدي المتمثل لدى الأطفال غير الملتحقين بالمدارس هي كرم زائف أحيانا، وتوصي الورقة على استخدام المنشورات والملصقات والإذاعة المجتمعية باعتبارها القنوات الأكثر كفاءة لتنوير ونشر المعلومات حول أهمية التعليم الرسمي وكما تشير إلى أن هذه الظاهرة تتطلب برنامجًا مدروسًا ومستدامًا من قبل الحكومة والجهات المانحة المختلفة بحيث تلعب فيها وسائل الإعلام دوراً حاسماً.

الكلمات المفتاحية: خارج المدرسة، وكالات المانحة، فقر، وسائل الإعلام، تعليم.

ABSTRACT

Education is a crucial human right, occupying the fourth place in the Sustainable Development Goals. Despite efforts by governments and donor agencies, Nigeria's educational expectations have not yielded the desired results. With approximately 10.5 million children out-of-school as of January 2022, Nigeria remains among the nations with the highest rates of out-of-school

children. Because several studies such as surveys, document analysis, and a critical review of extant literature have shown that, this study seeks to highlight the dangers of out-of-school children and evaluate the role of the family, government, donor agencies, and media in curtailing the menace of out-of-school children. The study argues that sometimes efforts of governments and donor agencies to eradicate the challenge of out-of-school children are, at best, false generosity and highlights media strategies that are critical towards increasing the enrolment of children in schools. The study goes further to identify the significance of handbills, posters, and community radio as the most efficient channels for disseminating information about the importance of formal education and equally concludes that achieving optimal school enrolment in Nigeria requires a deliberate and sustained program by the government and diverse donor agencies in which the media has a crucial role to play.

Keywords: out-of-school, donor agencies, poverty, media, education.

مقدمة

اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في عام 2015م خطة التنمية المستدامة لعام 2030م التي تحدد مخططًا لمواجهة التحديات العالمية عبر مجموعة واسعة من المواضيع بما في ذلك الفقر والصحة والتعليم وعدم المساواة وتغير المناخ والتدهور البيئي والسلام والعدالة. يسعى الهدف "4" من خطة التنمية المستدامة لعام 2030م، للأمم المتحدة، إلى ضمان التعليم الجيد الشامل وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع. وللأسف لا يزال هناك ما يقرب من 263 مليون طفل خارج المدرسة في جميع أنحاء العالم، يشمل هذا العدد الأطفال الذين لم يبدأوا التعليم الرسمي قط والأطفال الذين بدأوا المدرسة ولكنهم تركوا المدرسة لاحقًا (UNESCO, 2016.). يعد العدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس لبلدان منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، بما في ذلك نيجيريا. وذلك لأن أكثر من نصف الأطفال على مستوى العالم الذين لم يلتحقوا بالمدارس يعيشون في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا، وأكثر من 85 في المائة من الأطفال في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا لا يتعلمون الحد الأدنى (UNESCO, 2018 & WORLD BANK, 2019.) وعلاوة على ذلك، فإن التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان، ومحرك بالغ الأهمية للتقدم الاقتصادي وأداة قوية للحد من الفقر. ومن ثم، لا ينبغي حرمان أي طفل في سن المدرسة من الوصول إلى التعليم الجيد، وفرصة اكتساب المهارات التي تضمن قابلية التوظيف في المستقبل والكسب على المدى الطويل. وفي السياق النيجيري، ينتشر الأطفال خارج المدرسة في كل من المناطق الريفية والحضرية، ولكن المناطق الريفية والمناطق المعزولة تفوقت عددها بشكل كبير، حيث تظهر باستمرار أعدادًا أكبر من الأطفال غير الملتحقين بالمدارس (WORLD BANK, 2019) وينتشر هؤلاء الأطفال في جميع أنحاء البلاد بنسب متفاوتة. هذا الوضع يثير قلق الحكومة الفيدرالية النيجيرية كما هو مذكور في الخطة الوزارية للتعليم في نيجيريا (2018م-2020م) والتي تحدد عدة استراتيجيات تهدف إلى إعادة الأطفال إلى المدرسة. وعلى الرغم من هذه الاستراتيجيات، لا يزال عدد الأطفال خارج المنزل مرتفعًا بشكل ملحوظ(Mukhtar, M., et al Pp 80). تهدف هذه الخطة إلى تقديم نظرة عامة على أحدث البيانات حول الأطفال خارج المدرسة في نيجيريا، بما في ذلك البيانات التفصيلية حسب المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المؤشرات الديموغرافية. وسيتبع ذلك اقتراحات للتدخلات المحتملة، وأهمها برنامج التعليم المعجل (AEP)، والتدخلات الأخرى التي يمكن أن تعمل على تعزيز الاستراتيجيات الحالية الموضوعة من قبل الحكومة في معالجة مشكلة الأطفال خارج المنزل في نيجيريا.

الحكومة النيجيرية والتسرب الأطفال عن المدرسة

على الرغم من الإعلان الرسمي عن التعليم المجاني والإلزامي، فإن الحقيقة المحزنة هي أن عدداً كبيراً من الطلاب محرومون من التعليم الرسمي. وبمكان رفع مستوى الوعي بين الآباء والمجتمع حول أهمية توفير التعليم الجيد للأطفال، وتمكينهم من تحقيق إمكاناتهم الكاملة للنمو والتنمية الوطنية. ولابد من إنفاذ القوانين التي تتطلب قبول الأطفال في المدارس لعكس هذا الاتجاه، حيث يعمل النظام التعليمي في أي بلد على تشكيل مستقبله. ولكي تتم عمليات التدريس والتعلم بشكل فعال في بيئة آمنة، يقترح (Oyekan, K., et, al. 2023, Pp 12) أيضًا تنفيذ تدابير أمنية قوية تعطي الأولوية لسلامة الأطفال ورفاهتهم وحمايتهم من الهجمات. بالإضافة إلى ذلك، فإن تزويد المعلمين بالتدريب المناسب على تعزيز الشمول في الفصل الدراسي يمكن أن يساعد في ضمان منح كل متعلم، بغض النظر عن جنسه أو خلفيته القبلية، فرصًا متساوية للنجاح. إن التمويل الكافي من الحكومة ضروري لتحسين جودة التعليم وتمكين القطاع من المنافسة عالميًا، حيث تعمل توصية اليونسكو بنسبة 26٪ كمعيار للاستثمار المسؤول.

ووفقا لتقارير ليونيسف، فإن نيجيريا لديها أكبر عدد من الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في العالم، حيث لا يتلقون ما يقرب من 10.5 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين 5 و 14 عاما التعليم الرسمي. وفي ولايات الشمال نيجيريا يتلقى 29% إلى 35% فقط من الأطفال المسلمين على التوالي تعليمًا قرآنيًا، والذي لا يشمل معرفة القراءة والكتابة والرياضيات. تنتشر هذه المشكلة على نطاق واسع في المناطق الريفية على لأسباب مختلفة، بما في ذلك الزواج المبكر وزواج الأطفال، والتحديات الاقتصادية، والصراع، والافتقار إلى الممارسات الشاملة.(NBS, 2016-2017 Reports)

وقد ساهم عدم الأمن في المنطقة الشمالية بشكل كبير في هذا الاتجاه، حيث أدت حالات الاختطاف، مثل اختطاف فتيات شيبوك (chibok girls) في عام 2014م، إلى تفاقم المشكلة. وللأسف، لا يزال بعضهم حتى الآن في عهدة خاطفيهم، ومن المحتمل أن يواجهوا زواج الأطفال والاغتصاب وأشكال أخرى من سوء المعاملة. وإلى أن تحل الحكومة مشكلة الاختطاف، سيكون من الصعب إقناع الآباء بإرسال أطفالهم إلى المدرسة دون خوف من الاختطاف.(Oladujoye. 2013, Pp 45)

وتشمل العوامل التي تساهم في حدوث الأطفال خارج المدرسة أيضا، على سبيل المثال لا الحصر، الزواج المبكر، والحواجز الاقتصادية، والصراع، والأعراف الاجتماعية والثقافية، والافتقار إلى السياسات/الممارسات الشاملة في المدارس. يمكن أن تؤدي" عوائق الطلب والعرض " هذه إلى واحدة أو جميع الحالات التالية:

1- تأخر تسجيل الطفل المؤهل في سن المدرسة.

2- الطفل الذي لن يذهب إلى المدرسة أبدًا.

3- الطفل الذي سيلتحق بالمدرسة ولكنه يترك المدرسة لاحقًا.

لقد أدى الجمع بين حواجز العرض والطلب التي تحول دون الوصول إلى التعليم إلى زيادة عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا، ولا يزال يساهم في ذلك.

لكن تعد الجهود الحكومية وغير الحكومية ضرورية لمعالجة الوضع الحالي من خلال استخدام الابتكارات التعليمية مثل برنامج التعليم المعجل، إلى جانب التدخلات التقليدية الأخرى مثل إعادة بناء البنية التحتية وتوسيعها، وزيادة الوعي بالالتحاق بالمدارس، والتدخل الاقتصادي، وتحسين الأمن، وتعزيز التعليم، والإنفاذ القانوني.

أطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا

يشمل الأطفال خارج المدرسة في نيجيريا الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ومجموعات البدو المكونة من الرعاة والمهاجرين، وطلاب ألماجري(Almajiri)، والأفراد النازحين بسبب الصراعات العنيفة، خاصة في الولايات الشمالية مثل بورنو(Borno) ويوبي(Yobe) وأداماوا (Adamawa)، يوجد في هذه الولايات عدد كبير من المدارس المغلقة، يبلغ عددها حوالي 802 مدرسة، مع تعرض ما يقرب من 1،889 فصلًا لأضرار بالغة أو دمرت.(N P C (Nigeria) and RTI

International. 2016) ونتيجة لذلك، يعزى ارتفاع عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا إلى زيادة حالات انعدام الأمن، وضعف الهياكل المؤسسية والسياسية، وعادات الناس وقيمهم، والفقر، والإقصاء التام للأطفال ذوي الإعاقة.

ولايات بها أكبر عدد من الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا

كما أشرنا سابقا أن في نيجيريا تشكل قضية الأطفال غير الملتحقين بالمدارس مصدر قلق كبير، مما يترك عددًا لا يحصى من العقول الشابة محرومًا من الوصول إلى التعليم. تسلط البيانات الأخيرة الصادرة عن مؤشر كيبل الضوء على خطورة هذه الأزمة، وتكشف عن الولايات الثلاث الأولى التي تواجه أعلى النسب المئوية للأطفال غير الملتحقين بالمدارس.

وتبرز ولاياتكيبي (Kebbi) وسوكوتو(Sokoto) ويوبي (Yobe) بأرقام مثيرة للقلق، حيث أن 67.7%، و66.4%، و62.9% من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و15 سنة خارج المدرسة، على التوالي. ترسم هذه الأرقام صورة قاتمة للمشهد التعليمي، وتظهر التحديات العميقة التي تعيق حق الأطفال في التعلم والنجاح.

وفي ولاية كيبي، لا يتمكن ما يقرب من سبعة من كل عشرة أطفال من الالتحاق بالتعليم الرسمي، مما يعكس قضايا مثل الفقر وعدم كفاية البنية التحتية. وبالمثل، فإن الوضع في ولاية سوكوتو رهيب، حيث أن أكثر من ثلثي الأطفال خارج المدرسة. تساهم محدودية المرافق التعليمية وانخفاض الوعي بأهمية التعليم في ارتفاع معدلات التسرب من المدارس، خاصة بين المجتمعات المهمشة.

وتتبعها ولاية يوبي عن كثب، حيث يفتقر ما يقرب من ثلثي أطفالها إلى فرص التعليم. لقد أدى تاريخ الولاية من أعمال اللصوصية إلى تعطيل التعليم، حيث غالبًا ما تكون الأولوية للسلامة على التعليم. بالإضافة إلى ذلك، فإن التحديات مثل عمالة الأطفال والزواج المبكر تؤدي إلى تفاقم المشكلة، مما يؤدي إلى حصار المجتمعات في دورات من الأمية والفقر. إن تأثير هذه الأزمة عميق، حيث يؤثر على الجيل الحالي وازدهار الأمة في المستقبل. وبدون بذل جهود متضافرة وحلول مستدامة، تخاطر نيجيريا بإهدار إمكانات الملايين من الشباب وتعطيل التنمية الاجتماعية والاقتصادية.(NBS, 2016-2017 Reports)

وفي القائمة التالية النسب المئوية للأطفال غير الملتحقين بالمدارس بالكامل في نيجيريا حسب التقارير وزارة التعليم الفدرالي النيجيري (2023م):

1- ولاية كيبي 67.7%	4- ولاية زمفاراه 61.3%
2-ولاية سوكوتو 64.4%	5- ولاية بوتشي 55.7%
3-ولاية يوبي 62.9%	6- ولاية بورنو 54.2%
7- ولاية جيغاوا 51.1%	11- ولاية كنو 39.2%
8- ولاية غومبي 48%	12- ولاية ترابا 28.8%
9- ولاية كاتسينا 45.9%	13- ولاية نسراوا 25.4%
10- ولاية نيجار 42.8%	14- ولاية بلاتو 23.2%
15- ولاية كوارا 22%	21- ولاية إبونيي 16.7%
16- ولاية كادونا 21.9%	22- ولاية أوندو 13.8%
17 ولاية أداماوا 21.7%	23- ولاية أوسون 12.8%

18- ولاية أويو 20.9%
19- ولاية أوجون 20.5%
20- ولاية بينوي 18.4%
27- ولاية كوجي 10.2%
28- ولاية دلتا 9.3%
29- ولاية ريبا 7.7%
30- ولاية كروس ريفر 7.6%
31- ولاية إينوغو 7.5%
32- ولاية بايلسا 7.4%
24- أبوجا 12.8%
25- ولاية إيدو 11.3%
26- ولاية أكوا إيبوم 10.6%
33- ولاية لاغوس 6.4%
34- ولاية آبيا 5.6%
35- ولاية إيكي تي 5.1%
36- ولاية إيمو 5.1%
37- ولاية أنامبرا 2.9%

بعض العوامل المساعدة في حل مشكلات الأطفال المتسربين من المدرسة

استجابت حكومة نيجيريا للأزمة الملحة لدى الأطفال غير الملتحقين بالمدارس من خلال إطلاق برامج ومبادرات متعددة لضمان حصول كل طفل على التعليم الأساسي، بالإضافة إلى برنامج تعليم ورعاية الأطفال خارج المدرسة الذي يوفر خدمات التعليم والتغذية والملابس والرعاية الاجتماعية التي تشتد الحاجة إليها للأطفال خارج المدرسة، بذلت الحكومة أيضًا جهودًا لإنشاء مدارس مؤقتة لإعطاء حصول هؤلاء الأطفال على التعليم الأساسي في المناطق التي قد تكون فيها البنية التحتية المدرسية غير كافية. ومع ذلك، لا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به من أجل معالجة هذه المشكلة بشكل مناسب. ويجب اتخاذ التدابير اللازمة للتغلب على الحواجز المالية والاجتماعية التي تعترض التعليم، وضمان الوصول إلى التعليم الجيد، ومعالجة الأسباب الكامنة التي تدفع الأطفال إلى ترك المدرسة. كما يجب علينا تهيئة بيئة مواتية وداعمة وتمكينية لضمان حصول جميع أطفالنا على فرصة الوصول إلى التعليم وتحقيق إمكاناتهم الكاملة، وفي النقاط التالية بعض الحلول المساعة لتخفيف هذه الظاهرة.(USAID. 2017):

1- التمويل الكافي للتعليم: للتعليم في نيجيريا ضعيف التمويل، لأن بعض الأموال المتاحة غير مستغلة بالقدر المناسب من ناحية، بل إن الأموال غير كافية إذا تم استخدامها من ناحية أخرى. فمثلا على المستوى الوطني، لم تتجاوز الميزانية الوطنية للتعليم في نيجيريا 8% في الأعوام الأخيرة. حتى في عدد قليل من الولايات التي تخصص ميزانية تزيد عن20% من ميزانياتها للتعليم، ليس هناك الكثير مما يمكن إظهاره في هذا الصدد. وعلى ذلك ينبغي للحكومات على جميع المستويات أن تجعل تمويل التعليم أولوية وأن تتمكن من الوصول إلى الأموال المتاحة لتحسين حالة التعليم الأساسي في البلاد. (OCHA. 2017, Pp 3)

2- مجاوزة برنامج التغذية المدرسية: وفي الوقت الحالي يمكننا القول أن البرنامج الوطني للتغذية المدرسية بالمنتجات المحلية يستحق الثناء، فإن المدارس تحتاج إلى ما هو أكثر من مجرد إطعام التلاميذ. وبالمناسبة، فإن تطبيقه محدود

الانتشار في31 ولايات التي تقول الحكومة الفيدرالية إنها تعمل فيها. ومن الواضح أن التغذية المدرسية أدت إلى زيادة معدلات الالتحاق بالمدارس، ووفرت التغذية للأطفال وأبقتهم في المدارس، ولكن علينا أن نذهب إلى أبعد من ذلك.

3- مراجعة قانون تعميم التعليم الأساسي: يجب إعادة النظر في قانون التعليم الأساسي الإلزامي والمجاني لعام 2004م. وينص على تخصيص 2٪ من حساب الإيرادات الموحد كتدخل فدرالي للتعليم الأساسي. بعد ذلك، كان على الولايات تقديم 50% في هذا الصدد كأموال نظيرة لتتمكن من الوصول إلى الأموال. وكما ذكرنا سابقًا، فإن معظم الدول غير قادرة على تلبية هذا المعيار. لذا، لدينا أموال لا يمكننا الحصول عليها لتمويل التعليم الأساسي في نيجيريا. يجب علينا زيادة الأموال التي يمكن الوصول إليها وتقليل النسبة المئوية للأموال التي يجب على الولايات تقديمها كتمويل نظير. (UNICEF. 2018)

4- تقريب المدارس من الناس: بعض المدارس بعيدة جدًا عن المجتمعات المضيفة لها. وفي مواجهة انعدام الأمن في البلاد اليوم، قد لا يتمكن آباء من إرسال الأطفال بسهولة. لكن إن المبادرات مثل المدارس المتنقلة ومدارس البدو(nomadic schools) التي أطلقتها اللجنة الوطنية لتعليم البدو هي خطوات في الاتجاه الصحيح لكننا نحتاج لفعل المزيد.

5- تحفيز التدريس الريفي: وينبغي للحكومات أن تقدم الحوافز التي من شأنها أن تجعل المعلمين على استعداد للذهاب للتدريس في المجتمعات الريفية. ومن الممكن أن تساعد مثل هذه المبادرات في تعليم الأطفال في المناطق الريفية.

6- تأمين المدارس: تقع حوادث الاختطاف والهجمات على المدارس من وقت لآخر. وطالما أن المدارس ليست آمنة، فإن التعليم ليس آمنا. ولذلك يجب أن تكون مبادرة المدرسة الآمنة وغيرها من التدابير الأمنية أكثر فعالية لدعم مدارسنا.

7- زيادة مشاركة القطاع الخاص: لدينا بالفعل مشاركة بعض القطاع الخاص في قطاع التعليم، لكنها لا تزال غير كافية، فمثلا بعض الحلول المذكورة أعلاه كانت لها مدخلات من القطاع الخاص. لكن نحن بحاجة إلى المزيد من هذه الأمور لحل مشكلة الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا.

خاتمة

تستكشف هذه المقالة دراسة عن قضية العدد المتزايد من الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في نيجيريا، وخاصة في المنطقة الشمالية، إن هذه المشكلة مقلق للغاية ويشكل تهديدًا خطيرًا لمستقبل الأم،. تحدد المقالة العديد من العوامل التي ساهمت في هذه المشكلة، بما في ذلك الحواجز الاقتصادية والصراعات والمعايير الاجتماعية والثقافية والافتقار إلى الممارسات الشاملة. وقد أدت هذه التحديات إلى ارتفاع معدل الأمية والافتقار إلى الاهتمام بالتعليم بين الأطفا،. كما تقترح المقالة تدابير عملية يمكن اتخاذها على وجه السرعة لمعالجة القضية ومنع تصعيدها. ومن ذلك دمج مدارس تسانجيا (tsangaya) الدينية في نظام التعليم الأساسي، وإنشاء لجنة وطنية للأطفال غير الملتحقين بالمدارس على المستوى الفيدرالي والولاية.

توصيات:

على ضوء ما ذكره الباحث يوصي النقاط التالية:

1- صار حتما على الحكومة النيجيرية زيادة وتحسين البنى التحتية والموارد التعليمية في جميع الولايات.

2- أن يكون هناك مزيج من التدخلات الاقتصادية للأسرة، وهذا يجعلهم قادرين على إرسال أبنائهم إلى المدرسة.

3- توظيف برنامج التعليم السريع، وخاصة في أماكن غير آمنة.

REFERENCES

- Ferráns S.D., Lee J., Ohanyido C., Hoyer K., and Miheretu A. 2022.The Cost-Effectiveness of an Accelerated Learning Program on the Literacy, Numeracy and Social-Emotional Learning Outcomes of Out-of-School Children in Northeast
- https://www.unicef.org/nigeria/reports/multipleindicator-custer-survey-2016-17-mics
- Mobolaji, J. W., Fatusi, A. O., and Adedin, S. A. 2020. Ethnicty, reigious affiliation and girl-child marriage: a cross sectional study of nationally representative sample of female adolescents in Nigeria. BMC public health, 20(1), 110.
- Mukhtar, M., Ashraf, R. and Shittu, A. T. 2011. Girl Child Education in Northern Nigeria: Problems, Challenges, and Solutions.
- National Bureau of Statistics and United Nations Children's Fund. 2018. Multiple Indicator Cluster Survey, 2016 – 2017.
- National Population Commission (Nigeria) and RTI International. 2016. 2015 Nigeria Education Data Survey (NEDS).
- Nigeria: Evidence from a Mixed Methods Randomized Controlled Trial,Journal of Research on Educational Effectiveness
- OCHA. 2017. Humanitarian Response Plan - Nigeria. New York, NY: Office for the Coordination of Humanitarian Affairs.
- Odinkau, F. 2014. Toward an Educational Function, National Bureau of EconomcResearch.Vol.70 (4), pp. 11-70.
- Oladujoye. P and Omemu, F. 2013. Effect of Boko Haram on school Attendance in Northern Nigeria, European centre for research, Training, and development UK.Vol. 1(2), pp. 9-22
- Oyekan, K., Ayorinde, A. and Adenuga, O. 2023. The problem of out of school children in Nigeria. 2023/058. https://doi.org/10.35489/BSG-RISE-RI_2023/058
- UNESCO. 2016. Leaving no one behind: How far on the way to universal primary and secondary education? Policy Paper 27 Fact Sheet 37, July 2016.
- UNICEF. 2014. All Children in School by 2015: Global Initiative on Out-of-School Children: regional report; West and Central Africa. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000228081
- UNICEF. 2018. Evaluation Report: The Out-of-School Children Initiative (OOSCI) February 2018.
- USAID. 2017. Education Crisis Response Project. Final Report. United States Agency for International Development.
- Word Bank. 2019. Ending Learning Poverty: What Will It Take? World Bank, Washington, DC. World Bank. https://openknowledge.worldbank.org/handle/10986/3255

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

المستقبل الجيوسياسي لدول مالي وبوركينافاسو والنيجر ما بين التحرر من النفوذ الفرنسي وسبل حل الأزمات

The geopolitical future of the countries of Mali, Burkina Faso and Niger between liberation from French influence and ways to resolve crises

أحمد سليمان أبكر_باحث في العلوم السياسية_ السودان

Ahmedsoulim22@gmail.com

ملخص:

يسعى هذا البحث للاستشراف على المستقبل الجيوسياسي لدول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) في ظل أزماتها المتكررة ومحاولاتها التحرر من النفوذ الفرنسي. أما مشكلة البحث فتتمثل في الوقوف على الأسباب الكامنة وراء أزمات هذه الدول وتحليلها بصورة قد تسهم في كيفية معالجة هذه الأزمات ،مع استصحاب طبيعة علاقات هذه الدول مع فرنسا وكيفية التحرر من نفوذها الذي طال أمده،،وكيف أن استقرار هذه الدول سيسهم بشكل كبير في استقرار شمال ووسط إفريقيا. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع أزمات تلك الدول وطبيعة تعاطيها مع النفوذ الفرنسي للتحرر منه. وقد خرج الباحث بعدد من النتائج التي تكشف عن أسباب أزمات (مالي وبوركينافسو والنيجر) ،وسعيها للتحرر من النفوذ الفرنسي.

الكلمات المفتاحية:مستقبل،جيوسياسي ،الساحل، الصحراء، نفوذ.

Abstract:

This research seeks to explore the geopolitical future of the countries (Mali, Burkina Faso, and Niger) in light of their recurring crises and their attempts to liberate themselves from French influence.
The problem of the research is to identify the reasons behind the crises of these countries and analyze them in a way that may contribute to how to deal with these crises, while taking into account the nature of these countries' relations with France and how to free themselves from its long-standing influence. The objectives of the research are to shed light on the crises of individual countries, and how the stability of these countries will contribute significantly to the stability of North and Central Africa.
The researcher used the descriptive analytical method in order to achieve the research goal by analyzing the reality of the crises of those countries and the nature of their dealings with French influence to liberate themselves from it. The researcher came up with a number of results that reveal the causes of the crises (Mali, Burkina Faso, and Niger) and their quest for freedom from French influence.
Keywords: future, geopolitical, Sahel, desert, influence.

مقدمة:

ظلت منطقة دول منطقة الساحل والصحراء، الممتدة بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية الإفريقية، تعاني أزمات سياسية وأمنية وإنسانية مستمرة منذ حصول دولها على الاستقلال في الستينيات القرن الماضي، وقد أدت عوامل مثل ضعف بنية الدولة ومؤسسات الحكم، والتدهور الاقتصادي، وتأثيرات تغير المناخ، والتدخل الدولي المتمثل بصورة سافرة في فرنسا التي ما تزال تستخدم قدرًا كبيرًا من القوة على المستعمرات التي كانت تحتلها، حتى وإن نالت تلك المستعمرات استقلالها نظريًا، وربما يكون النفوذ الفرنسي الطاغي قد أسهم إلى حد كبير في تقويض الأمن والاستقرار والسيادة في دول المنطقة.

وسنتناول في هذا البحث التحولات الكبرى التي جرت في دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) ،وحتمية إفضائها إلى صياغة خريطة جيوسياسية جديدة للمنطقة ،وكيف أن هذه الدول تسعى جاهدة لتجاوز أزماتها والتحرر من نفوذ فرنسا التي فيما يبدو هي الأخرى تسعى جاهدة للحفاظ على نفوذها واستمرارها في نهب موارد هذه الدول مستفيدة من وجود حركات إرهابية عديدة للحفاظ على شرعية وجودها خاصة العسكري بحجة مكافحة الارهاب.

تكمن إشكالية البحث في الوقوف على الأسباب الكامنة وراء أزمات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) ،وتحليلها بصورة قد تسهم في كيفية معالجة هذه الأزمات، مع استصحاب طبيعة علاقات هذه الدول مع فرنسا وكيفية التحرر من نفوذها الذي طال أمده، وهي التي ما انفكت تنهب ثروات هذه الدول. أما منهج البحث فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال الاستقراء والاستنباط لمجريات الأحداث وتحليلها وصولًا إلى النتائج.وقد تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة ،وخمسة مطالب، وخاتمة تتضمن نتائج توصيات البحث.

الإطار المنهجي للبحث:

***موضوع البحث وحدوده:موضوع البحث**؛ المستقبل الجيوسياسي لدول مالي وبوركينافاسو والنيجر ما بين التحرر من النفوذ الفرنسي وسبل حل الأزمات ،حدود البحث المكانية؛ دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) ،حدود البحث الزمانية: منذ استقلال هذه الدول في ستينيات القرن الماضي وإلى يوليو2024م .

***إشكالية البحث**: تتمثل في حالة الأزمات التي تعصف بهذه الدول وهي تسعى جاهدة للتحرر من النفوذ الفرنسي الذي ما فتأ ينهب ثرواتها.

***أسئلة البحث:**

أ.هل دول (مالي وبوركينافسو والنيجر) قادرة على حللت أزماتها، بعد التحرر من النفوذ الفرنسي؟

ب.ما دقة المعلومات المطروحة من قبل البحوث والدراسات العلمية لتوضيح حالة الأزمات التي تعصف بدول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) ،وسعيها في التحرر الكامل من النفوذ الفرنسي ،ومدى القدرة على توضيح هذه المعلومات بوصفها أداة تبين حقيقة هذا الحالة؟

ج.ما هي أنجع السبل التي يمكن أن تنتهجها (مالي وبوركينافاسو والنيجر) في حلحلت أزماتها والتحرر الكامل من النفوذ الفرنسي واستشراف مستقبل جيوسياسي يحقق لها الاستقرار المنشود؟

***منهجيات البحث وتقنياته:**

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليل،وذلك لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع أزمات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر)، وطبيعة سعيها للتحرر من النفوذ الفرنسي.

تقنيات البحث:القراءة المنظمة للوقائع اليومية،الرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بموضوع البحث الملاحظة الهادفة ،الخبرة العلمية،الاستشارة.

***فرضيات البحث:**

1.ثمة رغبة جامحة لدول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) للتحرر من النفوذ الفرنسي.

2.الصراعات الداخلية بين مكونات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) أثر سلبًا في حسم ملف التحرر من النفوذ الفرنسي ، وذلك من خلال وضع العلاقات من فرنسا في إطارها الصحيح.

3.فرنسا لا يهمها شكل أنظمة الحكم في دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) (شمولي/ديمقراطي) بقدر ما يهمها مدى تلبية أنظمة هذه الدول لمطالبها.

المطلب الأول: مفهوم الساحل والصحراء

بما أن الدول الثلاث (مالي وبوركينافاسو والنيجر) تعتبر من أهم دول الساحل والصحراء كان لابد لنا أن نقف على مفهوم الساحل والصحراء الذي كان يشير في بدياته إلى الشريط الصحراوي الذي يفصل بين إفريقيا الجنوبية عن منطقة شمال إفريقيا، ثم تطور المفهوم إلى أن أصبح يُعبّر عن ذلك القوس الذي يبدأ من المحيط الأطلسي في الغرب الإفريقي إلى البحر الأحمر شرق السودان فالسودان. ويمكن القول بأن منطقة الساحل والصحراء هي ذلك الحزام الفاصل بين دول شمال إفريقيا ودول إفريقيا الوسطى والجنوبية[3] حيث تضم بداخل هذا الحزام عدة دول، منها موريتانيا ،مالي ،النيجر ، تشاد السودان وأجزاء صغيرة من الحدود الجنوبية للجزائر والحدود الشمالية من بوركينافاسو ونيجيريا وأجزاء من إريتريا وإثيوبيا، وتشير التقديرات إلى أن هذا الحزام الساحلي الصحراوي يقدر بحوالي 5500 كلم وبعرض من 350 إلى 500كلم[4].

المطلب الثاني: أهمية منطقة الساحل والصحراء

لقد لعب البعد الجغرافي لمنطقة الساحل والصحراء دورًا كبيرًا في أهميتها كونها تمثل منطقة التقاء لمجموعة من العوالم الحضارية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية وحتى السياسية، وأنها خط فاصل بين إفريقيا السوداء والبيضاء ، وبين الحضارة الإفريقية والإسلامية، ويمكن القول بأن المنطقة تمثل نقطة التقاء الحضارات الإنسانية والانتماءات العرقية والدينية[5].

كما أنها تمثل حزام إستراتيجي رابط بين أمريكا اللاتينية والقارة الأسيوية عبر المحيط الأطلسي والبحر الأحمر،فالحسابات الجغرافية تعتبر منطقة الساحل والصحراء الإفريقية من أهم الروابط الجغرافية والاقتصادية المهمة، إلا أن هذه المنطقة اقتصاديًا[6]، تُعَدُّ دولها من أفقر دول العالم، لكنها على النقيض من ذلك تتمتع بثروات معدنية كالذهب واليورانيوم والفوسفات، بجانب الثروات النفطية المهمة،وهو ما أكسبها أهمية جيواقتصادية ، وجعلها موضع اهتمام كبير من قبل الدول الكبرى التي لا شك طامعة في هذه الثروات الكامنة.

المطلب الثالث: التعريف بدول مالي وبوركينافاسو والنيجر

---

[3] . تعتبر الأمم المتّحدة أنّ دول منطقة الساحل والصحراء هي: شمالي السنغال وجنوبي موريتانيا ووسط مالي وشمالي بوركينا فاسو وأقصى جنوبي الجزائر والنيجر وأقصى شمالي نيجيريا ووسط تشاد ووسط السودان وجنوبها وأقصى شمالي جنوب السودان وإريتريا والكاميرون وجمهورية إفريقيا الوسطى وأقصى شمال إثيوبيا. ومنطقة الساحل منطقة مناخية بيئية تقع على الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى. وهي عملياً منطقة انتقالية بين الصحراء الكبرى، وأكبر منطقة صحراوية في العالم.

[4] .رشاش،وحيد ،السياسة الأمنية الفرنسية تجاه الساحل الإفريقي أنموذج المنطقة الفرانكفونية (الجزائر): إشراف: باديس بن حدة، دراسة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص:دراسات إستراتيجية، جامعة تبسة،كلية الحقوق والعلوم السياسية،قسم العلوم السياسية (الجزائر)، السنة الجامعية 2014م/2015م،ص ص 2 3.

[5].Johamie Carson, Armed Colin,Defis securitaires transationnaus En Afrique, revue Internationale El Strategique.N79.2010.

[6].تقرير: نهاية أدوار باريس، لماذا قررت دول الساحل طرد فرنسا؟، موقع شبكة الجزيرة الإعلامية الإلكتروني، تاريخ النشر: 1 أكتوبر 2023م، تاريخ التصفح 22يونيو2024م الساعة 8:19م.

الرابط:/https://www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net/amp/midan/reality/politics

مالي:

يعود تاريخ مالي إلى انفصال قبائل سونيكي وماندنيكا عن وينمادو (غانا)، عام 1230م، حيث قام قائد ماندنيكا "سوندیا تاكيبتا" بتكوين اتحاد للقبائل في الوادي الخصيب بأعالي نهر النيجر، وجعل جيرانه تحت سيطرته، مؤسسًا إمبراطورية مالي، وكانت أكبر من مملكة غانا، وامتدت في أوجها من ساحل المحيط الهندي غربًا، إلى ما وراء تخوم منحنى نهر النيجر شرقًا، ومن حقول الذهب في غينيا جنوبًا إلى محط القوافل التجارية عبر الصحراء شمالًا. في أواخر القرن الرابع عشر، استقلت الأقاليم الخارجية، واستولى الطوارق (بدو جنوب الصحراء الكبرى) على تمبكتو العاصمة.في سنة 1500م، امتد حكم مالي لمناطق بأعالي نهر النيجر ،وكانت تمبكتو هي عاصمة مالي منذ إنشائها ،وكلمة تمبكتو أمازيغية الأصل. وامتدت مملكة مالي حتى حدود مملكة دارفور قديمًا. في نهاية القرن التاسع عشر، أخضع الفرنسيون هذه المنطقة، التي أصبحت مستعمرة فرنسية. وفي عام 1904م، سُميت بالسودان الفرنسي. وفي عام 1920م، أصبحت جزءًا من الاتحاد الفرنسي. واستقلت عن فرنسا عام 1960، باسم فيدرالية مالي، بزعامة "موديبوكيتا". تبلغ مساحة مالي حوالي 1.24 مليون كم2، وهي بذلك الأكبر مساحة في غرب إفريقيا، محاطة بسبع دول ،منها دولتان عربيتان هما الجزائر من الشمال وموريتانيا والسنغال من الغرب، أما النيجر فتحدها من الشرق، وبوركينافاسو وساحل العاج من الجنوب وغينيا من الجنوب الغربي ،تمتد مالي عبر ثلاث مناطق مناخية ،ابتداءً من مناطق السافانا في الجنوب، مرورًا بالمنطقة السودانية ،وانتهاءً بالمنطقة الصحراوية. يتوزع سكانها في مجموعات قبلية كبرى ،أهمها البول ،والدوجون ،والبوبو، والبمبارا ،والبوزو ،والسونيكا ،والسونداس ، والمانينكا ؛ إضافة إلى الطوارق في الشمال، ويبلغ عددهم نحو ربع سكان مالي ، بالقرب من الصحراء الكبرى في ثلاث مناطق، هي تمبكتو، وكيدال، وغاو. لغات مالي الرسمية هي لغة بامبارية ،اللغة السونتكية ،اللغة العربية ،اللغة الفولانية. يدين نحو 80% من السكان بالإسلام، الذي وصل إلى مالي في القرن الثامن الميلادي، ونشأت العديد من الممالك الإسلامية في مالي. كما اشتهرت مدينة تمبكتو المالية بمكتبتها الفنية. أما المسيحية فدخلت في بداية القرن العشرين، مع الاستعمار الفرنسي، ويدين بها نحو 15% من السكان[7]. و العاصمة السياسية لمالي هي باماكو.

خلفية تاريخية عن قبائل أزواد في مالي:

منطقة أزواد تقع في شمال مالي ،ويفصلها عن جنوبه نهر النيجر، ويتكون سكان أزواد من قبائل الطوارق ،وهم في الأصل من قبائل البربر الذين ينتشرون في الشمال الإفريقي،ولكنهم يرفضون هذه التسمية ،وهم قبائل عربية.ومن المعروف أن مالي كانت ممالك وسلطنات، ثم توحدت فيما بعد، واللغة العربية كانت سائدة إلى أن محاها الاستعمار الفرنسي. تنحدر قبائل أزواد من الهجرة العربية الكبرى إلى المغرب العربي ،التي انطلقت من مصر تحت اسم بني هلال، والتي واصلت الهجرة حتى نهري صنهاجة (السنغال) والنيجر ، وكان لها الفضل في تعريف هذه المنطقة ،وترسيخ الدين الإسلامي ،بفضل الانصهار مع السكان المحليين. وتتوزع القبائل من الأصول العربية بأزواد في شمال مالي من الغرب إلى الوسط إلى المنطقة الشرقية ،ومن أهم أسماء القبائل: أولاد داوود، وأولاد أزعيم، أيجومان، والوسرة رقان، والنواجي، وأهل الكوري، وأهل بوكو، وأهل سيدي الأمين النولاني، والزخيمات، والطوارق، وأركيبي، وكرزاز... وغيرهم. أما الحياة الاجتماعية لهذه القبائل هي حياة عربية أصيلة لا تختلف عن حياة العرب في الشمال الإفريقي، أو الجزيرة العربية. فهم أهل بدو، ويمارسون تربية المواشي ،وخصوصًا الإبل والأغنام، وينتقلون من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، حسب الفصول وأماكن الكلأ. وهناك نشاط آخر مهم إلى جانب الرعي، وهو استخراج الملح من منجم (تاودني)، الذي يبعد نحو 750 كم شمال مدينة تمبكتو،

[7].الحرب في مالي،موقع مقاتل الصحراء الإلكتروني.تاريخ التصفح:4يوليو2024م،الساعة: 10:12ص.

الربط: http://www.moqatel.com.openshare/Behot/

وهي معقل لتدريس الدين الإسلامي منذ القدم ،وراجت التجارة بالملح المستخرج حتى ما وراء نهر النيجر. وتتكون منطقة أزواد من أربع ولايات، هي: الولاية الخامسة (موبتي): سكان هذه المنطقة معظمهم من قبيلة فولان التي ترجع إلى قبيلة بني حمير العربية (أصلها من اليمن) ،الولاية السادسة (تمبكتو) ،الولاية السابعة (قاوة) ،الولاية الثامنة (كيدال) والولايات الثلاث الأخيرة يسكنها العرب والطوارق والصونغي.كان شعب أزواد، قبل مجيء الاستعمار الفرنسي، يتكون من عدة سلطنات تحكم بواسطة النظام القبلي، وتتكون من: سلطنة الفولان مملكة الصونغاي ،سلطنة البرابيش ،سلطنة كونتة ،سلطنة ألمدن، سلطنة الأنصار ،سلطنة أفرغاس. وجميع هذه السلطنات كانت تضم عشرات القبائل التي كانت تنضوي تحت لواء القبيلة الحاملة لاسم السلطنة. وعند مجيء حركة الاستقلال، من عام 1957-1958م، طلبت فرنسا من السلاطين أن يوافقوا على جعل منطقة أزواد محمية فرنسية، إلا أنهم رفضوا العرض الفرنسي لاعتقادهم أنه يستهدف محاصرة الثورة الجزائرية، ولاعتقادهم أنه يستهدف بقاء قواعد عسكرية فرنسية بالمنطقة[8].

بوركينافاسو:

تقع بوركينافاسو في الغرب الإفريقي ،تحدها من الشمال مالي ،ومن الشرق النيجر ومن الجنوب الشرقي بنين، ومن

الجنوب توغو وغانا، ومن الجنوب الغربي ساحل العاج ،وتبلغ مساحتها 274.200 كيلومتر مربع. العاصمة السياسية لبوركينا فاسو هي واغادوغو، أما اللغة الرسمية فهي الفرنسية ،وهناك أكثر من 60 لغة محلية ،أما الدين فتبلغ نسبة المسلمين في بوركينا فاسو 60.5%، و 23.2% من المسيحيين، و 16%ديانات أخرى. في الماضي كانت بوركينافاسو تسمى "جمهورية فولتا العليا". وفي 4 أغسطس 1984م غير الرئيس توماس سانكارا إسم الدولة إلى "بوركينا فاسو" والتي تعني بلد الناس النزيهين (الطاهرين) من اللغتين الرئيسيتين في البلاد: لغة موري "بوركينا" أي الناس النزيهين أو الطاهرين، ولغة ديولا "فاسو" أي دار الأب أو البلد. بوركينا فاسو هي دولة في طريق النمو، وهي ثاني دولة إفريقية في إنتاج القطن بعد مصر، ورغم الجفاف الذي يضرب البلاد فإن الزراعة تمثل 32 في المئة من الإنتاج الداخلي الخام ،وتنتج بوركينافاسو الذرة والفول السوداني والأرز خاصة في الجنوب والجنوب الغربي ، خضعت مملكة فولتا (بوركينافاسو) للاستعمار الفرنسي بعد توقيع معاهدة سنة 1896م وضُمت لمستعمرة السنغال العليا ،ثم أصبحت سنة 1916م مستعمرة فرنسية منفردة سميت بـ" فولتا العليا" ونالت استقلالها عام 1960م من فرنسا بعد 64 سنة من الاستعمار[9].

النيجر:

يعود تاريخ النيجر إلى هجرات قبائل الطوارق إليها فى حوالي القرن الحادي عشر الميلادي. وقد كانت هذه القبائل تقيم فى الأجزاء الوسطى من إقليم الصحارى وخلال فترة قصيرة تمكنت قبائل الطوارق من إحكام سيطرتها على كافة الطرق التجارية الممتدة مابين الصحراء وحتى الخط الساحلي جنوباً. وفى القرن الخامس عشر الميلادي ،تمكنوا من إقامة إمبراطورية لهم ،مركزها مدينة أجاديز. وفى نفس الوقت اشتد ساعد إمبراطورية "صنغي" خلال القرن الخامس عشر الميلادي. وقد كانت عاصمتها مدينة جاو التي تقع ضمن حدود ما يعرف الآن بمالي. وفي القرن السادس عشر الميلادي، غزت قبائل صنغي إمبراطورية الطوارق في عقرِ دارها (مدينة أجاديز)، وتمكنوا بذلك من السيطرة على أجزاء كبيرة من الأقاليم الوسطى والغربية لما يُعرف الآن بالنيجر وفي عام 1591م، انطلقت جيوش من المغرب وسيطرت على مدينة جاو مما أدى إلى انهيار إمبراطورية صنغي. وقد وصل الأوروبيون إلى النيجر وسيطرت فرنسا على أجزاء من غرب إفريقيا بناءً على اتفاقيات

---

[8]. المرجع السابق.

[9].لمحة موجزة عن دولة بوركينافاسو ، الموقع الأوربي للأخبار الالكتروني. تاريخ النشر: 31أكتوبر 2014م ،تاريخ التصفح: 4يوليو2024م ،الساعة: 10:15ص.

الرابط: https://arabic.euronews.com

تم التوصل إليها بين القوى الأوروبية المختلفة خلال الفترة ما بين 1885 - 1890م. وبحلول عام 1900م، كانت فرنسا قد سيطرت على معظم أجزاء النيجر. وفي عام 1906م، تمكنت من إخماد حركة المقاومة العنيفة التي كانت تقودها قبائل الطوارق. وفي عام 1922م، أصبحت النيجر جزءًا مما كان يعرف بغرب إفريقيا الفرنسية. وقد حصلت النيجر على استقلالها من فرنسا في الثالث من شهر أغسطس عام 1960م. تقع النيجر بغرب إفريقيا تحدها شمالًا الجزائر وليبيا وجنوبًا نيجيريا،وبنين وغربًا بوركينا فاسو ومالى وشرقًا تشاد. ويعود سبب تسمية النيجر بهذا الاسم إلى نهر النيجر الذي يمر بأراضيها ويتدفَّق على امتداد الأطراف الجنوبيّة للبلاد ،لمسافةٍ تُقدَّر بنحو 565كم. يعم المناخ المداري الدافئ النيجر في معظم أيام السنة، لكن المناطق الشمالية أكثر حرارة وجفافًا من المناطق الجنوبية. تقدر مساحة النيجر بحوالي 1.267.000 كم2. ينتمي أكثر من نصف سكان النيجر إلى جماعة الهوسا العرقية، التي تعتبر واحدة من أعرق الشعوب الإفريقية، وتمثل غالبية السكان في الجزء الشمالي من نيجيريا وقبائل الدجيرما - صونجاي والذين يتواجدون في مالي وقبائل الجورمانتشيه وهم عبارة عن مزارعين مستقرين يعملون في الزراعة ويسكنون الجزء الجنوبي من البلاد. في حين ينتمي الجزء الباقي من شعب النيجر إلى القبائل البدوية الرحالة أو القبائل شبه البدوية من الفولاني والطوارق والكانوري والعرب والتوبو والذين يمثلون مجتمعين قرابة 20% من إجمالي سكان النيجر. ونظراً للتزايد المتسارع للسكان والرغبة في السيطرة على الموارد الطبيعية أصبحت أساليب الزراع ومربي الماشية الحياتية هي الأساليب المؤثرة في الحياة في النيجر التي تمتلك سادس أكبر احتياطي في العالم من اليورانيوم. ويمثل الإسلام دين الأغلبية بنسبة تصل إلي 99.3%، فيما تمثل المسيحية نسبة 0.3% ، و 0.2% ديانات أخرى. اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية بالاضافة الى لغتي الهوسا والجيرما[10]. نالت النيجر استقلالها عن فرنسا فى أغسطس1960م ،فى ظل رئاسة الرئيس هامانى ديورى كأول رئيس للبلاد، أما العاصمة السياسية للنيجر فهي نيامي.

المطلب الثالث: دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) ما بين النفوذ الفرنسي والأزمات النفوذ الفرنسي:

لقد استعمرت فرنسا كغيرها من الدول الأوربية مساحات شاسعة من إفريقيا الغربية (السنغال ،موريتانيا ، السودان الفرنسي (مالي) ، غينيا ،ساحل العاج ،فولتا العليا ،داهومي ، تشاد ،النيجر) وذلك في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر إلى مطلع ستينيات القرن الماضي (القرن العشرين)، وبعد حصول معظم تلك المستعمرات الإفريقية لفرنسا على استقلالها في عام 1960م، انتهجت فرنسا سياسة استعمارية جديدة (السياسية الإفريقية) كحقل خاص من سياستها الخارجية[11]. وبعد فشل فرنسا في تحقيق مآربها من خلال الجماعة الفرنسية التي أسستها عام 1958م ،تحولت إلى "سياسة التعاون" وكان ذلك تحت تأثير التحولات الدولية الداعية لحق الشعوب في تقرير مصيرها في ذلك الزمان ،ورغبة فرنسا في المحافظة على مصالحها وتواجدها في إفريقيا من خلال ربط علاقات دولية مع ممتلكاتها السابقة ، وكان لدول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) نصيب الأسد من هذه السياسة، وذلك من خلال ربطها بشبكة من المعاهدات والاتفاقيات التي أبقتها رهينة للمطامع الفرنسية اللامتناهية.

يُعد الاستعمار الفرنسي هو المسؤول الأول عن الحالة المتردية لدول الساحل الصحراء اليوم خاصة (مالي وبوركينافاسو والنيجر)، لقد وضعت فرنسا يدها رسميًا على المنطقة عبر مرسوم عام 1895م الذي أعلن إفريقيا الغربية منطقة

[10].ملف معلومات جمهورية النيجر، موقع إفريقيا الإلكتروني. تاريخ التصفح:4يوليو2024م ،الساعة:10:19ص.

الرابط: https://africa.sis.gov.eg/

[11]Thomas Fozen Kwanke.Le politique africaine de la France 1981-1986,these de doctorat d'Etat. Universite de Droit et de Sciences sociales. Paris II.1988. P.10.

"فرنسية"، وذلك من أجل تركيز السلطة في يد قواتها المحتلة ،بعدها اعتمدت قانونًا جديدًا يخص تشكيل جيش استعماري وأجهزة عسكرية أخرى تساعدها على بسط سيطرتها على المنطقة كاملة. لكن انتهت تلك السيطرة بحصول دول إفريقيا الفرانكفونية على استقلالها في نهاية المطاف[12]. إلا أن فرنسا وفي سبيل عدم التفريط في كل ما ملكته يمينها سابقًا من خيرات هذه المنطقة ،وضعت إستراتيجية متكاملة تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين في القارة السمراء، وتحديدًا في منطقة الساحل والصحراء وغرب إفريقيا: أولهما هو اقتحام المنطقة بطريقة عميقة لا تتأثر بالنزعات التحررية لدى الدول الإفريقية، مع الحفاظ على علاقات استثنائية مع قادة هذه الدول على جميع المستويات. وقد شكَّل التدخل العسكري أحد أهم أشكال حضور فرنسا في مستعمراتها السابقة، وذلك منذ عهد الجنرال "ديغول" الذي منح عددًا من الأنظمة الأفريقية - الديكتاتورية غالبًا- لقب "الأنظمة الصديقة" باسم المصالح الإستراتيجية[13]. وتعتبر المقاربة الأمنية لفرنسا فى منطقة الساحل والصحراء إحدى الركائز الأساسية لقوتها فى هذه المنطقة، وترتكز هذه المقاربة على عدد من الآليات الواضحة مثل: توقيع اتفاقيات التعاون الدفاعى، وتقديم المساعدات العسكرية لجيوش المنطقة، وإقامة عدد من القواعد العسكرية هنا وهناك. وتحقق هذه المقاربة بعض المكاسب الإستراتيجية لفرنسا فى المنطقة من أهمها المكسب الجيوسياسى الذي يتمثل فى الاستحواذ على الثروات والموارد الإستراتيجية مثل (اليورانيوم والنفط)، والمكسب الجيو-أمنى الذي يضمن حضورًا فرنسيًّا متناميًّا وحماية المصالح الفرنسية الحيوية فى المنطقة[14]. وبلغة الأرقام لقد شهدت منطقة الساحل والصحراء نحو 40 تدخلًا عسكريا فرنسيًا منذ 1960م آخرهما عمليتا "سرفال" (مالي – يناير 2013م) و"برخان" (عملية مكافحة التمرد الفرنسية في الساحل – أغسطس 2014م).لكن هذه التدخلات العسكرية الفرنسية أتت بنتائج عكسية، فبدلًا من أن تعزز العلاقات بين فرنسا ودول المنطقة ،زرعت المزيد من بذور الشك والتمرد في صفوف شعوب هذه الدول. وفي عام 2020م بدأت الانقلابات العسكرية في دول المنطقة وقد أطاحت بالقادة الموالين لفرنسا في مالي ثم في بوركينافاسو وختامًا في النيجر[15].

أزمات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر). وسبل الحل:

ظلت دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) في أزمات أمنية وسياسية وإنسانية مستمرة منذ حصول دولها على الاستقلال في الستينيات. وعلى مدى العقد الماضي ،تصاعدت حدة أعمال العنف والصراع والجريمة وتجاوزت حدود تلك الدول وفرضت تحديات كبيرة بالنسبة للأمن الإقليمي والدولي. ولعل أبرز بؤر هذه التحديات تقع في منطقتي ليبتاكو-غورما وحوض بحيرة تشاد ،اللتان تشكل كل منهما مركبًا أمنيًا بالغ التعقيد والتشابك.

فقد شهدت ليبتاكو-غورما، الواقعة في منطقة الساحل الوسطى على الحدود مع بوركينا فاسو ومالي والنيجر ،حالة من عدم الاستقرار منذ انهيار الدولة الليبية عام 2011م ،مما أدى إلى انتشار الأسلحة والمقاتلين المسلحين في المنطقة. كما اندلع تمرد الطوارق في شمال مالي من جديد في عام 2012م ،في أعقاب تدفق المتطرفين وأدى إلى سعي الحركة الوطنية

---

[12].الموقع الإلكتروني لشبكة الجزيرة الإعلامية. تاريخ النشر: 1أكتوبر 2023م، تاريخ التصفح 22يونيو2024م الساعة 8:19م.

الربط: https://www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net/amp/midan/reality/politics/

[13].المرجع السابق.

[14].تقرير: الموقع الإلكتروني لمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. تاريخ النشر: 6ديسمبر2021م، تاريخ التصفح 21يونيو2024م الساعة 8:41م.

الرابط:https://acpss.ahram.org.eg/News/

[15].الموقع الإلكتروني لشبكة الجزيرة الإعلامية،مرجع سابق.

لتحرير أزواد[16] إلى الحصول على الحكم الذاتي. وقد مكّن الانقلاب العسكري الذي وقع في البلاد في 2021م وانهيار مؤسسات الدولة الحركة الوطنية لتحرير أزواد من إعلان دولة أزواد المستقلة. ومن ثم انتقلت عدوى الانقلاب إلى بوركينافاسو المجاورة في 2022م التي شهدت أعمال عنف إرهابية واسعة النطاق امتدت لها من مالي ،وقد عمدت السلطات إلى مضاعفة أعداد المتطوعين في مليشيا الدفاع المدني كجزء من تعهد الرئيس الانتقالي إبراهيم تراوري باستعادة الأراضي التي استولت عليها الجماعات الإرهابية منذ عام 2015م ،والتي تصل إلى قرابة 40% من مساحة البلاد. وأخيرًا

وصلت عدوى الانقلاب إلى النيجر في 2023م[17] ،وذلك بسبب تزايد التحديات الأمنية والاقتصادية التي واجهت حكومة الرئيس المنتخب محمد بازوم ،إذ لا تزال النيجر واحدة من أفقر بلدان العالم ،حيث يعيش حوالي 10ملايين نيجري تحت خط الفقر ،مما يشكل ضغطًا كبيرًا على الانفاق الاجتماعي ،أما على الصعيد الأمني فقد عانت البلاد من تصاعد موجات العنف والتطرف ،وانتشار الجماعات الإرهابية مثل تنظيم القاعدة وداعش وبوكو حرام ،الأمر الذي أدى إلى السخط الشعبي ، لا سيما بعد تزايد أعمال هذه الجماعات في منطقة الجزر الواقعة بنهر النيجر. كما يمكن إرجاع سبب حدوث الانقلاب إلى سخط الجيش من تزايد القتلى في صفوفه وتكبده خسائر فادحة في حربه ضد الجماعات المتطرفة[18] ،الأمر الذي زاد من التوتر بين قادته والرئيس بازوم إذ طالبه القادة بضرورة زيادة الاهتمام بدعم الجيش لمواجهة التهديدات الأمنية التي عانت منها البلاد كثيرًا.

ولقد تبيّن من الخطاب السياسي للمجالس العسكرية الثلاثة التي وصلت إلى الحكم في الدول الثلاث ،أنها لا تنفذ

خطة من أجل السلطة فقط ،وإنما لديها برامج ورؤى سياسية وإستراتيجية مرتبطة بعودة شعارات التحرر الوطني التي سادت القارة السمراء ودول العالم الثالث في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وإعلان القطيعة مع فرنسا كدولة استعمارية لم تعترف بأن هذه الدول قد خرجت من عباءتها منذ أن استقلت عنها ،وكذلك بالاتجاه نحو بناء علاقات تحالفية مع روسيا الساعية بقوة إلى تكريس نفوذها في المنطقة. وهذا يعني أن هذه الدول تسعى سعيًا حثيثًا للتحرر الكامل من النفوذ الفرنسي الذي ظل يكبلها منذ استقلالها الصوري في ستينيات القرن الماضي[19].

---

[16].حركة أزواد أُسست في نوفمبر2010م كتنظيم سياسي أزوادي يُمثِّل النهج السلمي "للوصول إلى الأهداف المشروعة واسترجاع كُل الحقوق التاريخية المغتصبة لأمة الطوارق". وتطالب الحركة بالاعتراف بها ممثلًا دوليًا للشعب "الأزوادي" الذي يسكن ولايات "تمبُكتو" و"غاو" و"كيدال" في شمال مالي. وهناك أيضًا الحركة العربية لتحرير أزواد هي حركة انفصالية مسلحة تنشط في شمال مالي أو إقليم أزواد كما يُسمى أُسست في 1 أبريل 2012م أثناء سيطرة الإسلاميين على شمال مالي وأغلب أعضائها من عرب شمال مالي وكانوا يقاتلون ضد الحكومة المالية وأيضًا من أجل ضمان تواجد عربي مسلح في الشمال قصد تأسيس دولة للشعب الأزوادي، الحركة العربية الأزوادية هو الاسم الرسمي للحركة التي تتبنى القومية العربية والكفاح المسلح. وتتكون من جناحين أحدهما انفصالي موال للحركة الوطنية الانفصالية المتشددة والتي تطالب بدولة خاصة بالطوارق وهو مارفضه بعض العرب واعتبروه أمرا مضرًا بمصالحهم ويهدد كيانهم ووجودهم على أرض أجدادهم ،لها مكتب سياسي يترأسه أمينها العام ومقره الدائم بالعاصمة الموريتانية نواكشوط كما أن لها جيش متكون من آلاف المقاتلين ومئات الآليات العسكرية وهي تسيطر على عدة مناطق إستراتيجية من أبرزها مدن لرنب ومانيكا وانتيللت وتبنكورت.

[17].عبد الرحمن ،حمدي ،استشراف الاتجاهات الكبرى في الساحل الإفريقي 2024م، الموقع الإلكتروني لمركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،أبوظبي (الأمارات العربية المتحدة) ،5 يناير 2024م ،تاريخ التصفح 21يونيو2024م ،الساعة 8:45م

الربط:https://www.futureuae.com/ar-AE/Mainpage/term/

[18].أبو ضيف،فاروق حسين، النيجر ما بين التنافس الروسي الفرنسي، مجلة آفاق إستراتيجية ،العدد8 ،ديسمبر2023م ،ص ص 41 42.

[19].الأسود، الحبيب ،النيجر ومالي وبوركينا فاسو تشكل فضاء إقليميًا جديدًا في غرب أفريقيا، موقع العرب الإلكتروني، تاريخ النشر 30يناير2024م ،تاريخ التصفح: 28يونيو2024م. الساعة:1:53م.

الرابط: https:/www.google.com/amp/s/www.alarab.co.uk/

وبالرجوع إلى الأسباب الكامنة وراء أزمات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) نجدها تبدو في جملة من النقاط:

أولًا:من خلال الاطلاع على الدول الثلاث ،نجد أن هنالك سمات أساسية للعجز الوظيفي والضعف البنيوي لهذه الدول ويظهر ذلك في:

السمة الأولى: تتمثل في ضعف الإطار العام للدولة ،وذلك بسبب ضعف الترابط على المستوى الاجتماعي الذي لاريب أنه سيدفع بمخاطره إلى المستويات الأخرى (المستوى الاقتصادي ،والمستوى السياسي).

السمة الثانية: إمكانية انتقال التفكك من المستوى الاجتماعي إلى مستوى الوحدة الترابية للدولة تبعًا للتمثيل غير العادل وغير المنتظم لمختلف فئات المجتمع داخل النظام القائم.

السمة الثالثة: يصبح الاستقرار في موضع تهديد فعلي مباشر حين تكون هناك معارضة للشرعية السياسية للسلطة القائمة في ممارسة مهامها وسط نفوذها الأدبي والمادي[20].

ثانيًا: هنالك ثمة مؤشرات ومعايير تؤثر في فعالية وكفاءة الدولة تفتقر إليها دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر). ومن هذه المؤشرات والمعايير:

1. متغير عدم السيطرة أو غياب الحكم: ويركز هذا المتغير على فشل الدولة بإمكاناتها المتوافرة في فرض النظام والقانون في كل الأقاليم التابعة لها خاصة المناطق الطرفية المعزولة التي في كثير من الأحيان يقود تهميش هذه المناطق إلى التمرد ورفض الانصياع والخضوع لوصاية السلطة المركزية في الدولة ،الأمر الذي يستلزم منذ البداية انخراط الدولة في تلك المناطق وضبطها من خلال قدرتها على احتكار واستعمال وسائل الضبط والاكراه (الاستعمال الشرعي للقوة)،وهذا بالطبع يتطلب توافر الإمكانات الأمنية والعسكرية اللازمة للتغطية الجغرافية لكل أقاليم الدولة.

2. متغير الظروف والشروط المهيمنة لحالة اللاأمن: ويأتي هذا المتغير كنتيجة لفشل الدول في ضمان الحد الأدنى من الأمن الاجتماعي والاقتصادي ويتضمن ذلك بعض المؤشرات من أبرزها: تفشي الفساد، سطوة التنظيمات الاجرامية ،التهريب ،تفشي الفقر والحرمان[21].

3.تفاقم الآثار المناخية: بينما تتضافر الجهود العالمية من أجل مواجهة تغير المناخ، فإن ظاهرة الاحتباس الحراري تزيد بنحو 50% في منطقة الساحل والصحراء. ونتيجة لذلك، عانت المنطقة من أسوأ حالات الجفاف والفيضانات أكثر من أي مكان آخر في العالم. وعلى الرغم من كونها من بين المناطق التي تتسم بوجود أدنى معدلات انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في جميع أنحاء العالم، فإن بلدان الساحل تُعد من بين الدول الأكثر تضرراً من تغير المناخ. وتعاني دول المنطقة من نقص الغذاء، كما يواجه ملايين الأشخاص في المنطقة انعدام الأمن الغذائي بسبب الجفاف الذي طال أمده، وضعف إمكانية الحصول على الغذاء، وارتفاع أسعار الحبوب، والتدهور البيئي. وقد خلقت أنماط الطقس المتدهورة هذه مجتمعة حلقة مفرغة من الجهل والفقر والمرض وعدم الاستقرار والعنف الطائفي في المنطقة.

---

[20] . Michael Merlingen and Rasa Ostrauskair e. European Union Peacebuliding and Policing Governance and the European Security and Defence Policy(New York Routledge.2006) .p.1063.

[21]. Angel Rabasa [et al] "Ungoverned Territories Understanding and Reducing Terrorism Risk" United States American. RAND Corporation (2007).p.p.36.38.

4. ظهور الجماعات المسلحة العنيفة التي استغلت وستستغل الفراغ الأمني للقيام بعمليات الحصار والاستيلاء على بلدات هنا وهناك وفرض سلطتها على مساحات واسعة من الأراضي في شمال مالي أو بوركينافاسو. ويمكنها بعد ذلك استئناف حملة من الهجمات الإرهابية التي تستهدف المدنيين والمصالح الغربية في باماكو (مالي)، أو واغادوغو (بوركينا فاسو)، أو نيامي (النيجر)، كما حدث بين عامي 2015م و2018م[22].

من الواضح أن أسباب أزمات دول (مالي وبوركينافاسو والنيجر) تحتاج من القادة الشعبويين الذين استغلوا ثورة الإحباطات المتزايدة لدي الشباب في الدول الثلاث أن يعملوا على إصلاح هياكل الحكم، تقوية النسيج الاجتماعي من خلال إزالة كل مظاهر الغبن والتهميش بناء القوات النظامية من جيش وشرطة وأمن على أسس قومية متنية حتى تتمكن هذه القوات من فرض هيبة الدولة ،إعاد العسكريين إلى ثكناتهم ،ومن ثم الانتقال إلى ديمقراطيات تعددية ترسخ لدولة القانون، بالاضافة إلى اقامة علاقات خارجية متوازنة تقوم على مبدأ المصالح والاحترام المتبادل.

المطلب الخامس: المستقبل الجيوسياسي لدول مالي وبوركينافاسو والنيجر

يزعم قادة الجدد في كل من مالي وبوركينافاسو والنيجر أنهم جاءوا بهدف احداث لتصنع تحولات جذرية في إعادة بناء دولهم وفق منظومة التحرر من التبعية للقوى الاستعمارية (فرنسا) ،وتحرير الثروات والموارد ،ومكافحة الإرهاب والفساد ،وإعادة تحديد الأولويات في العلاقات الخارجية ،بعد أن تأكدوا من فشل التجارب الديمقراطية في بلدانهم كونها كانت مغشوشة من الأساس ولم تعبر عن إرادة الشعوب، وإنما عملت على تكريس سلطات تدور في فلك القوى الكبرى وتخدم مصالح أطراف بعينها داخليًا وخارجيًا. وفي سبيل ذلك تحقيق ما ذهب إليه قادة الدول الثلاث تم توقيع اتفاقًا أمنيًا تعهدت فيه تلك الدول بمساعدة بعضها البعض في حالة وقوع أي تمرد أو عدوان خارجي ،وجاء في ميثاق الاتفاق المعروف باسم تحالف دول الساحل أن "أي اعتداء على سيادة وسلامة أراضي طرف أو أكثر من الأطراف الموقعة سيعتبر عدوانًا على الأطراف الأخرى" ،وأضاف أن الدولتين الأخريين ستقدمان المساعدة بشكل فردي أو جماعي ،بما في ذلك استخدام القوة المسلحة. وفي هذا إشارة واضحة للتخلص من الوجود العسكري الفرنسي الذي كان يوفر الأمن لهذه الدول إلى حد ما كغطاء لنهب ثرواتها. ولكن في ما يبدو أن الفراغ الأمني الذي تركه انسحاب الوجود العسكري الفرنسي في هذه الدول صعّب على قادتها الجدد ملأه وذلك بسبب هشاشة مؤسساتها الأمنية من جيش وشرطة وأمن ،ولعل القادة أنفسهم دللوا على ذلك من خلال استعاضة النفوذ الفرنسي بالروسي (فاغنر).

أما في ما يلي الشأن السياسي والاقتصادي عمد قادة الدول الثلاث إلى الانسحاب من المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا[23] ،كونها في نظرهم خانت مبادئها التأسيسية ،وأصبحت تشكل تهديدا لدولها الأعضاء وسكانها الذين من المفترض أن تضمن سعادتهم وذلك بخضوعها لتأثيرات القوى الأجنبية.

ولا يُستبعد أن تشهد الفترة القادمة إقدام قادة الدول الثلاث على تشكيل فضاء إقليمي جديد برؤية سياسية واقتصادية جديدة، وبخطة عمل أكثر إيجابية في التعامل مع القوى الإقليمية المؤثرة، التي في مقدمتها المغرب الذي فتح المجال واسعًا أمام هذه دول بمبادرة الطريق إلى الأطلس التي أعلنها العاهل المغربي الملك محمد السادس في السادس في نوفمبر 2023م،

---

[22].عبد الرحمن ،حمدي ،استشراف الاتجاهات الكبرى في الساحل الإفريقي 2024م، مرجع سابق.

[23].المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا والتي تعرف اختصارًا بالفرنسية بـ"سيدياو" وبالإنجليزية بـ "إيكواس" هي منظمة سياسية واتحاد اقتصادي إقليمي يتكون من 15 دولة تقع في منطقة غرب إفريقيا ،أعلن عن تأسيسها في الخامس والعشرين من مايو 1975م بموجب اتفاقية لاغوس، ويقع مقرها في أبوجا عاصمة نيجيريا، ولغاتها الرسمية هي الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية. ودول المجموعة هي: غامبيا وغينيا وغينيا بيساو وليبيريا ومالي والسنغال وسيراليون وبنين وبوركينافاسو وغانا وساحل العاج والنيجر ونيجيريا وتوغو والرأس الأخضر. وقد انضمت كل هذه الدول المجموعة في دورتها التأسيسية في مايو 1975م ،باستثناء الرأس الأخضر التي انضمت سنة 1976م.

حين دعا إلى تمكين مجموعة دول الساحل والصحراء من الولوج إلى المحيط الأطلسي للاستفادة منه، معتبرًا أن "نجاح هذه المبادرة يبقى رهينًا بتأهيل البنيات التحتية لهذه الدول ،والعمل على ربطها بشبكات النقل والتواصل بمحيطها الإقليمي". وفي الثالث والعشرين من ديسمبر 2023م، اتفق وزراء الدول الثلاث ،خلال اجتماعهم بمدينة مراكش المغربية ،على إنشاء فريق عمل وطني في كل دولة لإعداد واقتراح سبل تفعيل المبادرة، كونها توفر فرصًا كبيرة للتحول الاقتصادي للمنطقة برمتها،بما ستسهم فيه من تسريع للتواصل الإقليمي وللتدفقات التجارية ومن رخاء مشترك في منطقة الساحل.

من الواضح أن قادة الدول الثلاث (مالي وبوركينافسو والنيجر) إدركوا حقيقة مفادها أن فرنسا ظلت تمارس ضغوطًا على دولهم ،عبر سياسة العصا والجزرة ،للحفاظ على مكاسبها الاقتصادية في ملكية الموارد القيمة بالمنطقة ،وفي سبيل ذلك استفادة حتى من وجود حركات إرهابية عديدة ،للحفاظ على شرعية لوجودها في المنطقة. وأن وجودها العسكري قوض إلى حد كبير الأمن والاستقرار والسيادة في الدول الثلاث، وقد آن الأوان لتخلص من هيمنة فرنسا والتبعية لها. ولكن سيظل التحدي الحقيقي الذي يواجه قادة هذه الدول الثلاث بعد خروجهم من العباءة الفرنسية هو بناء هياكل حكم حقيقية في دولهم وذلك من خلال بسط أمن حقيقي قائم على أسس العدالة الاجتماعية التي مفتاح استقرار الدول.

الخاتمة:

من الواضح أن دول الساحل والصحراء المتمثلة في مالي وبوركينافاسو والنيجر أصبحت بصورة جلية تسعى بشكل كبير لتحقيق مكانتها في النظام الدولي كدول مستقلة ذات سيادة ،وذلك من خلال بسط سيطرتها على أراضيها والتحكم في مواردها واستغلالها لصالح شعوبها بعيدًا عن هيمنة الدول الكبرى ،حتى يتسنى لها تطوير نفسها عبر إعداد إستراتيجيات أمنية وسياسية واقتصادية تضمن لها استقلالها وسيادتها. ومن هنا يمكن أن نستنتج من هذه البحث ما يلي:

1. أن دول الساحل والصحراء (مالي وبوركينافاسو والنيجر) راغبة بشدة في التحرر من النفوذ الفرنسي.

2. أن فرنسا ظلت تستغل هشاشة أنظمة الحكم في دول الساحل

والصحراء التي هي السبب الرئيسي فيه لضمان بقاءها في المنطقة.

3. أن دول الثلاث (مالي وبوركينافاسو والنيجر) تعاني من ضعف المستوي الاجتماعي الذي ظلّ سيظل يؤثر سلبًا على المستويين السياسي والاقتصادي.

توصيات:

1.على دول الساحل والصحراء (مالي وبوركينافاسو والنيجر) أن لا تبدّل نفوذ بنفوذ (فرنسي بروسي) وإلا لا معنى للتحرر وتحقيق مبدأ المصالح المشتركة والاحترام المتبادل.

2. على الدول الثلاث (مالي وبوركينافاسو والنيجر) أن تعمل على تقوية نسيجها الاجتماعي الذي ستكون ثمرته تقوية هياكل الحكم وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي فيها.

3. على الدول الثلاث (مالي وبوركينافاسو والنيجر) أن لا تخرج من أي من المجموعات في محيطها الإفريقي ،بل عليها أن تدافع عن وجهات نظرها من داخل هذا المجموعات.

المصادروالمراجع:

- **كتب**

1.Johamie Carson, Armed Colin,Defis securitaires transationnaus En Afrique, revue Internationale El Strategique.N79.2010.

2.Thomas Fozen Kwanke.Le politique africaine de la France 1981-1986,these de doctorat d'Etat. Universite de Droit et de Sciences sociales. Paris II.1988.

3.Michael Merlingen and Rasa Ostrauskair e. European Union Peacebuliding and Policing Governance and the European Security and Defence Policy(New York Routledge.2006).

4.Angel Rabasa [et al] "Ungoverned Territories Understanding and Reducing Terrrorism Risk" United States American. RAND Corporation (2007).

- **مجلات دورية**

5.أبو ضيف،فاروق حسين، النيجر ما بين التنافس الروسي الفرنسي، مجلة آفاق إستراتيجية ،العدد8 ،ديسمبر2023م.

- **أطاريح**

6.رشاش،وحيد ،السياسة الأمنية الفرنسية تجاه الساحل الإفريقي أنموذج المنطقة الفرانكفونية (الجزائر): إشراف: باديس بن حدة، دراسة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص:دراسات إستراتيجية، جامعة تبسة،كلية الحقوق والعلوم السياسية،قسم العلوم السياسية (الجزائر)، السنة الجامعية 2014م/2015م.

- **تقارير**

7.تقرير:نهاية أدوار باريس، لماذا قررت دول الساحل طرد فرنسا؟، موقع شبكة الجزيرة الإعلامية الإلكتروني، تاريخ النشر: 1 أكتوبر 2023م، تاريخ التصفح 22يونيو2024م الساعة 8:19م.

الرابط:/https://www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net/amp/midan/reality/politics

8.تقرير: الموقع الإلكتروني لمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. تاريخ النشر: 6ديسمبر2021م، تاريخ التصفح 21يونيو2024م الساعة 8:41م.

الرابط:/https://acpss.ahram.org.eg/News

- **مو اقع إلكترونية**

9.الحرب في مالي،موقع مقاتل الصحراء الإلكتروني.تاريخ التصفح:4يوليو2024م،الساعة: 10:12ص.

الربط: /http://www.moqatel.com.openshare/Behot

10.لمحة موجزة عن دولة بوركينافاسو ، الموقع الأوربي للأخبار الالكتروني. تاريخ النشر: 31أكتوبر 2014م ،تاريخ التصفح: 4يوليو2024م ،الساعة: 10:15ص.

الرابط: https://arabic.euronews.com

11.ملف معلومات جمهورية النيجر، موقع إفريقيا الإلكتروني. تاريخ التصفح:4يوليو2024م ،الساعة:10:19ص. الرابط: https://africa.sis.gov.eg/

12.الموقع الإلكتروني لشبكة الجزيرة الإعلامية. تاريخ النشر: 1أكتوبر 2023م، تاريخ التصفح 22يونيو2024م الساعة 8:19م.

الربط: https://www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net/amp/midan/reality/politics/

13.عبد الرحمن ،حمدي ،استشراف الاتجاهات الكبرى في الساحل الإفريقي 2024م، الموقع الإلكتروني لمركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،أبوظبي (الأمارات العربية المتحدة) ،5 يناير 2024م ،تاريخ التصفح 21يونيو2024م ،الساعة 8:45م

الربط:https://www.futureuae.com/ar-AE/Mainpage/term/

14.الأسود، الحبيب ،النيجر ومالي وبوركينا فاسو تشكل فضاء إقليميًا جديدًا في غرب أفريقيا، موقع العرب الإلكتروني، تاريخ النشر 30يناير2024م ،تاريخ التصفح: 28يونيو2024م. الساعة:1:53م.

الرابط: https:/www.google.com/amp/s/www.alarab.co.uk/

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

السياسة الخارجية المغربية و تفاعلاتها الإقليمية و الدولية

Moroccan foreign policy and its regional and international interactions

العلاوي محمد

أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن زهر باكادير

ملخص الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لتحاول مقاربة كيفية صناعة السياسة الخارجية المغربية و تفاعلاتها مع محيطها الإقليمي و الدولي، حيث إستعرضت المتدخلين في صناعة قرار السياسة الخارجية المغربية، و تم إبراز الدور المحوري للملك ، على إعتبار أنها مجال محفوظ له ، يمتلك فيه زمام المبادرة و يوجه و يطرح الإستراتيجيات و يشرف بشكل مباشر على تنفيذها و توجيهها ، في مقابل الدور التنفيذي الذي يجسده رئيس الحكومة ووزير الخارجية و باقي الوزراء، في حين ينحصر دور البرلمان و الأحزاب السياسية في شرح و تسويق التوجهات الملكية في المجال الخارجي.

ثم في مستوى ثاني تطرقت الدراسة لمختلف مستويات التأثير و التأثر التي يعرفها الفعل الخارجي المغربي، خاصة في ضوء الموقع الاستراتيجي المغربي و سياسة الاعتدال الذي ظل يتميز بها المغرب، إذ يبرز التأثير الكبير الذي يمثل المغرب في الساحة العربية و مؤسساتها ، و في قضاياها المشتركة ، خاصة القضية الفلسطينية التي يرأس المغرب فيها لجنة القدس ، كما تطرقت الدراسة للعلاقات المغربية الإفريقية و تطورها الذي تزكى بالعودة المغربية لمنظمة الإتحاد الإفريقي، ثم تناولنا الشراكة المغربية / الأوروبية في ضوء الشراكة الأورو- متوسطية.

الكلمات المفتاح: السياسة الخارجية، المغرب، الفاعلون ، التفاعلات، التعاون المغربي/العربي، العلاقات المغربية الأوروبية، الشراكة الأورو-متوسطية، إفريقيا و المغرب، الفعل الخارجي المغربي، الإستراتيجية ،موقع المغرب .

Abstract :

How to make foreign policy in morocco , and what the interactions in the level regional and international? This is the question which wants study answer.

Firstly there are many actors build the Moroccan foreign policy, but the most important of them is the king ,who make the strategy and give the instructions to the prime minister and others ministers, also the parliament and parties has an explanatory role in moroccos foreign policy.

Secondly this study tray to explain the interactions between morocco and others regions whith her strategic location and moderate approach, especially in the arabe world , and Africa and with Europe in euro-Mediterranean partnership.

Keywords: Foreign policy, Morocco, actors, interactions, Moroccan/Arab cooperation, Moroccan-European relations, Euro-Mediterranean partnership, Africa and Morocco, Moroccan external action, strategy, Morocco's position.

مقدمة

لا مندوحة من الإقرار أن الدارس لطبيعة النظام السياسي المغربي يصل إلى العديد من الخلاصات التي تميز البنية السياسية المغربية سواء في مستواها الداخلي أو الخارجي، حيث يبرز الملك باعتباره الفاعل الأساس في البنية الداخلية

للنظام، وكذا في العلاقات الخارجية للمملكة، فهو "رئيس الدولة، وممثلها الأسمى، ورمز وحدة الأمة، وضامن دوام الدولة واستمرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور، وحسن سير المؤسسات الدستورية، وعلى صيانة الاختيار الديمقراطي، وحقوق وحريات المواطنين والمواطنات والجماعات، وعلى احترام التعهدات الدولية للمملكة. الملك هو ضامن استقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة" ، كما جاء في الفصل 42 من دستور المملكة المغربية لسنة 2011.

بيد أن محورية الدور الملكي لا تنفي وجود العديد من المتدخلين الآخرين الذين يشكلون تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على مستوى قرار السياسة الخارجية المغربية فإلى جانب الحكومة وخاصة الوزير الأول و وزارة الخارجية ، نجد البرلمان وكذا الأحزاب السياسية المغربية وغيرها من الأنساق المؤثرة بشكل أو بآخر على سياسة المغرب الخارجية .

وأمام تعدد الفاعلين، تتعدد الجهات والأنساق التفاعلية التي يعرفها المغرب في علاقته بمحيطه الإقليمي الجهوي والدولي.

أولا : المتدخلون في السياسة الخارجية المغربية

مثل كل السياسات العامة تعتبر السياسة الخارجية منتوج للنسق السياسي المتواجد أو المهيمن داخل كل دولة، وبالنظر لكون المملكة المغربية هي ، ملكية دستورية، ديمقراطية برلمانية واجتماعية[24]، فالملك النواة الأساسية والموجه الأهم لكل التوجهات الخاصة بالدولة التي تشكل السياسة الخارجية إحدى تمظهراتها .

وعلى اعتبار أن الفعل الخارجي هو نتاج لتدخل العديد من الفاعلين تبرز ضرورة بيان دور كافة المتدخلين في صناعة قرار السياسة الخارجية المغربية. و التي يحتل الملك فيها مركز الصدارة.

أ/ السياسة الخارجية مجال محفوظ للملك

منذ الاستقلال منحت الدساتير المغربية المتعاقبة دورا محوريا للملك في بنية النظام السياسي المغربي ، بحيث يعتبر أمير المؤمنين ورمز الوحدة الوطنية والضامن لسيادة الدولة ، كما جاء في الفصل 19 من دستور 251996 ، وبفعل ذلك فالملك ليس مجرد فاعل من بين الفاعلين آخرين، بل هو يتجاوز ذلك بكونه واضع ومحدد التوجهات العامة للسياسة الخارجية المغربية ، وهذا ما يكرس خصوصية الدور الملكي في هذا الاتجاه.

<u>1 : المكانة الدستورية للملك</u>

يتمتع الملك باختصاصات دستورية هامة في البناء الدستوري للمغرب ، ما يبؤه مكانة خاصة في صياغة السياسة الخارجية.

فالملك يرأس المجلس الوزاري، الذي يتألف من رئيس الحكومة والوزراء،و ينعقد المجلس الوزاري بمبادرة من الملك، أو بطلب من رئيس الحكومة، كما جاء في الفصل 48 من دستور 2011. و من بين القضايا التي يتداول المجلس الوزاري فيها (الفصل 49):

- التوجهات الإستراتيجية و السياسة للدولة.
- إعلان حالة الحصار.
- إشهار الحرب.

[24] -الفصل الأول من الباب الأول ، أحكام عامة ،ظهير شريف رقم 91.11.1 ، صادر في 27 شعبان 1432، 29 يوليوز 2011، الجريدة الرسمية عدد 5964 ، 30 يوليوز 2011

[25] - كان يعتبر البعض أن هذا الفصل هو دستور داخل الدستور بما يمنحه من اختصاصات شاملة للملك ، الذي تم نسخه بالفصل 42 .

وجاء في الفصل الفصل55 من الدستور أن الملك يعتمد السفراء لدى الدول الأجنبية والمنظمات الدولية، ولديه يُعتمد السفراء، وممثلو المنظمات الدولية.

- يوقع الملك على المعاهدات ويصادق عليها، غير أنه لا يصادق على معاهدات السلم أو الاتحاد، أو التي تهم رسم الحدود، ومعاهدات التجارة، أو تلك التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، أو يستلزم تطبيقها اتخاذ تدابير تشريعية، أو بحقوق وحريات المواطنات والمواطنين، العامة أو الخاصة، إلا بعد الموافقة عليها بقانون.
- للملك أن يعرض على البرلمان كل معاهدة أو اتفاقية أخرى قبل المصادقة عليها.إذا صرحت المحكمة الدستورية، إثر إحالة الملك أو رئيس مجلس النواب، أو رئيس مجلس المستشارين، أو سدس أعضاء المجلس الأول، أو ربع أعضاء المجلس الثاني، الأمر إليها، أن التزاما دوليا يتضمن بندا يخالف الدستور، فإن المصادقة على هذا الالتزام لا تقع إلا بعد مراجعة الدستور.

وارتكازا على المكانة الدستورية يمكن للملك أن يحتكر القرارات الحاسمة أو المصيرية أو ما يسميه الأستاذ محمد ظريف بالقرار الاستراتيجي الذي تندرج ضمنه الوحدة الترابية[26].

فصفة أمير المؤمنين تعطي للملك دور الفاعل الأساس في البناء السياسي المغربي ككل وهذا التركيز على الجانب الديني يجعله صاحب القرار في النسق السياسي المغربي ، كما يعبر عن ذلك الأستاذ رشيد الهديگي في كتابه " السياسة الخارجية في ظل حكم الحسن الثاني « ... الشرعية الدينية عنصر أساس للسلطة الدينية...»[27]

وعلى العموم يمكن القول بأن الميكانزمات التقليدية للسلطة الملكية بالمغرب تتمفصل عبر طرق مختلفة، والتي حددها الباحث الاسباني "ميغيل هيرناندو دي لارامندي" في:

- **إبطال الطابع التعاقدي للبيعة**: عن طريق تحويلها إلى طقس يتم التعبير من خلاله عن الطاعة والولاء للملك، أمير المؤمنين، والذي يتم تجديده كل سنة بعد خطاب العرش(حفل الولاء).
- **توظيف العلماء:** لعب العلماء في التاريخ الحديث للمغرب دورا أساسيا بحيث أنهم كانوا يراقبون السلاطين ويعزلون أولئك الذين لا يحترمون الرسالة التي بايعتهم بالقسم من أجلها الأمة، لكن بإدماج العلماء في جهاز خاص من إدارة الدولة التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حدت الملكية من وظيفتهم المتجلية في المراقبة السياسة والدينية التي مارسوها سابقا في المغرب.[28]

وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية كما جاء في الفصل 53 من دستور المملكة، وتلك صفة تعطيه دورا بارزا في مجال الدفاع الوطني الذي يعتبر قطاعا جوهريا في السياسة الخارجية كما أن للملك الحق في توجيه خطبه لغرفتي البرلمان المغربي والأمة المغربية وذلك ما يدعم مكانته في توجيه مجال السياسة الخارجية .

كل هذه الاعتبارات الدستورية تزكي الطرح القائل بكون السياسة الخارجية المغربية " مجال محفوظ للملك"[29]. وهو ما يعطيه وضعية متقدمة في صناعة وقيادة السياسة الخارجية الشيء الذي زكته الممارسة الفعلية في الحقل الخارجي.

---

[26] - الحسان بوقنطار: السياسة الخارجية المغربية : الفاعلون والتفاعلات ، شركة بابل للطباعة والنشر، الرباط، 2002، ص : 18 .

[27] -Rachid alhoudaigui : la politique étrangère sous le règne de Hassan II , l'harmattan , Paris , 2003, p : 32

[28] - ميغيل هيرنادو دي لا رامندي : السياسة الخارجية للمغرب ، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، 2005 ، ص : 76
ولمزيد من التفاصيل حول تاريخ إمارة المؤمنين بالمغرب أنظر:
- عمر بندورو: النظام السياسي المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.
- امحمد المالكي: الدولة في المغرب العربي، الإرث التاريخي وأنماط المشاركة السياسية، المطبعة الوطنية، الرباط، 2001.

[29] - وقد استعمل مفهوم المجال المحفوظ لأول مرة في فرنسا مع قيام الجمهورية الخامسة.

2: محورية الدور الملكي في السياسة الخارجية

إذا كانت المكانة الدستورية للملك تبرز مدى فاعليته في صياغة السياسة الخارجية المغربية ، فإن الممارسة الملكية زكت تلك الخصوصية عبر تفعيل نظرية "المجال المحفوظ" للملك .

ويمكن استجلاء محورية الدور الملكي عبر ثلاث تجليات أساسية :

- التدخل المباشر في الاجتماعات واللقاءات الدولية ، ما يسمح له بإجراء مباحثات مع أهم رؤساء الدول والحكومات في العالم وهذا أساس "دبلوماسية ملكية" معتمدة على العلاقات الشخصية.
- إصدار قرارات ملكية يعين من خلالها مسئولين في الإدارة المركزية لوزارة الشؤون الخارجية، وكذا السفراء بالدول الأجنبية فبتوزيع هذه المراكز الرئيسية، وبالحفاظ على تلك الاتصالات بوتيرة غير منقطعة يكون الملك موجها أساسيا للفعل الخارجي.
- يقوم الملك أيضا بتنفيذ أجندة سياسته الخارجية بشكل مباشر عن طريق المستشارين الملكيين أو وزراءه أو ممثلي الأحزاب السياسية ، حيث يعمد الملك إلى إيفاد مبعوثين خاصين له لمعالجة بعض القضايا الحساسة.

ويبرز في هذا السياق ، الدور الكبير الذي لعبه بعض مستشاري الملك في شرح وتنفيذ التوجهات الملكية، كما هو الشأن بالنسبة للراحل " رضى كديرة " الذي لعب إلى جانب الملك الحسن الثاني دورا مهما في قضية الصحراء ، وكما هو الشأن بالنسبة للأستاذ عبد الهادي بوطالب وغيرهما[30] .

ونافل القول ، أن المكانة الدستورية للملك أعطته حيزا هاما في صياغة القرار الخارجي للمغرب ، حتى بات هذا الأخير في مجمله مجالا محفوظا له. بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو إلى أي حد يمتد هذا المجال المحفوظ ؟

لابد من الإشارة بداية أن فكرة المجال المحفوظ قد ظهرت لأول مرة في فرنسا، مع انبثاق الجمهورية الخامسة حيث تم طرحها من طرف "شابان دلماس" خلال مؤتمر الحزب الديغولي، وسار في نفس الاتجاه العميد "ڤديل" من خلال تقسيمه الثلاثي:

المجال المراقب.

المجال المفوض.

المجال المحفوظ الذي تندرج ضمنه السياسة الخارجية.

بيد أنه حتى في فرنسا، فإن هذه القراءة لا تستند على أي مرتكز دستوري، بل إنها اعتمدت على الدور المهيمن الذي لعبه الجنرال "دوغول" مؤسس الجمهورية الخامسة، والتي صاغها حسب تصوراته.في حين يعتبر الأستاذ الحسان بوقنطار ، أن فرضية المجال المحفوظ، تبدوا ضعيفة لجملة من الاعتبارات:

---

[30] - للمزيد من الاطلاع على دور مستشاري الملك في السياسة الخارجية انظر:
- عبد الهادي بوطالب: نصف قرن في السياسة، حاوره حاتم البطيوي، تقديم محمد سبيلا، منشورات الزمن، مطبعة نجاح الجديدة، الدار البيضاء، أكتوبر 2001.
- جون واتر بوري: أمير المؤمنين والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني ابو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الفني للنشر، الرابط، 2004، ص:386.
ثم أنظر: Rachid elhoudaigui , op. cit , pp :37/40

- تعقد المجال الخارجي وتنوع القضايا التي يطرحها، بشكل يفضي إلى تعدد المتدخلين في صنع القرار الخارجي، ومن ثم فإن القرارات في السياسة الخارجية تكون متنوعة وجماعية، وقد تتأثر بالمتغيرات الداخلية في علاقتها مع المحيط الخارجي.
- إن فرضية رجل الدولة كفاعل أوحد مستقل وعقلاني لم تعد مقبولة، حيث يتعدد المتدخلين في هذا المجال.

ويضيف الأستاذ بوقنطار أن الصعوبة التي يصطدم بها الباحث فيما يتعلق بمجتمعات مغلوقة، إنما تكمن في تشخيص الأجهزة أو المجموعات التي يمكن أن تساهم في القرار الخارجي فحتى على مستوى المقربين من الملك، وعلى خلاف دول أخرى، فإن الاختصاصات ليست موزعة بشكل واضح بين مستشاري الملك، كما أن الاختصاصات التي يمارسها باقي المتدخلين هي أساسا مبنية على مبدأ التفويض[31].

ولا تحدد ظهائر التعيين ذلك، باستثناء تعيين "أندري ازولاي" الذي نص ظهير تعيينه على تفرده بالشؤون الاقتصادية والمالية. ولم يتغير الأمر بعد رحيل الحسن الثاني فالمستشارون الذين عينهم الملك محمد السادس لم تحدد مجالات اختصاصهم، وبالتالي تظل هناك مجموعة من المعطيات الغائبة فيما يتعلق باتخاذ القرار، غير أن ذلك لا يمكن إلا أن يزكي الطرح القائل باحتكار الملك لهذا المجال.

ومجمل القول، أن الفاعل الأساس في مجال السياسة الخارجية المغربية يبقى هو الملك من خلال اتخاذه لمجمل القرارات الأساسية، وعبر توجيهه للفعل الخارجي ككل، بيد أن ذلك لا ينفي تدخل أطراف أخرى، حسب مستويات متفاوتة فيما بينها، في الإعداد والتأثير في صناعة قرار المغرب الخارجي.

ب: باقي المتدخلين في قرار السياسة الخارجي للمغرب

أمام الدينامية التي تعرفها العلاقات الدولية، والمتغيرات التي يشهدها المنتظم الدولي، بات واضحا أن مجال الفعل الخارجي الدولي عرف تنوعا من حيث المتدخلين، انسجاما مع قيمة التفاعلات التي يعرفها النسق الدولي، الأمر الذي جعل العديد من الوزارات تتدخل بشكل أو بآخر في السياسة الخارجية للدول.

والمغرب في إطار هذه التحولات الدولية، بات هو الآخر مع الاعتماد المتبادل بين الدول يعرف تدخلا متزايدا للوزارات التقنية في المجال الخارجي، ولا يستقيم الحديث عن الفاعلين في مستوى صناعة القرار الخارجي للمملكة دون الانعراج على باقي المتدخلين إلى جانب الحكومة، الممثلة في رئيس الحكومة ووزير الخارجية وبعض الوزارات التقنية، بالإضافة إلى أن الدبلوماسية البرلمانية والحزبية تعتبر مؤشرا آخر على تطور وتعدد الأنساق والفاعلين في صياغة السياسة الخارجية.

1: الحكومة وتنفيذ السياسة الخارجية

طبقا للفصل92 من بين ما يتداول فيه مجلس الحكومة، تحت رئاسة رئيس الحكومة:

- السياسة العامة للدولة قبل عرضها على المجلس الوزاري

- السياسات العمومية

[31] - عبد الواحد الناصر: التطبيقات المغربية لقانون العلاقات الدولية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، يوليوز 2004، ص:43.

- السياسات القطاعية

- القضايا الراهنة المرتبطة بحقوق الإنسان وبالنظام العام

- المعاهدات والاتفاقيات الدولية قبل عرضها على المجلس الوزاري

يطلع رئيس الحكومة الملك على خلاصات مداولات مجلس الحكومة.

1: رئيس الحكومة

بالنظر لكون المغرب ملكية دستورية، يبرز دور رئيس الحكومة في السياسة العامة للدولة ضمن نطاق وحيز محدود، حيث ليس له الإمكانية للتصرف والفعل في الميدان الخارجي إلا ضمن التوجيهات الملكية، بالرغم من التطور الذي عرفته مؤسسة رئيس الحكومة الذي بات يتدخل إلى حد ما في مجال التعيين عن طريق الاقتراح وتنفيذ القوانين، كما ينص على ذلك الفصلين 91 و 92 من الدستور المغربي.

وبالعودة للمكانة الدستورية لرئيس الحكومة، فإن وظيفته والصلاحيات الممنوحة له تبقى ضيقة في مجال السياسة الخارجية بالنظر لارتباطه المباشر بالملك .

بيد أن كل ذلك، لا ينفي الدور المتنامي لمؤسسة رئيس الحكومة في المجال الدبلوماسي، فبحكم علاقاته التي نسجها خلال تواجده بفرنسا، وكذلك رصيده النضالي، فقد قرر الوزير الأول السابق عبد الرحمان اليوسفي إبان فترة توليه منصب الوزير الأول[32] في حكومة التناوب[33]، استثمار تاريخه النضالي والشخصي لتحريك الدبلوماسية المغربية، تشهد على ذلك الزيارات المتعددة التي قام بها لعدد من الأقطار الإفريقية والآسيوية والأوروبية واللاتينو- أمريكية وكذلك العربية [34].

ومجمل القول أن مشاركة رئيس الحكومة في رسم السياسة الخارجية كانت دائما محدودة، وهي تبقى رهينة بشخص الوزير ورغبة المؤسسة الملكية فقط، إذ حددت وظائفه أساسا في محاولة ضمان الانسجام في العمل الحكومي المغربي على مستوى السياسة الخارجية.

رغم أنه أنه يشارك ولو بشكل متقطع في تنفيذ هذه السياسة وذلك برئاسته للوفود المغربية على المستوى الدولي والإقليمي، والتي قد تبعث لحضور الندوات الدولية التي تتم فيها مناقشة القضايا التي تهم المملكة.

2: وزير الخارجية وباقي الوزراء

باستقراء الهيكل التنظيمي لوزارة الخارجية[35] يمكن القول أنه تم العمل على تقسيم الوزارة إلى عدة مديريات:

- مديرية الشؤون القنصلية والإجتماعية .
- مديرية المشرق والخليج والمنظمات العربية والإسلامية

[32] - منذ دستور 2011 أصبح يطلق على الوزير الأول رئيس الحكومة

[33] - Abdelhak JANATI- IDRISSI : La politique étrangère du Maroc d'après la déclaration de politique générale du premier gouvernement d'alternance, RMEI, N°2, Rabat, Janvier 1999, pp :109-118

[34] - ترأسه اللجان العليا التي أحدثت بين المغرب وعدة دول عربية، أنظر: الحسان بوقنطار، المرجع السابق، ص: 31.

[35] – المرسوم رقم 2 – 94 – 864 بتاريخ 20 يناير 1995 المتعلق بتنظيم واختصاصات وزارة الشؤون الخارجية المغربية، منشور بالجريدة الرسمية عدد 42940 بتاريخ 25 يناير 1995.

- مديرية الشؤون الإفريقية.
- مديرية الشؤون الأوروبية.
- مديرية الاتحاد الأوروبي والمسلسلات المتوسطية.
- مديرية الشؤون الأمريكية.
- مديرية الشؤون القانونية والمعاهدات.
- مديرية الأمم المتحدة و المنظمات الدولية.
- مديرية التعاون المتعدد الأطراف و الشؤون الإقتصادية الدولية.
- مديرية الفضايا الشاملة.
- مديرية التنمية والتعاون الإقتصادي.
- مديرية التعاون و العمل الثقافي.
- مديرية التشريفات:.
- مديرية الموارد البشرية:.
- مديرية الشؤون المالية و نظم المعلومات و اللوجستيك.

بالإضافة للكتابة العامة و المفتشية العامة، المديرية العامة للعلاقات الثنائية والشؤون الجهوية و المديرية العامة للقضايا المتعددة الأطراف والشاملة ثم المديرية العامة للتنمية الاقتصادية والعمل الثقافي والدبلوماسية العامة.
و طبقا للمرسوم رقم 2.11.428 الصادر في 7 شوال 1432 (6 شتنبر 2011) المحدد لاختصاصات وتنظيم وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج، تتولى الوزارة توجيه العمل الدبلوماسي المغربي وتنمية التعاون الدولي وتنسيق جميع العلاقات الخارجية والحرص على التوفيق بينها وبين سياسة المغرب الخارجية.
كما يعهد إلى وزارة الشؤون الخارجية بالحرص على حماية المواطنين والمصالح والممتلكات المغربية بالخارج وعلى تيسير أسباب تطور أعمالهم والتكفل بما يرجع منها إلى اللاجئين وعديمي الجنسية المقيمين فوق التراب الوطني. و تتكون الشبكة الدبلوماسية المغربية حاليا من 104 بعثة دبلوماسية و57 مركزا قنصليا عبر العالم[36].

ويعتبر وزير الخارجية المنفذ لسياسة خارجية لا يتدخل دائما في رسمها، لكنه قد يؤثر بشكل أو بآخر في إقرارها عبر اتصالاته مع الملك ومستشاريه؛ وعموما يمكن إجمال وظائف وزير الخارجية في:

[36] -موقع وزارة الشؤون الخارجية و التعاون الإفريقي و المغاربة المقيمين بالخارج

- إعداد وتنفيذ السياسة الخارجية، بتنظيم اللقاءات والمؤتمرات الدولية التي يشارك فيها المغرب، وكذا إستقبال الدعوات الموجهة للمغرب لحضور اجتماعات بالخارج.
- تمثيل المغرب عند باقي الدول والمنظمات الدولية والجهوية وحماية الرعايا المغاربة في الخارج عبر القنوات الدبلوماسية والقنصلية.
- الإعداد والتنسيق في المفاوضات وكذا التوقيع أو التجديد أو الطعن أو المصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات والبرتوكولات والقوانين الدولية باسم الحكومة. ووزارة الشؤون الخارجية هي الجهة الوحيدة المؤهلة، بتنسيق مع الأمانة العامة للحكومة للسهر على نشر ذلك وتسجيله لدى الأمانة العامة للأمم المتحدة.
- إخبار أعضاء الحكومة باستمرار بالتطورات على المستوى الدولي، وبوضعية العلاقات الدولية المغربية، وبمختلف المبادرات التي قامت بها مختلف الوزارات.
- التنسيق في جميع النشاطات المتعلقة بمصالح المغرب المتواجدة خارج التراب الوطني.
- تشجيع التعاون مع الدول والمنظمات الدولية في المجالات الاقتصادية، والمالية والتجارية والثقافية والعلمية التقنية .

ونافلة القول أن وزير الخارجية، بقدر ما تتعدد الوظائف المنوطة به، بقدر ما تبرز تبعيته للملك في صياغة قرار السياسة الخارجية حيث أن وزارة الخارجية هي في الواقع جهاز لخدمة وتنفيذ التوجهات الملكية في هذا المجال .

وأمام التحديات التي باتت تفرضها العولمة في الألفية الثالثة، أصبحت الوزارات التقنية هي الأخرى تلعب دورا متناميا في التأثير وصياغة السياسة الخارجية بشكل عام.

فالمغرب لا يشذ عن هذه الظاهرة، وإن كان بشكل محتشم إلى حد ما، بالنظر إلى أن سياسته الخارجية، تحكمها ثوابت وأسس مرتبطة بنظامه الدستوري من جهة، ومن جهة ثانية لاقتصار تلك الوزارات القطاعية على توقيع بعض الاتفاقيات والبروتوكولات التي تأتي في صياغة تنفيذ التوجهات العامة للمملكة التي يحددها الملك*، اعتبارا لمكانته الدستورية كما أشرنا إلى ذلك في ما سبق من القول.

3/ الدبلوماسية البرلمانية والحزبية ودورها في الفعل الخارجي المغربي

لا مندوحة من القول أن طبيعة النسق السياسي المغربي هي التي هيكلت وحددت مسارات الدبلوماسية المغربية، بالرغم من تعدد المتدخلين فيها. ورغم أن من أهم سمات وخصائص النظام السياسي للمغرب، الوضع الخاص الذي تتمتع به المؤسسة الملكية، مقارنة بباقي القوى والمؤسسات السياسية الأخرى، فإن ذلك لا يلغي بالمطلق تدخل باقي القوى بشكل أو بآخر في الشرح والتأثير على الأقل في المجال الخارجي.

وتأتي المؤسسة التشريعية بمجلسيها، على رأس تلك المؤسسات التي يتزايد تدخلها في السياسة الخارجية المغربية، إلى جانب الأحزاب السياسية، بما لها من إرث تاريخي ونضالي، والتي تتفاوت تدخلاتها بحسب الراهنية السياسية بالمغرب، وبحسب تموقعها داخل النسق العام، هل هي في المعارضة أم في الحكومة؟

* الإشارة هنا للدور الذي تلعبه وزارة الداخلية مثلا في قضية الهجرة وقضايا المغرب الترابية، ثم وزارة الصيد البحري في مفاوضات ملف الصيد البحري مع الاتحاد الأوروبي، ودور باقي الوزارات التقنية كالمالية والاقتصاد والنقل...

أ- البرلمان: فاعل ثانوي

تعتبر المؤسسة التشريعية في سائر الدول المعاصرة، جهازا لسن القوانين والمصادقة على الاتفاقيات الموقعة بين الدول، وإذا ما استثنينا حالة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يلعب الكونغرس الأمريكي دورا رائدا في التأثير ورسم معالم السياسة الخارجية الأمريكية، فإن جل البرلمانات المعاصرة يبقى تدخلها مجرد دور تكميلي لدور السلطة التنفيذية، ويرجع البعض أسباب ذلك إلى:

- الأنظمة الانتخابية.
- نظام الأحزاب.
- شخصنة السلطة[37]، بالإضافة إلى أخرى كالديناميكية التي تعرفها العلاقات الدولية.

وبالنسبة للحالة المغربية فقد احتل مجلس النواب مكانة هامشية في الحياة السياسية المغربية، سواء بسبب الدور المحدد له دستوريا، أو بسبب عدم قدرة الجهاز التشريعي على رفع التحديات المناطة به. وعلى ضوء تلك الاعتبارات وغيرها، كيف إذن يمكن توصيف العمل البرلماني بالمغرب في صياغة السياسة الخارجية؟

بالعودة للدستور المغربي ، يمكن استشفاف أهم الاختصاصات الممنوحة للبرلمان في الحقل الخارجي، حيث يعطي الدستور المغربي للبرلمان، في فصله 55، الأحقية في المصادقة على الاتفاقيات التي تلزم مالية الدولة أو تلك التي تهم الحدود و السلم و الإتحاد، وينص على أنه "يوقع الملك على المعاهدات ويصادق عليها، غير أنه لا يصادق على معاهدات السلم أو الاتحاد، أو التي تهم رسم الحدود، ومعاهدات التجارة، أو تلك التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، أو يستلزم تطبيقها اتخاذ تدابير تشريعية، أو بحقوق وحريات المواطنات والمواطنين، العامة أو الخاصة، إلا بعد الموافقة عليها بقانون. كما يعرض الملك على البرلمان كل معاهدة أو اتفاقية أخرى قبل المصادقة عليها.

إذا صرحت المحكمة الدستورية، إثر إحالة الملك أو رئيس مجلس النواب، أو رئيس مجلس المستشارين، أو سدس أعضاء المجلس الأول، أو ربع أعضاء المجلس الثاني، الأمر إليها، أن التزاما دوليا يتضمن بندا يخالف الدستور، فإن المصادقة على هذا الالتزام لا تقع إلا بعد مراجعة الدستور.

وبالقراءة المتأنية لهذا الفصل و الممارسة العملية يمكن تسجيل العديد من الملاحظات:

- نسبة المعاهدات التي يرخص لها البرلمان بالمصادقة عليها يبقى ضئيلا.
- مفهوم المعاهدات التي تكلف مالية الدولة يبقى غامضا وعاما، يفتقر للدقة والمعايير الموضوعية التي تضبطه.

وإذا كان النص الدستوري لم يعطي صلاحيات كبيرة للبرلمان في صياغة السياسة الخارجية، فإن الممارسة البرلمانية، من خلال آليات المراقبة السابقة واللاحقة أعطت للسلطة التشريعية دورا مؤثرا، إلى حد ما في بناء القرار الخارجي، حيث يقوم مجلس النواب بالمغرب، ومجلس المستشارين، بمراقبة مهمة على المجال الخارجي والعلائقي للمغرب، ويرتبط ذلك بشكل كبير بالإجماع الوطني، الذي تفرضه ضرورات مرحلية معينة[38].

1 - مرسيل ميرل : السياسة الخارجية، ، ترجمة خضر خضر، طبع سوشبرس ، بدون تاريخ: ص 49 .
[38] - الإشارة هنا للإجماع الذي شكلته قصية المغرب الأولى، إبان إسترجاع الصحراء، والإنفتاح الكبير الذي شهده المشهد السياسي بالمغرب.

ويمكن إجمال تدخل البرلمان إذن عبر صيغ متعددة، من قبيل الأسئلة الشفهية والكتابية، أو عبر اللجان البرلمانية، ومن خلال المصادقة على الميزانية، والمصادقة على الإتفاقيات التي تلزم مالية الدولة. إلا أن ما يمكن تسجيله في سياق تحليل وإبراز دور الدبلوماسية البرلمانية المغربية، هو احتشامها وقلة فعاليتها، بالإضافة إلى دورها التابع والشارح للتوجهات الملكية الخارجية. حيث تشتغل الدبلوماسية البرلمانية بالمغرب عبر:

- تمتين العلاقات مع البرلمانات الأخرى بالعالم، والمشاركة في اللقاءات والمؤتمرات الدولية للبرلمانات.
- إرسال وفود برلمانية لشرح والدفاع عن الأطروحات المغربية في شأن القضايا الوطنية.
- دعم التوجهات الملكية من خلال جلسات استثنائية لمجلس النواب لتجديد الإجماع الوطني حول القضايا الترابية للمغرب.
- إصدار توصيات ومقررات متعلقة بمواضيع دولية راهنة، كالقضية الفلسطينية كرد فعل يتماشى مع التوجهات الحكومية والرأي العام بالمغرب.

خلاصة القول، إن مشاركة البرلمان المغربي في الحياة الدبلوماسية يقتصر على دور الشارح والمساعد لسياسة خارجية لا يشارك في صياغتها بقدرما يعمل على تسويقها ونشرها.

ب- الأحزاب بالمغرب ودورها في السياسة الخارجية

بالنظر للدور الذي أضحت تلعبه الأحزاب السياسية، خصوصا في ما يتعلق بخلق نوع من الوحدة العضوية بين الجهازين التشريعي والتنفيذي، المرتبطة بتجانس الأغلبية البرلمانية مع الحكومة القائمة، باتت تؤثر بشكل كبير في التوجهات الخارجية للدول.

ولعل الحديث عن الدور الدبلوماسي للأحزاب، يقودنا إلى تبني طرح الأستاذ "مرسيل ميرل" حيث يعتبر أن نظام الأحزاب يتفوق في أهميته على الأهلية الشكلية للأنظمة السياسية. إلا أن من الصعب تقييم دور الأحزاب بشكل خاص في إعداد السياسة الخارجية.

وباستقراء الصيرورة التاريخية الحزبية بالمغرب، نجد أن الأحزاب المغربية هي نتاج لعمل الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار، والتي تطورت فيما بعد لتقسم لأحزاب مختلفة من حيث التوجهات والمبادئ الإيديولوجية والفكرية.

وبدون الأخذ في الجدل الذي يعرفه المشهد الحزبي المغربي، ما بين يسار ويمين ووسط، يمكن استجلاء الدور الحزبي في الممارسة الخارجية للمغرب عبر العديد من الملاحظات:

- غياب رؤية واضحة لدى الأحزاب المغربية، لسياسية خارجية واضحة المعالم والتوجهات.
- الاهتمام بالقضايا الداخلية على حساب الخارجية، لاعتبارات انتخابية وأخرى سياسية.
- تشرذم وبلقنة المشهد الحزبي المغربي، لدرجة أصبح معها من الصعب التمييز بين أحزاب اليسار واليمين والوسط...
- تبني الطرح الرسمي في القضايا الخارجية.

ولعل ما يمكن تسجيله أيضا أن الفعل الحزبي في الشأن الخارجي غير منفصل عن العمل البرلماني في هذا الشأن، حيث يمثل البرلمان الساحة الأبرز للأحزاب المغربية لطرح أفكارها بالنسبة للسياسة الخارجية، حيث تعتبر لجنة الخارجية والدفاع الوطني والشؤون الإسلامية والمغاربة المقيمين في الخارج ، قبلة للنشطاء الحزبيين داخل البرلمان من أجل التأثير في توجهات وأطروحات تلك اللجنة، ومراقبة العمل الحكومي في هذا المضمار.

وإذا كانت الأحزاب السياسية المغربية لا تملك رؤى واضحة المعالم لتوجيه والتأثير في القرار الخارجي للمملكة، فإن نفس الملاحظة يمكن تسجيلها بالنسبة للرأي العام المغربي.

إلا أن ذلك لا ينفي وجود رأي عام بات يؤثر في القرار الخارجي للمملكة عبر وسائل الإعلام، وجمعيات المجتمع المدني، وإن كان ذلك لم يرق إلى المستوى الذي وصله الرأي العام في دول أخرى، كما هو الشأن لفرنسا.

ثانيا:المغرب في تفاعلاته مع محيطه الجيواستراتيجي

تنبلج العديد من التمظهرات والتمفصلات للسياسة الخارجية المغربية في تفاعلاتها بمحيطها الإقليمي، القاري والدولي.
فبالنظر إلى أن آليات السياسة الخارجية في واقع العلاقات الدولية الراهنة، يبرز أن تحقيق أهداف تلك السياسة رهين بتوفر مصادر قوة ذات تأثير، من قبيل القوة العسكرية، دينامية دبلوماسية، إمكانات إقتصادية، قدرات تكنولوجية، بالإضافة للقدرات الكامنة، كالموقع الإستراتيجي والمؤهلات البشرية، ما أصبح معه تحقيق رهانات أي سياسة خارجية فعالة، مرتبطة باستخدام تلك المقدرات في اتجاه يخدم المصالح الوطنية والقومية للدول.
وعلى إعتبار المؤهلات الإستراتيجية والديمغرافية، وكذا التوجهات الخاصة بالدولة المغربية، كيف يمكن وصف الدور الدولي والإقليمي للمغرب؟ وما هي مصادر القوة للدبلوماسية المغربية ؟ وهل بات المغرب بالفعل قوة إقليمية في شمال القارة السمراء ؟ وماذا عن علاقاته بمحيطه المغاربي والمتوسطي ؟ وهل لازال للمغرب نفس الزخم والدور في توجيه العلاقات البينية العربية، عبر ما يطلق عليه بدبلوماسية المؤتمرات؟! وكيف هو واقع و مستقبل العمل الدبلوماسي المغربي في عالم يتميز باللاإستقرار؟

أ/المغرب بين تميز موقعه الاستراتيجي ونهج الاعتدال

يعتبر موقع المغرب من أهم ما يتميز به إستراتيجيا، حيث أنه يشكل حلقة وصل بين الشمال والجنوب، كما يعطيه ذلك أفضلية في أي سياسة دولية أو إقليمية في حوض البحر الأبيض المتوسط أو شمال إفريقيا، كما أن الاختيارات المغربية منذ الاستقلال، زكت هذا المعطى بتبنيها لتوجهات معتدلة نحو القضايا والنزاعات الإقليمية والقارية، وذلك حتى خلال سياسة الاستقطاب التي عرفها العالم إبان الحرب الباردة.

1- المكانة الإستراتيجية للمغرب

جاء في كتاب التحدي للحسن الثاني أن: « المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوروبي. بيد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد

كذلك امتدادا أفقيا نحو الشرق (....) استرجع المغرب اليوم المكانة الذي كان –جغرافيا وتاريخيا وسياسيا- مكانه، فقد عاد أمة تركيب وجمع ووصل بين الشرق والغرب»[39]

فأهمية المغرب الإستراتيجية في البناء الجيو-استراتيجي العالمي، تظهر من خلال تموقعه في غرب العالم العربي، كما يدل على ذلك اسمه باللغة العربية، كما أنه البلد الإفريقي الوحيد الذي يتوفر على واجهتين بحريتين، متوسطية وأطلسية، كما يمنحه المدرج الشاسع المتكون من جبال الأطلس والريف ثلاثة أبعاد، البعد الأطلسي بمجموع هضابه وسهوله الشاسعة، والبعد المتوسطي، بالقوس الجبلي للريف الذي يعزل الواجهة المتوسطية عن باقي البلاد، ثم البعد الصحراوي الذي يربط المغرب بإفريقيا جنوب الصحراء.

كما أن مكانة المغرب الجيوبوليتيكية، تبرز من خلال محيطه المغاربي، العربي-الإسلامي والبعد الإفريقي- العالم ثالثي، وحتى البعد المتوسطي، وذلك ما أثر بجلاء على مضامين وتوجهات الدبلوماسية المغربية[40].

هذه الدبلوماسية تدرك أشد الإدراك، أنه من عناصر قوتها، إطلالة المغرب على واجهتين بحريتين، وقربه من أوروبا، التي تفصله عنها 14 كلم فقط، بالإضافة لانتمائه الإفريقي، العربي والإسلامي، فلهذه الاعتبارات الجغرافية والمكانية فإن الدبلوماسية المغربية تعتبر ذلك محفزا إستراتيجيا في توجهاتها وأهدافها[41]، ما يؤكد أهمية عنصر الجغرافيا في السياسة الخارجية للدول ومن ثم قوة العلاقة بين الجغرافيا والسياسة، أو ما أصطلح عليه بالجغراسيا، أو الجيوبوليتيك.

فرغم ظهور العديد من المتغيرات الدولية، في واقع العلاقات الدولية الراهن، من قبيل العولمة، وهيمنة القطب الأمريكي الأوحد، والإرهاب كظاهرة كونية، فإن الجغرافيا السياسية أو الجيوبوليتيك، التي ظهرت مع الباحث الألماني "راتزل" في نهاية القرن التاسع عشر، تبقى آلية أساسية، لفهم التحول الذي يعرفه المجال الدولي، من خلال بحث العلاقات القائمة بين الحقائق المكانية والعمليات السياسية، أو بعبارة أخرى تأثير الخصائص المكانية في السياسة الخارجية للدول[2].

فالمغرب بقربه من أوروبا، ظل على الدوام عرضة للأطماع الاستعمارية، ما جعله حلبة للتنافس الدولي، الذي ستحسمه فرنسا لصالحها بفرض معاهدة الحماية هي وإسبانيا على المغرب، وبعد فترة الاستعمار واستقلاله، بات القرب من القارة العجوز، عامل جذب وتأثير في مستويات مختلفة، فالطبيعة ، حسب الأستاذ "مارك بونيفوس MARC BONNEFOUS أعطته امتيازا، ليصبح الرابط بين قارتي أوروبا وإفريقيا[3].

كما أن امتداده الإفريقي ووجوده أقصى الغرب الإسلامي، يعطيه تميزا إستراتيجيا على مستوى خارطة العالم الإسلامي والعربي، مع ما يعنيه ذلك ، من كونه المملكة العلوية الشريفة الحافظة للوجود الإسلامي والعربي في تلك المنطقة، وتموقعه في حوض البحر الأبيض المتوسط، يعطيه أهمية كبيرة في كافة التصورات الخاصة بالمنطقة المتوسطية، حيث لا تستقيم أي مخططات أو تصورات بدون استحضار الدور المغربي في ذلك.

وتزداد أهمية المغرب الجيو-سياسية، من خلال طبيعة اختياراته السياسية والاقتصادية منذ حصوله على الاستقلال، ما أثر في مستويات دوائر التأثير والتأثر المحيطة به.

أ/ نهج الاعتدال كسمة متجددة للسياسة الخارجية المغربية

[39] - الحسن الثاني: التحدي، المكتبة الملكية، الرباط، 1983، الطبعة الثانية، ص: 295-297.

[40] - Therse Ben jelloun: Visage De La Diplomatie Marocaine Depuis 1844, Edition: Eddif, Casablanca Octobre 1991, P7.

[41] - علي كريمي: مكانة المغرب في العلاقات الدولية ....، مجلة نوافذ، العدد 19 ماي 2003، ص: 97.

[2] – لمزيد من الاطلاع على موضوع الجغراسيا أو الجيوبوليتيك أنظر: بيتر تيلور وكولن فلنت: الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة عبد السلام رضوان وإسحاق عبيد، عالم المعرفة، العدد 282 و 283، الكويت، يونيو 2002.

[3]- Marc Bonnfous: Le Maroc Carrefour Géopolitique, Géopolitique N° 57, Printemps 1997, P:120.

انطوى المجال السياسي للمغرب على تكوين مثير لم يخرج إلى الوجود عفوا، بل كان حصادا موضوعيا لسياق سياسي ولد مع الجراحة الاستعمارية للبلاد، ونما في كنف معطياتها السياسية، بإعتبارها دولة ملكية دستورية تقليدية متشبعة بنزر ما من العلاقات السياسية والإدارية الحديثة[42].

فبالإضافة لتأثير الموقع كان للخيارات التي سلكها المغرب بعد الاستقلال، الأثر الكبير في توجهاته الدبلوماسية.

إذ أنه رغم المرجعية الإسلامية والدينية، التي ظلت تهيمن على الخطاب الرسمي بالمغرب، باعتبار الملك أمير المؤمنين، ومنبع جميع السلط والاختصاصات، حسب تعبير الأستاذ محمد معتصم[43]، إلا أن المملكة العلوية هي في الآن نفسه، دولة منفتحة وذات توجهات ليبرالية في مستويات متعددة، خاصة الاقتصادية والسياسية. فمع حصول المغرب على استقلاله إبان فترة الثنائية القطبية والحرب الباردة، سينحو منحى الحياد وعدم الانحياز، مع ما يعنيه ذلك من الحفاظ على علاقات متوازنة مع الشرق الاشتراكي والغرب الرأسمالي، وذلك ما زكاه انخراطه في مجموعة دول عدم الانحياز، التي تم تأسيسها وإنشائها بين مجموعة من الدول الأفروأسيوية، في "باندوغ" ما بين 18 و 24 أبريل من سنة 1955.

بيد أنه لامندوحة من القول أن انخراط المغرب في هذا التوجه، كان بشكل مرن وسلس مع نزعة نحو الاقتراب من الغرب، ذي التوجهات الليبرالية المعتدلة، ما دلت عليه الممارسة الدبلوماسية للمغرب، عبر التدخل في قضية "الكونغو الديمقراطية"، من خلال بعث تجريدة عسكرية هناك إبان فترة الحرب التي كانت تعرفها تلك البلاد سبعينات القرن العشرين، ومع سقوط نظام يالطا، وبزوغ فجر نظام عالمي جديد، سيثبت المغرب جدوى اختياراته السياسية والاقتصادية، مع ما يضاف إلى ذلك من كونه مجالا حيويا للنظام والأمن الدوليين[44].

إن مغرب اليوم، ورغم كونه ليس من القوى الكبرى الموجودة في الساحة الدولية، أثبت عبر اختياراته وتدخلاته في القضايا الإقليمية، كقضية الشرق الأوسط، وترأسه للجنة القدس، ودعمه لعملية السلام ولتدخلات الأمم المتحدة والمنتظم الدولي، أنه محور أساس في الاستراتيجيات الدولية الراهنة والمستقبلية.

أو كما عبر عن ذلك الأستاذ خير الله خير الله، من أن دولة مثل المغرب ألفت استنشاق هواء الجغرافيا العربية والإسلامية، وتفاعلت دائما مع ما يحدث في المشرق، وحتى الغرب، لم يكن ورادا أن تنكفئ على ذاتها، لذلك تم إعتماد مفاهيم التضامن وتطوير العلاقات الاقتصادية والنهوض بالتنمية، وإستيعاب قيم الحداثة والديمقراطية[45].

فبات مغرب اليوم يسعى إلى تكريس مزيد من الانفتاح، وبناء شراكات متعددة الجوانب تتماشى وأهداف إستقطاب الاستثمارات وتأمين حضور البلاد بما يتوازى والمهام المنوطة بها إقليميا ودوليا.

فقد حافظ الملك محمد السادس على نهج والده في تبني سياسة الانفتاح والاعتدال وتقوية الشراكة مع دول الجوار، والحلفاء التقليدين للمغرب، من قبيل فرنسا، حيث أنه منذ توليه الحكم أكد نهجه لسياسة الاستمرارية من داخل التغيير[46]، عبر حفاظه على تقاليد العرش العلوي وطقوس إمارة المؤمنين، وإطلاقه لعديد من المبادرات والأوراش الوطنية، كمدونة الأسرة والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية، المعهد الملكي للأمازيغية...

---

[42] - عبد الاله بلقزيز: في تكون المجال السياسي الحديث في المغرب: محاولة في التحقيب، مجلة المستقبل العربي، عدد 274، 2002/10، ص: 106.

[43] - محمد معتصم: الحياة السياسية المغربية 1962-1991: التأويلات الدستورية، الممارسة السياسية للحكم، الظاهرة الأغلبية، وضعية المعارضة، قواعد اللعبة السياسية، المسلسلات الانتخابية، الحياة الحزبية، مؤسسة إيزيس للنشر الجامعي، الدار البيضاء، 1992، ص: 119.

[44] - MOHAMMED LARBI BEN OTHMANE : la politique étrangère du Maroc : les invariantes et les changements, prologue N° 16. 1999. P: 63

[45] - خير الله خيرالله: المغرب في عهد محمد السادس: ماذا تغير..، دار الساقي، الطبعة الأولى، المغرب، 2007، ص: 70.

[46] - HAKIM EL GHAISSASSI, regard sur le Maroc de Mohammed VI, éditions MICHEL LAFON, France, 2006, P: 61.

فكيف إذن يمكن استجلاء علاقة المغرب بالأنساق المحيطة به جهويا وإقليميا، في سياق الدفاع عن المصالح الوطنية ؟ وما مدى قدرة المغرب على التأثير في النسق الإقليمي والدولي، عبر تحركات الدبلوماسية المغربية ؟

2/ تفاعلات المغرب مع محيطه الإقليمي والدولي

أهل الموقع الاستراتيجي الذي يحتله المغرب، الدبلوماسية المغربية لصياغة علاقات مميزة مع محيطه الجهوي القاري والعالمي، ودفع لصياغة سياسية خارجية مغربية متعددة الأبعاد، من عربية، إفريقية، مغاربية، متوسطية وحتى أطلسية، رغم أن هذا الموقع الجغرافي، يطرح العديد من التحديات والأعباء على مستوى تحديد السياسة الكفيلة بتدبير فعال للمصالح الوطنية.

وعلى ضوء ذلك إشتغلت الديبلوماسية المغربية على تيمات عدة، وبمواقع جغرافية متباينة. إذ شكل الهاجس الاقتصادي والبحث عن دعم دولي للمقاربة المغربية في حل قضية الصحراء أبرز أسس السياسة الخارجية الحديثة للمغرب.

أ- <u>العالم العربي في الدبلوماسية المغربية</u>

عند إستجلاء السياسة الخارجية المغربية تجاه العالم العربي، نستحضر بالإضافة للبعد الجغرافي، البعد الثقافي، اللغوي والديني وكذا التاريخي، إذ تمتد هذه العلاقات لما قبل الاستقلال، خاصة بعد خطاب الملك محمد الخامس بطنجة 1947[47]، الذي أكد فيه على الطابع العربي الإسلامي للمغرب وتأييده للجامعة العربية التي كانت قد أسست سنتين قبل ذلك.
ومباشرة بعد إستقلال المغرب سيلتحق بمنظمة الجامعة العربية سنة 1958 وبباقي المنظمات المتفرعة عنها وسيتم التأكيد على عروبة المغرب من خلال التنصيص على كونه بلدا عربيا-إسلاميا في نص الدستور لسنة 1961.
فرغم التناقضات التي عرفها النظام العربي فترة الستينات، بين الأنظمة الملكية-المحافظة- بريادة العربية السعودية وتلك الجمهورية-التقدمية- بزعامة مصر الناصرية، فإن المغرب جهد دائما على تقوية حضوره بالمنظومة العربية، وقد تجسد ذلك من خلال مؤتمرات القمة التي تم إنعقادها على أرض المغرب، أو من خلال اللقاءات التصالحية بين الإخوة العرب التي سعى الراحل الحسن الثاني إلى دعمها والتأكيد عليها.
وقد تميزت الدبلوماسية المغربية بالدينامية في مجال الحد من النزاعات العربية، والسعي لتصفية الأجواء وإيقاف التوترات، من خلال دبلوماسية مؤتمرات القمة في إطار جامعة الدول العربية، وعن طريق إحتضان لقاءات المصالحة والإنفراج بين القادة العرب، وقد برز هذا الدور خلال الأزمة اللبنانية، إبان مؤتمر الدار البيضاء سنة 1989[48] ولعل ما يبرز موقف الإعتدال في السياسة الخارجية المغربية عربيا، هو في تبنيها لأسلوب الحوار بين العرب والإسرائليين إزاء القضية الفلسطينية[49].

وقد عمل المغرب أيضا على دعم القضايا العربية عبر قنوات أخرى غير الدبلوماسية، من خلال إرساله لتجريدات عسكرية إلى الجولان وسيناء وإبان حرب أكتوبر 1973.

---

[47] - MOHAMED LARBI BEN OTHMANE: la politique étrangère du Maroc: les invariants et les changements, op-cit, p: 63.

[48] - المختار مطيع: بعض مؤشرات الدبلوماسية المغربية في ظل "النظام العالمي الجديد"، أشغال ندوة القانون والممارسة بالمغرب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الحقوق، فاس، 1994، ص: 68.

[49] - إحتضان المغرب للقاءات حوار بين الاسرائليين وبعض العرب، من قبيل إستقبال الحسن الثاني "شمعون بيريز" بمدينة إيفران 1968، رغم ما خلفه ذلك من ردود أفعال متباينة.

غير أنه سعى جاهدا إلى إقامة حل سلمي وعادل لقضية العرب الأولى، عن طريق المفاوضات المباشرة، بين أطراف النزاع، وخلق جو سلمي بين الاسرائيليين والفلسطينيين وذلك ما سيترجمه ترأس المغرب، في شخص الحسن الثاني، للجنة القدس، المحدثة من طرف منظمة المؤتمر الإسلامي سنة 1977، إبان حريق المسجد الأقصى.

وأمام المتغيرات التي عرفها العالم من جهة، ومن جهة ثانية الفعالية التي ضخها الملك محمد السادس في دم الدبلوماسية المغربية مطلع الألفية الثالثة، حسب تعبير وزير الخارجية المغربي السابق الفاسي الفهري ستتجه دبلوماسية المغرب نحو تأكيد حضورها العربي « فمنذ تولي صاحب الجلالة للعرش، فهو يسعى دائما لتقوية العلاقات الاقتصادية، فالمسألة الفلسطينية اليوم ملتزمة بمسلسل تفاوضي (...) وهي في حاجة لدعمها تنمويا....»[50].

ومن ثم تبقى العلاقة مع العالم العربي، وفي ظل المتغيرات والتحولات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي عرفتها المنطقة تتمفصل حول ثلاث مستويات:

- تحقيق الشروط الاقتصادية في توسيع دائرة الاستثمارات بالمغرب.
- دعم الخطة العربية للسلام، المعتمدة خلال مؤتمر بيروت.
- إتخاذ مواقف توافقية حول قضايا الشرق الأوسط، العراق، فلسطين، لبنان.

وقد نص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى القمة العربية العادية بالخرطوم في 28 مارس 2006 على الدعوة إلى تحقيق « نقلة نوعية في مسار التضامن العربي، والدفع قدما نحو تعزيز العلاقات العربية، بما يضمن إنبثاق إرادة مشتركة للتعاون، وفق رؤية واقعية متشبعة بروح العمل الجماعي»[51].

وعموما فالسياسة الخارجية المغربية تجاه العالم العربي، ستعمل على خلق صيغ جديدة للتعاون، عبر تفعيل كثافة وتنمية العلاقات الاقتصادية البينية، بالموازاة مع دعم المواقف العربية، رغم أن التعاون الإقتصادي يبقى محدود مقارنة مع أقطار أخرى من العالم، فالتعاون البيني العربي يبقى محدودا ولا يتجاوز8%، إذا ما استثنينا بعض القروض الميسرة والاستثمارات العمومية المباشرة أو ما يقوم به بعض الخواص في إطار مشاريع تهم القطاع السياحي والعقاري أو بعض المحاولات العرضية كاتفاق أكادير[52].

ب- المغرب في علاقاته بجواره الإفريقي والأوروبي

ظلت العلاقة مع العمق الإفريقي للمغرب أحد الرهانات التي ما انفكت الدبلوماسية المغربية تسعى لكسبها، رغم فترات الفتور والقطيعة التي ميزت علاقتها بدول القارة السمراء، وفي المقابل يبرز التعاون المتنامي الذي ميز ولا يزال النمط العلائقي للمغرب بشركائه الأوروبيين سواء في المستوى الثنائي أو في إطاره الجماعي كما هو الشأن للشراكة الأورومتوسطية.

ا: إفريقيا في السياسة الخارجية المغربية

منذ استقلال المغرب لم تخضع علاقاته مع إفريقيا لخط واحد واصل، فقد شهدت مجموعة من الحقب عكست في جوهرها إدراك القارة السمراء لقضايا المغرب، وكذلك الكيفية التي تعامل بها المغرب مع الأقطار الإفريقية، فالسمة المهيمنة عليها هي تأثرها بكيفية تدبير المغرب للملفات المتعلقة بالوحدة الترابية، والتي انتهت بانسحاب المغرب من منظمة

[50] - F. AGOUMI et F.ANSARY:Les ressorts de la diplomatie marocaine, op-cit, p:44.
[51] - محمد براصي، محمد امجاط: موقع الدبلوماسية المغربية ضمن التحولات الدولية لسنة 2006، حالة المغرب 2006-2007، منشورات وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، ص: 96.
[52] – سيتم تفعيل اتفاق أكادير الذي ضم إلى جانب المغرب، تونس، مصر والأردن إثر الاجتماع الذي شهده المغرب مطلع سنة 2010.

الوحدة الإفريقية في سنة 1984[53]، فالعلاقة مع إفريقيا-بغض النظر عن الانسحاب المغربي من منظمة الوحدة الإفريقية- تدعمها الجغرافيا إلى جانب التاريخ.

أمام هذا الوضع عملت الدبلوماسية المغربية مطلع الألفية الثالثة على تبني منظور جديد لطبيعة الاهتمامات ونوعية التعاون الذي يجمعها بالدول الإفريقية، حيث تم تغيير نسقية ومجال السياسة المتبعة. فلم يعد التركيز على الخط الفرانكفوني، بل بات التوجه أكثر صوب الدول الأنجلوساكسونية.

وسيعمل المغرب إلى اتباع منظور جديد ينبني على نمطين متوازنين معا، وهما تنمية العلاقات الثنائية مع كل الدول الإفريقية، خاصة في جانبها الاقتصادي والتنموي، وتطوير العلاقات المتعددة الأطراف مع دول القارة، كل ذلك في مسعى حثيث لإعادة تكثيف الحضور المغربي والسعي لإعادة توجيه نسق التوازنات الإستراتيجية بالقارة، في إطار يخدم المصالح الحيوية للبلاد.

فمع تولي الملك محمد السادس للحكم سنة 1999 سيعمل على زيارة العديد من دول القارة لأكثر من مرة، مثل السينيغال التي زارها أكثر من 5 مرات والغابون أربع مرات، كما عمل على إلغاء ديون الدول الأقل نموا بالقارة، بالإضافة لإنشائه المؤسسة العلوية للتنمية المستدامة[54].

ضمن هذا السياق نجد المغرب حاضرا بقوة في جميع المنتديات الدولية الكبرى التي همت إفريقيا من قبيل حضوره في أشغال منتدى التعاون الصيني / الإفريقي المنعقد في بيكين في 2006/11/05 و الذي كان الهدف منه إستراتيجيا تحين الاهتمامات الاقتصادية للبلدان الإفريقية نحو المجال الأسيوي مقابل التخفيف من الضغط التقليدي للمنظومة الاقتصادية الأوروبية والأمريكية على حد سواء[55]، وفي نفس الوقت تشكل متنفسا اقتصاديا للقارة يفرض عليها استثماره، ووفق نفس التوجه كان المغرب حاضرا في قمم إفريقيا وأمريكيا الجنوبية.

بالموازاة مع ذلك، شكلت الزيارات الملكية كما أشرنا آنفا، مجالا لتوسيع وتطوير العلاقات مع دول القارة، فاستمرت في تطوير العلاقات مع دول الفرانكفونية، كما سعت لاستشراف آفاق تعزيز العلاقات مع الدول الانجلوساكسونية بإفريقيا، فتم توقيع العديد من الاتفاقيات تهم المجالات الاقتصادية، التقنية، العلمية والثقافية، مما يزكي أهمية الدبلوماسية الاقتصادية في دعم الأهداف المسطرة بقارة إفريقيا، ومن ثم تمتين العلاقات الاقتصادية للحصول على مكاسب سياسية آنية ومستقبلية تخدم المصلحة القومية للبلاد.

مجمل القول، أن الفعل الدبلوماسي المغربي في علاقته بالدول الإفريقية لم يحد في مجمله عن ربط العلاقات الاقتصادية بطبيعة التوجهات السياسية للمغرب، إذ الملاحظ أن تحركات الدبلوماسية المغربية بالقارة لم يختف منها موضوع قضية الصحراء (السودان، بنين...) فبالرغم من نوعية المعاملات بمختلف توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية، فإن مسألة دعم حل سياسي تفاوضي وتوافقي ونهائي لقضية الصحراء، في إطار احترام سيادة المغرب كان حاضرا بقوة.

و سيشهد الحضور المغربي في الساحة الإفريقية قفزة نوعية ، بالعودة لمؤسسة الإتحاد الإفريقي في 30 يناير 2017 ، حيث شكلت العودة المغربية محل إشادة كبيرة من عديد القادة الأفارقة.

---

[53] - بعد دعوة الأمين السابق لمنظمة الوحدة الإفريقية " ادم كوجو" لجبهة البوليساريو لحضور أشغال القمة المنظمة بنيروبي في تلك الفترة.

[54] -كان ذلك سنة 2002، أنظر: F.AGOUNI, H.F.Ansary: op-cit, p: 44.

[55] - محمد براصي، محمد مجاط: موقع الدبلوماسية المغربية ضمن التحولات الدولية لسنة 2006، حالة المغرب 2006-2007، منشورات وجهة نظر، الرباط 2007، ص: 105.

ج- الدبلوماسية المغربية في بعدها الأورومتوسطي

في حوار أجرته معه جريدة "la vie économique "، حدد المستشار الملكي الطيب الفاسي الفهري ، أهم محاور السياسة الخارجية المغربية عهد الملك محمد السادس، في دعم الاستقرار والسلام الدوليين والبعد التنموي كعامل مساعد للعلاقات بين الدول سواء في مستواها الثنائي أو المتعدد الأطراف، كما أكد على أهمية الفضاء المتوسطي بالنسبة للمغرب كما هو الشأن بالنسبة للعالمين العربي / الإسلامي و الإفريقي[56].

حيث أن موقع المغرب وطبيعة توجهاته في كافة الميادين، دعمت إلى حد كبير قوة ومتانة العلاقة مع أوربا المتوسطية، كما أن تاريخ العلاقات الاقتصادية و التجارية وكذا السياسية، تؤكد أهمية تلك العلاقات، ويمكن إبراز الدور المغربي على صعيد البحر الأبيض المتوسط، عبر تمظهرين أساسين:

- سعيه الحثيث إلى بناء شراكة متوازنة ودائمة بين الضفتين الشمالية والجنوبية للمتوسط تشمل المجالات الاقتصادية، السياسية، التقنية، و الأمنية، من خلال توقيع العديد من الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف.
- إندماجه الكلي في مشاريع الشراكة الأورومتوسطية.

وفي الواقع فإن أهمية البحر الأبيض المتوسط تتنامى في ظل السياسات العالمية القائمة أساسا على بناء تكتلات إقتصادية كبيرة كما هو الأمر بالنسبة " للماركوسور" و " النافتا" بأمريكا والتجمعات الأسيوية.

فالهدف هو إنشاء فضاء إقتصادي أورو متوسطي، وهو ما لا يمكن أن يتحقق بالسرعة المرجوة، إذ ا لم يترافق بجهود لتسوية الصراعات والقضايا التي تهدد السلم والأمن بالمنطقة، ومن أبرزها الصراع العربي-الإسرائيلي، ومشكلة الصحراء، موضوع "الإرهاب"، الهجرة.

وفعلا فقد جسد المغرب هذه الروح التشاركية بالعديد من المبادرات بدءا من رغبة الملك الراحل (الحسن الثاني) في الانضمام للمجموعة الأوروبية، يوليوز 1987[57]، مرورا بالتوقيع على اتفاقية الشراكة 26 فبراير 1996، التي صادق عليها البرلمان الأوروبي في نفس السنة واتفاقيات الشراكة الأورومتوسطية، وصولا لصفة الوضع المتقدم للمغرب لدى الاتحاد الأوروبي سنة 2010.

كما تجب الإشارة أيضا إلى أن علاقات المغرب بأوروبا باتت تتخذ مناحي أخرى، تجلت عبر توجه المغرب لكسب شركاء جدد داخل القارة، فقد اتجهت الخارجية المغربية نحو فتح أوراش شراكة مع دول أوروبا الشرقية. إلا أن الملاحظ أن علاقات المغرب مع الإتحاد الأوروبي ظلت تتحكم فيها القوى الكلاسيكية التاريخية مثل فرنسا وإسبانيا، ولعل ذلك يجد مبرره في الرغبة في مزيد من الدعم لقضايا المغرب الترابية، و تمتينا للعلاقات الاقتصادية، كما تتجلى أهمية العلاقة مع الاتحاد الأوروبي في أن هذا الأخير يحتضن أكبر جالية مغربية بالخارج بحوالي ثلاثة ملايين ونصف، بل إن ثلث هذه الجالية يحمل الجنسية المزدوجة (المغربية – الأوروبية) مع ما يعنيه ذلك من أهمية اقتصادية عبر التحويلات المالية التي تفوق ثلاثة ملايير دولار سنويا[2] والتي تشكل دعما مهما للمغرب رغم ان دورها السياسي (أي الجالية) ما زال محدودا ودون تأثير كبير في مجال دعم توجهات المغرب الخارجية، اللهم إذا ما استثنينا بعض التحركات الظرفية والمرتبطة أساسا بتطورات ملف الصحراء.

---

[56] - TAIEB FASSI FIHRI, la vie économique, 23 juillet 2008, P: 44.

[57] - لمزيد من التفاصيل حول رغبة المغرب للانضمام للمجموعة الأوروبية، أنظر:
- Abderrahman bel gouch: les politiques étrangères maghrébines, op-cit; p: 319.
- Marc Bounfous: le Maroc, carrefour géopolitique , N° 57, 1997, p.p: 120-124.

[2] – حسين مجدوبي: قمة غرناطة بين المغرب والاتحاد الأوروبي، الأيام، العدد 417، 4 مارس 2010، ص:22

وأمام التحديات التي يعرفها حوض المتوسط والعلاقة مع الاتحاد الأوروبي، إلى أي مدى يمكن الجزم بأهمية اتفاقية الشراكة بين المغرب وأوروبا وقدرتها على تحقيق الأهداف المرجوة منها بالنسبة للجانب المغربي؟ ثم ما هي الإضافة المرجوة من المشاريع المقترحة للشراكة بين ضفتي المتوسط ؟

فإذا كانت اتفاقية الشراكة تؤطر حاليا العلاقات المغربية الأوروبية، فهناك العديد من الملفات التي مازالت تحتاج إلى التفاوض كما هو الأمر بالنسبة للفلاحة، وقضايا تكنولوجيا الاتصال، وفي المجال الاجتماعي تطفو ضرورة التفكير بجدية في قضية الهجرة، وأكثر من ذلك حرية انتقال الأشخاص، وإيجاد الموارد المالية لدعم مشاريع التنمية.

ونتفق هنا مع الطرح القائل بأن التعاون في البحر الأبيض المتوسط لا ينبغي أن يقتصر على البعد الأورومتوسطي، فهو يتدعم بالتعاون بين دول الجنوب نفسها بشكل أفقي.و لعل ذلك ما عكسته المبادرة الأطلسية المغربية تجاه دول الساحل الإفريقي، والتي جاءت لتعطي بديلا عمليا لدول الساحل، و منفذا أكثر أمنا لبناء شراكة أساسها المصالح المتبادلة ، وهدفها التنمية المستدامة لشعوب المنطقة.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

الفيوم "جمال الطبيعة وعبق التاريخ"

Fayoum: the beauty of nature and the fragrant history

محمد عبد العظيم مصطفي
مُدرس مُساعد، بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية.

المُلخص:

ترجع أهمية مدينة ومحافظة الفيوم لأسباب عديدة أهمها تاريخها الضارب بجذوره في الماضي، وموقعها الفريد المميز عن باقي محافظات مصر، وجغرافيتها وبيئتها المتنوعة بين الزراعية والصحراوية والسياحية والحضارية، وبما أن التاريخ والجغرافيا والبيئة تؤثر في السكان، فقد خرج من الفيوم أعلام وشخصيات شهيرة في جميع المجالات أثرت في الفيوم، بل في مصر عمومًا.

لذلك قامت الدراسة بتناول تاريخ الفيوم ويقصد بها هنا المدينة القديمة التي نشأت حولها باقي القرى والمدن فكانت بمثابة النواة للمحافظة، ثم بعد ذلك انتقلت الدراسة إلى عرض جغرافية الفيوم من خلال دراسة الموقع والمناخ ومظاهر السطح، ثم دراسة التقسيم الإدراي لها.

وتناولت الدراسة المعالم الآثرية وتم تقسيمها حسب العصور الزمنية بالترتيب بداية بالآثار الفرعونية ثم الآثار اليونانية الرومانية ثم الآثار المسيحية والإسلامية، وقد عرضت الدراسة أهم المعالم والمقاصد السياحية في المحافظة سواء بحيرة قارون، ووادي الحيتان، ووادي الريان، والسواقي.

الكلمات المُفتاحية: محافظة الفيوم- موقعها الفريد- جغرافيتها- المعالم الآثرية.

Abstract:

The importance of Fayoum city and governorate is due to many reasons, the most important of which is its history that goes back to the past, the unique location that distinguishes it from the rest of Egypt's governorates, and its geography and diverse environment between agricultural, desert, tourist and urban. Since history, geography and environment affect the population, famous figures and personalities in all fields have emerged from Fayoum and have influenced Fayoum, and even Egypt in general. Therefore, the study addressed the history of Fayoum, meaning here the ancient city around which the rest of the villages and cities grew, and it was the nucleus of the governorate. Then, the study moved on to present the geography of Fayoum by studying the location, climate, and surface features, then studying its administrative division. The study dealt with archaeological landmarks and divided them according to the chronological eras in order, starting with the Pharaonic monuments, then the Greco-Roman monuments, then the Christian and Islamic monuments. The study presented the most important landmarks and tourist destinations in the governorate, including Lake Qarun, Wadi Al-Hitan, Wadi Al-Rayan, and the waterwheels.

Keywords: Fayoum Governorate - its unique location - geography - archaeological monuments.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1- التعرف على محافظة الفيوم من خلال دراسة موقعها وتقسيمها الإداري.

2- البحث في الأسباب التي أدت إلي تميز الفيوم وخلق شخصية جغرافية لها.

3-التعرف على أهم المعالم والمزارات السياحية بالمحافظة.

4-التعرف على أهم الشخصيات المشهورة التي أنجبتها المحافظة في جميع المجالات.

مناهج وأدوات الدراسة:

استخدمت الدراسة المناهج الآتية:

1- المنهج الإقليمي: وذلك من خلال دراسة المحافظة كإقليم جغرافي قائم بذاته له حدوده الواضحة.

2- المنهج التاريخي: وذلك من خلال دراسة تاريخ الإقليم وآثر ذلك التاريخ على الحاضر.

3- المنهج الوصفي التحليلي: من خلال وصف الظاهرات الجغرافية في المحافظة وتحليلها.

4-استخدام برنامج ARC GIS V 10.8 في عمل وإنشاء الخرائط الرقمية .

5- استخدام برنامج Google Earth في قياس المساحات.

مُقَدِمَةُ:

الفيوم أو "مدينة السحر" كما يُطلق عليها؛ هي عاصمة محافظة الفيوم، إحدي محافظات جمهورية مصر العربية وتقع ضمن إقليم شمال الصعيد الذي يضم بالإضافة إليها كلاً من محافظتي المنيا وبني سويف، وتتمتع الفيوم بموقع فريد ومميز عن باقي محافظات ومدن مصر التي إمّا في الوادي أو الدلتا، فهي أكبر واحة طبيعية في الدولة يعدها الجغرافيون إقليماً جغرافياً متميزاً، ومحافظة الفيوم هي تسمية إدارية تعني المساحة الكلية للمنخفض والجهات المحيطة به والمتفق عليها مع المحافظات المجاورة وصدر قرار جمهوري يحدد إمتدادها عام1960 والذي جاري العمل به حتى الآن(الشرابي،1991، ص113).

يقول عنه النابلسي الصفدي الشافعي في كتابه تاريخ الفيوم وبلاده "الفيوم قطر أحكمته الصنعة الأزلية ودبرته القدرة الآلهيّه وأبدعه واهب العقول الصحيحة والأفكار الصريحة حتي لحق هذا الموضع السُفلي يقصد (منخفض الفيوم) بالعالم العُلوي يقصد(وادي النيل)، (الشافعي،1898،ص ص5-6).

أصل التسمية:

كانت الفيوم عاصمة الإقليم الحادي والعشرين من أقاليم الصعيد(نعر- بحو) أي إقليم شجرة النخيل الأسفل وكانت تسمي في ذلك الوقت "سبك" أو "بر-سبك" بمعني مدينة التمساح، والاسم الأكثر شيوعاً هو"شيدت" وتقع بقاياها في الأطراف الشمالية لمدينة الفيوم حيث تقع كيمان فارس (حي الجامعة الآن)، وقد كانت في بادئ الأمر عبارة عن مستنقعات واسعة مملوءة بالمياه، وأول تعمير وإهتمام بها مع الأسرة الخامسة(2480-2340ق.م) ؛ حيث جُففت الأجزاء الأكثر قرباً وتم بناء مدينة "شيدت" بمعني البحيرة، ثم أُطلق عليها في العصور المتأخرة "بايوم" بمعني اليم أو البحر ثم وردت في القبطية "فيوم" وفي العربية "الفيوم" بعد إدخال أداة التعريف، أما في العصر اليوناني كانت تسمي"كروكوديلوبوليس" أي مدينة التمساح(مهران،1999، ص110).

ومن المؤكد تاريخياً إنها سميت "بايوم" أو"فايوم" في زمن أمنمحات الثالث أي قبل ميلاد سيدنا يوسف بزمن طويل كما ثبت من آثار الأقدمين، فإذن لاصحة للقول القائل بأن اسمها مأخوذ من كلمة "ألف يوم" وهذا بناءً علي القصة التي تقول إن سيدنا يوسف لما بنى الفيوم في جملة أيام؛ قيل سبعين يومًا أو أربعة أشهر وجاء الملك فرآها فسأل سيدنا يوسف: في كم يوم بنيتها وحفرت ترعتها "بحر يوسف"؟ فقال في كذا من الأيام، فاستغرب الملك. وقال: إن هذا عمل يستغرق ألف يوم، فدعوها الفيوم (رمزي، 2014، ص11)، وهذه القصة مشهورة بين العامة وبعض المثقفين مع أنه ليس لها أي أساس من الصحة والدليل أنها لم ترد في قصة سيدنا يوسف في" سورة يوسف" التي قال عنها المولي عز وجل أحسن القصص حيث إنها تعرضت بشكل وافي لكل ماحدث مع يوسف النبي، ونري سبب هذا الالتباس هو تسمية البحر بإسم" يوسف" فجاء الربط بأن الذي حفره هو سيدنا يوسف لكي يقوم بتوصيل المياه للفيوم ويقوم بتعميرها.

ولكن بالنظر إلي بحر يوسف نجد أنه ملتوي كثير الانعطاف كفرع من فروع النيل فهو بل جدال يمثل مجري طبيعيًا لم تحفره يد الإنسان، ولكن ليس فرعًا للنيل بالمعني المألوف حيث أن النيل يتفرع عند الدلتا فلماذا يتفرع عند أسيوط؟ والسبب في ذلك هو وجود خط تقسيم مياه بين النيل ومنخفض الفيوم فتكون بحر يوسف من الشمال إلي الجنوب وليس العكس(أبوالعز،1966، ص309).

ونستخلص من هذا أن البحر طبيعي وليس صناعي وبذلك فإن سبب تسميته بوسف هو أن سيدنا يوسف كان المسئول عن الزراعة في مصر فمن المؤكد أنه قام ببعض الإصلاحات الخاصة بأمور الري مثل تطهير وتوسيع البحر وإقامة جسور وسدود لذلك أطلق عليه العرب عندما فتحوا مصر اسم سيدنا يوسف عليه السلام، وكذلك تشتهر الفيوم بأنها مدينة يوسف، لأنه عاش بها مدة من الزمن، ويوجد بها الآن مركز يسمي "يوسف الصديق".

تاريخ الفيوم:

تحظي الفيوم بتاريخ عريق ضارب بجذوره في بدايات الحياة والاستقرار في مصر حيث تقودنا فكرة الاستقرار المتدرج في وادي النيل إلي الحديث عن منخفض الفيوم الذي مَثَلَ نقطة ساطعة في تاريخ الاستقرار في الوادي، فنجد في العصر الحجري الحديث حضارتين للفيوم حضارة الفيوم (أ) وذلك عام5000 ق.م، وحضارة الفيوم (ب) وذلك 4500 ق.م وقد قامت الحضارتين علي الأمطار التي كانت تجتمع في البحيرة فكانت حياتهم تعتمد علي الزراعة وتم الاستدلال علي هذه الحضارة عن طريق آثار خاصة بالأدوات الزراعية المستخدمة في ذلك العصر، ولما تغيرت الأحوال المناخية في الحضارة (ب) حيث بدأ الجفاف فكانت حياتهم بين الرعي والزراعة ثم زاد الجفاف واشتد فاضطر السكان إلي الهجرة ولم يعودوا إليها مرة أخري إلا في الأسرة الخامسة(2480-2340 ق.م) عند إدخال أساليب الري الحديثة إليها(الجوهري، 1998، ص ص17-19).

أما عصر الدولة الوسطي فقد رغب ملوك الأسرة الثانية عشرة في إعادة اتصال البحيرة بالنيل مرة أخري وقد نُسب فكرة الإفادة من مياه الفيضانات وإقامة سد الفيوم إلي" أمنمحات الثالث" (1843-1798 ق.م) علي الرغم من وجود مايشير إلي أن البدايات كانت في عهد" سنوسرت الثاني" بل وقبل ذلك أيضًا ولكن الثابت أن "أمنمحات الثالث" هو صاحب تنفيذ المشروع حيث أتخذ من البحيرة خزان طبيعي فبني سدًا يحجز المياه ويصرفها بمقدار أيام التحاريق، وذلك عند المدخل الطبيعي للبحيرة في أضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف وهو "فتحة اللاهون" ولقد ظل هذا السد يخزن المياه حتي عام24 ق.م، والجدير بالذكر هنا أن "سد الفيوم" هو ثاني أقدم سد أقامه المصريون فلم يسبقه غير سد "وادي الجروي" علي بعد 13كم جنوب شرق حلوان(مهران، 1999، ص ص111-112).

أما في عهد البطالمة كانت الفيوم تسمي أرسينوي "Arsinoe" وذلك نسبة إلي اسم زوجة بطليموس الثاني كما أطلق الاسم علي الإقليم بالكامل، وفي عهد الرومان كانت تسمي مدينة التمساح حيث كان يطلق عليها "crocodilopolis" أي مدينة التمساح(رمزي، 1945، ص96). وقد كانت الفيوم مكان جيد لإنتاج الحبوب ومد الدولة الرومانية كما كانت مصر عمومًا مخزن حبوب الدولة الرومانية.

وقد وردت الفيوم في كتاب المسالك لإبن خرداذبة وفي كتاب البلدان لليعقوبي ضمن كور مصر، وفي أحسن التقاسيم للمقدسي الفيوم بلد جليل به مزارع الأرز الفائق والكتان الدون، وفي نزهة المشتاق، الفيوم مدينة كبيرة ذات بساتين أشجار وفواكه وغلات؛ وأكثر غلاتها الأرز، كما ذكرت في تقويم البلدان أنها مدينة راكبة علي الخليج المنهي "بحر يوسف" علي جانبيه وهي مدينة حسنة الأبنية زاهية المعالم، ومدينة الفيوم قاعدة للإقليم-محافظة الفيوم- من العصر الفرعوني إلي اليوم وهي أيضًا قاعدة لمركز الفيوم(رمزي، 1945، ص96).

ويقول محمد أمين فكري عن مدينة الفيوم في كتابه جغر افية مصر"هي مدينة شهيرة في وسط بلاد الفيوم يشقها بحر يوسف من الشرق إلي الغرب والمدينة علي جانبيه وعندها يتفرع إلي مجموعة من الترع التي تمد باقي أنحاء الاقليم، وتقع المدينة علي بعد 1800م من قناطر اللاهون، وبها تجار وأرباب صنائع، وبها ديوان المديرية وسبتاليه للمرضي ومركز ضبطية خاص بالمدينة وفي المدينة جملة مساجد أشهرها جامع الروبي وبها كنيستان إحداهما للقبط والأخري للفرنج (فكري،1879، ص118).

وقد كانت الفيوم في زمن محمد علي تابعة للأقاليم الوسطي والتي تضم ثلاث مديريات (المنيا-بني سويف-الفيوم) وكان مركزها بندر الفشن الذي كان تابع وقتها لمديرية المنيا وكان يوجد مفتش ووكيل للأقاليم، وبقيت الفيوم تابعة للأقاليم الوسطي إلي عام 1850م حيث انفصلت بني سويف والفيوم عن تلك الأقاليم وعين مدير خاص بهما ثم أنفصلت الفيوم عام 1858م عن بني سويف وصارت كل مديرية قائمة بذاتها، إلي أن ضُمت مرة أخري عام 1863م وكانت بني سويف مركز المديريتين؛ وظل ذلك حتي عام 1869م حيث انفصلت انفصالها الأخير وعين علاء الدين بك مديراً لها(رمزي،2014، ص ص31-32).

جغر افية الفيوم:

تنفرد الفيوم عن باقي محافظات مصر بجغرافية مميزة، فمن حيث الموقع هي ليست ضمن محافظات الوادي ولاتقع في الدلتا ولاتعد ضمن محافظات الصحراء ولكنها إلتقاء الوادي والصحراء، ومن حيث التضاريس فلها تضاريسها الخاصة بها والتي تؤثر في طبيعة الحياة، ومن حيث البيئة فهي ملتقي البيئات الثلاث (الزراعية ـ الصحراوية ـ الشاطئية).

1. الموقع:

تقع محافظة الفيوم ضمن إقليم شمال الصعيد وهو إقليم تخطيطي؛ ويحدها شمالًا وشرقًا وغربًا محافظة الجيزة أما من ناحية الجنوب والجنوب الشرقي محافظة بني سويف، أما فلكيًا فهي تقع بين دائرتي عرض(28، 59 ، 29، 40 شمالًا) وخطي طول (29، 52 ، 31، 7 شرقًا)، وهي بذلك تغطي أكثر من نصف درجة عرضية وحوالي خط طولي.

2. المساحة والسكان:

تبلغ مساحة المحافظة حوالي 6068كم2 تمثل 12.3% من جملة مساحة إقليم شمال الصعيد البالغة 49301 كم2؛ كما تمثل 0.6% من مساحة الجمهورية، و تبلغ المساحة المأهولة 1849كم2 فقط حوالي 30% من جملة المساحة الكلية(الهيئة العامة للتخطيط العمراني، 2010ص37)، وهذه المساحة يسكنها 3,596,954نسمة وفقًا لتعداد 2017م.

3. التقسيم الإداري:

تُقَسم محافظة الفيوم إلي ستة مراكز هي (الفيوم ـ طامية ـ إطسا ـ سنورس ـ إبشواي ـ يوسف الصديق)، وكانت خمسة مراكز حتي عام 1996م حيث تم إستحداث مركز يوسف الصديق عن طريق إقتطاع جزء من مركز إبشواي وإضافة جزء من الظهير الصحراوي للمحافظة، وتضم الستة مراكز بالتبعية ستة مدن هي عواصم المراكز من إجمالي 218مدينة علي مستوي الجمهورية، وتحتوي الستة مراكز علي 63 وحدة محلية قروية و163 قرية تابعة تتوزع علي النحو التالي الفيوم(13وحدة قروية، 38 قرية تابعة) في حين طامية(9 وحدة قروية،19 قرية تابعة)، أما إطسا (12 وحدة قروية، 46قرية تابعة) بينما

سنورس(12وحدة قروية، 24 قرية تابعة) أما إبشواي(8 وحدة قروية، 17 قرية تابعة) ويوسف الصديق (8 وحدة قروية، 18 قرية تابعة) (البوابة الإلكترونية لمحافظة الفيوم)، وقد تم توضيح ذلك في جدول رقم (1).

المصدر:صورة رقمية (LandSat-8"OLI"2018)، shapefile الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء،عمل الباحث بإستخدام برنامج ARC Map 10.3.

شكل (1) الموقع والتقسيم الإداري لمحافظة الفيوم.

جدول (1) يوضح التقسيم الإداري لمحافظة الفيوم

المركز	وحدة محلية	قرية تابعة	الكفوروالنجوع والعزب
الفيوم	13	38	391
سنورس	12	24	227
إبشواي	8	17	165
إطسا	12	46	414
طامية	10	20	422
يوسف الصديق	8	18	194

إجمالي المحافظة	63	163	1813

المصدر: البوابة الالكترونية لمحافظة الفيوم، بيان إدارة مجالس المحافظة،2017م.

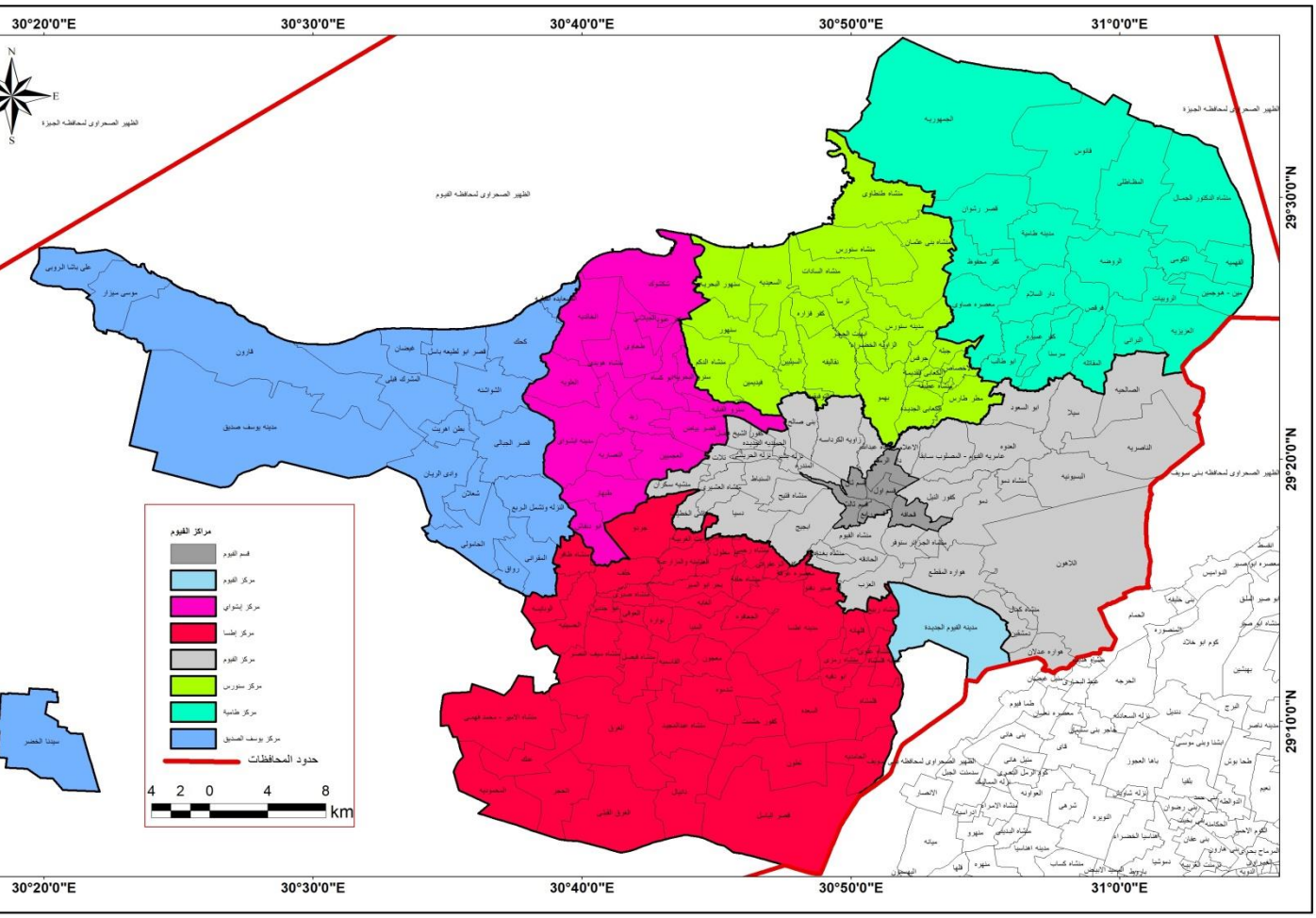

المصدر: من عمل الباحث بإستخدام برنامج ARC GIS 10.3.

شكل (2) خريطة توضح مراكزوقرى الفيوم.

4.التضاريس:.

الفيوم هي عبارة عن منخفض واحي من منخفضات الصحراء الغربية إلا إنَّه بفضل قربه الشديد من الوادي أصبح جزء منه، لكنه لايختلف كثيراً عن منخفضات الصحراء من حيث أنه حوض مقعر مغلق تحلق حوله الحافات الحادة والمرتفعات العالية، وأنه حوض صرف داخلي يقع جزء كبير منه تحت مستوي سطح البحر وفي نفس الوقت هو يتصل بالنيل عن طريق بحر يوسف وجزء من نظامه النهري، كما تبطن أرضه بطميه وبهذا أضيف إلي مياهه الباطنية مياه النيل السطحية الجارية وإلي تربته الرملية التربة الطينية النيلية المنقولة وهو بذلك يجمع الوادي والمنخفضات في حلقة إتصال بين النيل والصحراء، لذلك يختتم حمدان كلامه حول هذه النقطة بقوله "إذا كان الوادي هبة النيل فإن الفيوم هبة النيل والمنخفض معًا"(حمدان، 1967، ص ص761-762).

يتشابه منخفض الفيوم في كثير من الأوجه مع بقية المنخفضات الشمالية في الصحراء الغربية والتي تبدأ به في أقصي الشرق ثم منخفض القطارة ثم سيوة، وجغبوب والكفرة في الأراضي الليبية، ويقع كثيراً من أجزاء هذه المنخفضات دون مستوي سطح البحر وتنحدر أراضيها بشكل عام صوب الشمال(أبو العز، سبق ذكره، ص304).

ينحدر المنخفض من الحواف نحو البحيرة أي من منسوب 35م إلي -45م أي حوالي 80م في مسافة 30كم، وهذا القدر من الإنحدار يكاد يعادل إنحدار وادي النيل بأسره من أسوان إلي البحر المتوسط، وبذلك فإن هذه الواحة الكأسية النموذجية"Cup-Oasis" تختزل إنحدار الوادي أكمله في كأس(حمدان، مرجع سبق ذكره، ص765).

ونجد في منخفض الفيوم مجريان طبيعيان يمتازان بالعمق وهما خور طامية(بحر البطس) وخور النزلة (مصرف الوادي)، ويمكن تمييز إنحدار المنخفض في شكل ثلاث مدرجات تبدأ من هوراة المقطع حتي البحيرة (فتحي، 2000، ص110) :.

*المدرج الأول:.

يمتد من هوارة المقطع عند المدخل علي ارتفاع25م حتي مدينة الفيوم22,5م، بإنحدار 2,5م في مسافة 10كم.

*المدرج الثاني:.

يمتد من مدينة الفيوم علي ارتفاع 22,5م حتي الخط الواصل بين(سنورس ـ سنهور ـ أبوكساه) علي ارتفاع 12م وبإنحدار 10م في مسافة 17كم.

*المدرج الثالث:.

يبدأ من الخط السابق حتي ساحل بحيرة قارون(-45م) بإنحدار شديد أكثر من 55م في مسافة 10كم، ثم بعد الوصول لأكثر جزء إنخفاضًا متمثل في البحيرة يبدأ الارتفاع مرة أخري ولكن بشكل متسارع حيث جبل قطراني، كما هو في الشكل (2) الذي يوضح التضاريس والارتفاعات بالمنطقة.

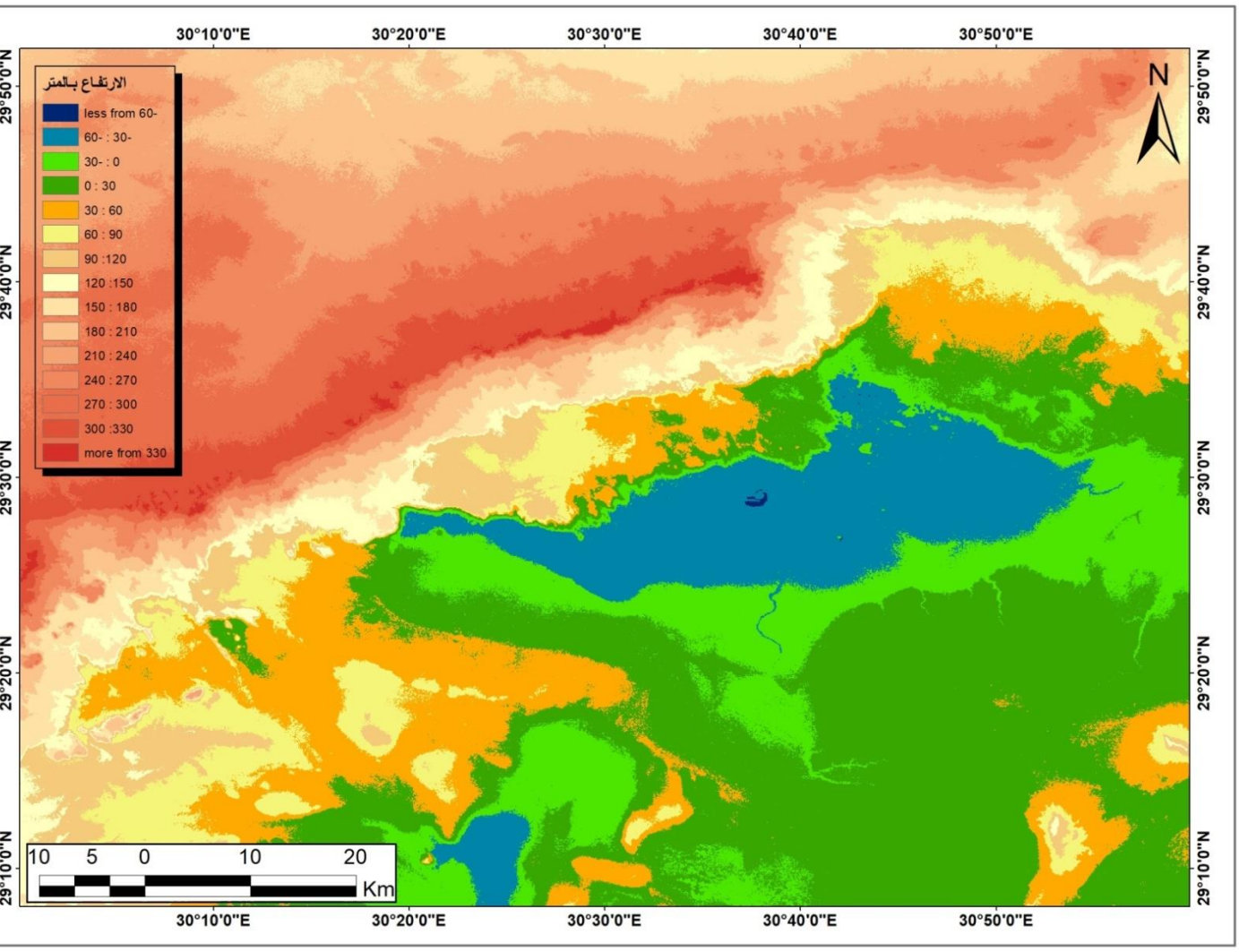

المصدر:من عمل الباحث إعتمادًا علي نموذج الارتفاعات الرقمية(DEM) بإستخدام برنامجARC GIS10.3.

شكل (2) تضاريس منخفض الفيوم

***أقسام الفيوم التضاريسية:**

يُعَد إقليم الفيوم صورة مصغرة لمصر، كما أطلق عليها جمال حمدان "مصر الصغري"؛ حيث يعتبر وادي بحر يوسف نيلها والدلتا التي كونها عند مدينة الفيوم بمثابة دلتا النيل وتمثل بحيرة قارون البحر المتوسط، وقد تم تمييز ستة وحدات طبيعية للفيوم وذلك في أعمال المؤتمر الجغرافي العربي الأول عام 1992م وتتمثل هذه الأقسام الستة في وادي ودلتا بحر يوسف قسمان، وبحيرة قارون قسم، والثلاثة الأخري تتمثل في المنخفضات الصغيرة ـ داخل منخفض الفيوم ـ وهي طامية شمالًا والغرق السلطاني في الجنوب الغربي وقلمشاه تطون إلي الشرق من المنخفض السابق(جودة، 2000، ص85). وفيما يلي عرض للثلاثة أقسام الأولي وذلك لأهميتهم.

1.وادي بحر يوسف:.

بحر يوسف هو بحر طبيعي وليس بحر صناعي، وقد ثبت ذلك من خلال مورفولوجية البحر، ولكن ذلك لاينفي أن بعض أجزائه تعرضت للردم وتم حفره كما فعل سيدنا يوسف ومن المرجح أن ذلك هو سبب تسميته علي اسم النبي يوسف الصديق، وقديمًا كان يخرج بحر يوسف مباشرًة من النيل شمال مدينة أسيوط بحوالي40كم أي بالقرب من مدينة ديروط ويمر في مجري كثير التعرجات لمسافة تزيد عن276كم ويخترق الحافة الشرقية لمنخفض الفيوم عند فتحة اللاهون التي يبلغ طولها 8,5 كم

ويتراوح اتساعها بين 2,5كم في الوسط و4كم في الجنوب و6كم في الشمال، لكن في عام 1869م تم شق ترعة الإبراهيمية فأصبح فرع منها وذلك بعد ردم مخرجه القديم من النيل شرق هذه الترعة(سيد، 2013، ص10).

2. دلتا بحر يوسف:.

يدخل بحر يوسف إلي منخفض الفيوم وتتوزع مياهه في نمط متشعع فوق منطقة فسيحة تبدو بهيئة دلتا متعددة الأفرع تشغل مساحة وسط المنخفض وتنتهي كل الأفرع إلي نهايات مغلقة فقد فشلت جميعها في الوصول إلي بحيرة قارون، علي هذه الدلتا قامت مدينة أرسينوي القديمة التي حلت محلها مدينة الفيوم وتعتبر دلتا بحر يوسف هي القلب الاقتصادي لمحافظة الفيوم حيث تحتشد فيها أكبر عدد من المدن والقري(جودة، مرجع سبق ذكره، ص ص86-87).

3. بحيرة قارون:.

تُعتبر بحيرة قارون بمثابة البقية المتبقية من بحيرة الفيوم القديمة التي كانت تغشل المنخفض بكامله، وكانت بحيرة عذبة تبلغ مساحتها 2800كم2 أما الآن فتبلغ مساحتها215كم2 ويبلغ طولها 45كم ويتراوح عرضها مابين خمسة إلي عشرة كيلومترات ولايزيد عمقها عن سبعة أمتار ويقع سطحها عند مستوي 45م تحت مستوي سطح البحر، وتنقسم بحيرة قارون إلي حوضين حوض شرقي صغير وحوض غربي أكبر وأعمق كما هو موضح في الشكل (3)، ويتوسط البحيرة عدة جزر أهمها جزيرة القرون أو القرن الذهبي التي قد يرتبط بها أصل تسميتها ببحيرة قارون، وتعتبر بحيرة قارون بمثابة المصرف العمومي للفيوم حيث أنها بحيرة صماء "ميته" أي ليس لها مصدر تغذية طبيعي من أمطار أو سيول أو حتي مياه جوفية ومصدر التغذية الوحيد هو مياه الصرف الزراعي القادمة من مصرفي البطس والوادي(جاد الرب، 2004، ص ص 12-13)، لذلك ارتفعت بها نسبة الأملاح وأصبحت ميائها غير صالحة للشرب.

ويمكن إستغلال البحيرة سياحيًا فهي من أجمل الأماكن السياحية الطبيعية في الفيوم حيث تتمي بتدرج شواطئها من حيث الارتفاعات التي تزيد من جمال الطبيعة بها بالاضافة إلي دفء شواطئها حيث تهاجر إليها أسراب البط وغيره من الطيور القادمة من جهة الشمال هربًا من برد الشتاء، فضلاً عن ذلك الجمال الطبيعي المتمثل في اقتران البيئة الزراعية الخضراء والصحراء الممتدة علي مدي البصر وهذا الاقتران يندر وجوده في أي بقعة في العالم (الشرابي، سبق ذكره، ص24) .

بحيرة قارون هي ثالث أكبر بحيرة في مصر وتعتبر من أقدم البحيرات الطبيعية في العالم وتم إعلانها محمية طبيعية في إطار القانون 102 لسنة 1983م الخاص بالمحيمات الطبيعية، وصدر قرار رئيس الوزراء باعتبارها محمية أراضي رطبة عام 1989م (وزارة البيئة المصرية). والشكل (4) يوضح حدود المحمية.

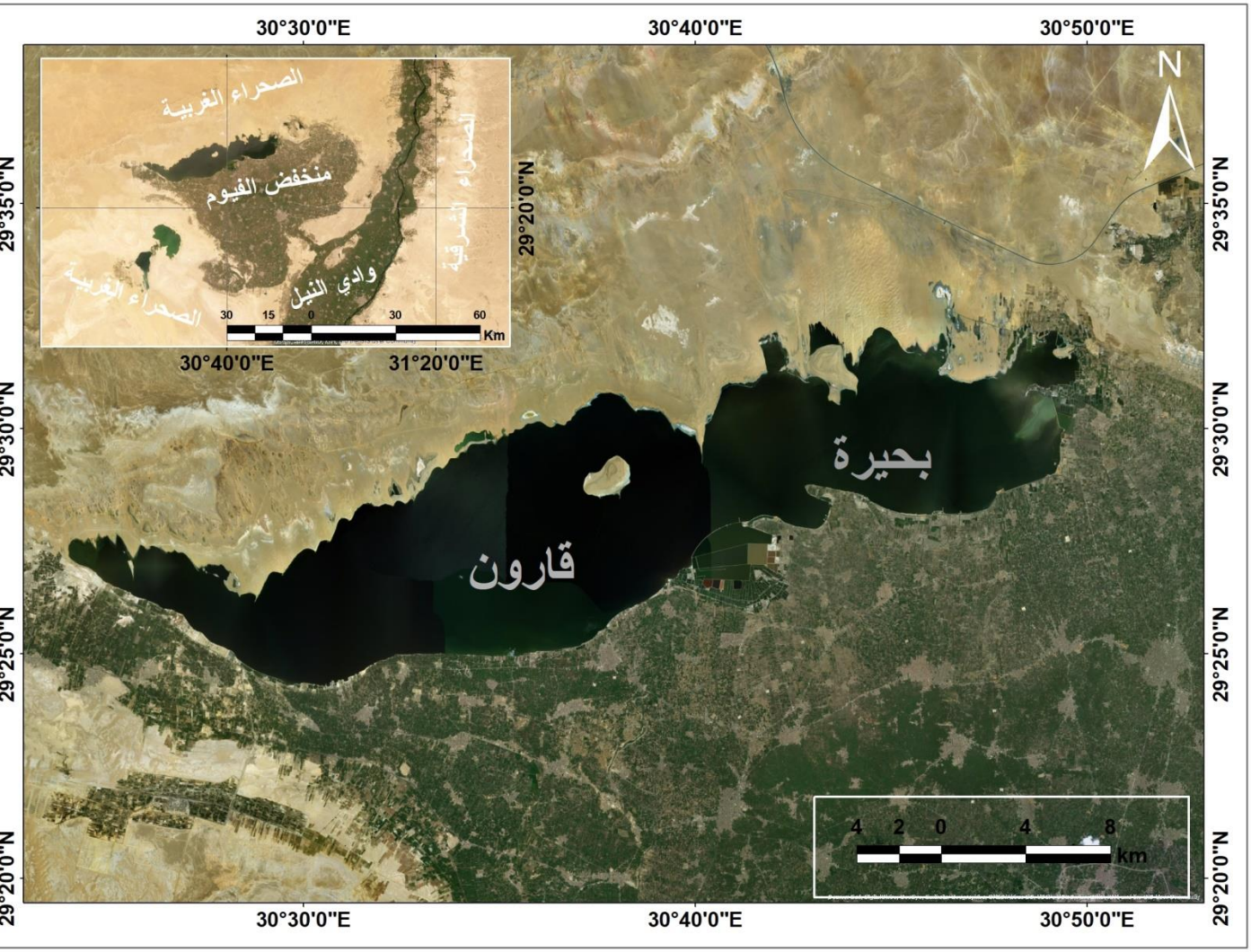

المصدر:عمل الباحث بإستخدام برنامج ARC GIS 10.3.

شكل (3) مرئية فضائية توضح شكل وإمتداد بحيرة قارون.

منخفض الريان:

تحتوي الفيوم بالإضافة إلي منخفض الفيوم منخفض آخر هو منخفض وادي الريان وهو يقع إلي الجنوب الغربي من منخفض الفيوم ولكنه علي العكس تمامًا، فمن حيث الحجم تبلغ مساحة منخفض الفيوم 1700كم2 أما الريان تبلغ مساحته 700كم2 بالإضافة إلي أن الريان لم تصله مياه النيل أبدًا ولم يتصل به قط والسبب في ذلك هو الحاجز الحجري الفاصل بين المنخفضين ويبلغ اتساعه 15كم2، وبهذا الفارق بالتحديد(حمدان، سبق ذكره، 763).

اختلف مصيرهما إلي الأبد فبينما تحول منخفض الفيوم إلي واحة حية رطبة وخلية عضوية تنبض بالحياة والعمران ظل منخفض الريان جافًا عميقًا يخلو تمامًا من المياه والحياة، وقد أُستُغِل هذا المنخفض كحوض لإستقبال جزء من مياه الصرف بدلًا من صرفها بالكامل في بحيرة قارون حتي يمكن التوسع في الزراعة في المحافظة، وقد تم حفر نفق للمصرف الرئيسي بطول 10كم لينتهي عند منخفض الريان الذي بدأت تَشغلهُ بحيرة جديدة لم تكن موجودة من قبل عام 1970م أي قبل تشغيل السد العالي، وأدي تدفق المياه إلي المنخفض في ظهور بعض الشلالات عند الإنحدارات الشديدة التي تعترض طريقها كذلك نمو الأعشاب بكثرة، مما يسمح باستغلاله سياحيًا. وقد تم إعلان وادي الريان محمية طبيعية مع محمية بحيرة قارون ولكنها تحت مسمي أثر قومي طبيعي والشكل التالي يوضح حدود المحمية.

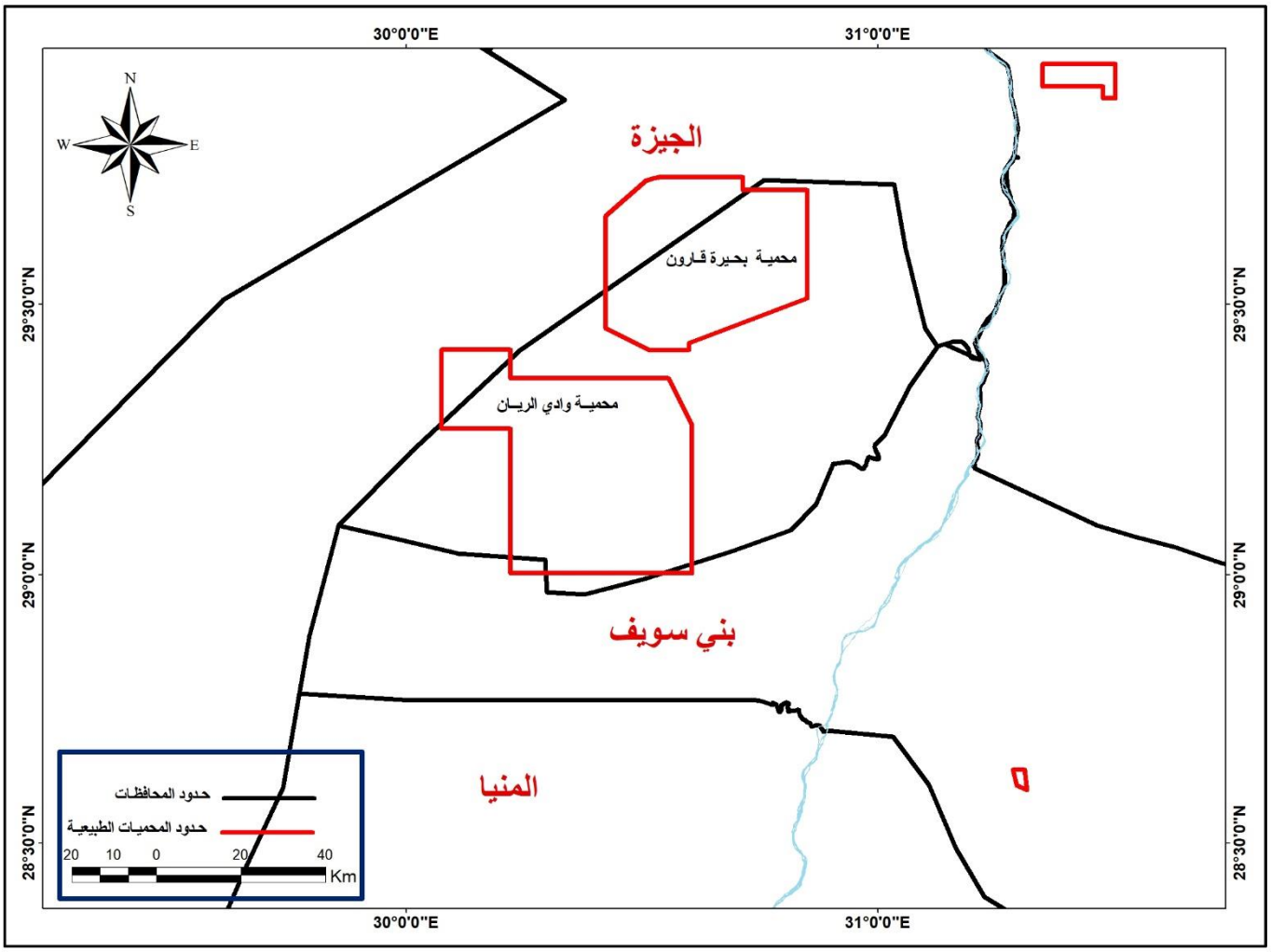

المصدر: من عمل الباحث بإستخدام برنامج ARC GIS 10.3.

شكل (4) يوضح حدود محميتي بحيرة قارون ووادي الريان.

5. المُناخ:.

يعتبر مُناخ الفيوم معتدل طوال العام علي الرغم من الارتفاع الطفيف في درجات الحرارة صيفًا حيث يبلغ أعلي متوسط لها 29 درجة مئوية وهذا متوسط أقل من درجات الحرارة علي مستوي الصعيد، والسبب في هذا الانخفاض هو وجود بعض المؤثرات المحلية التي تُلَطِف من درجات الحرارة بالفيوم وتتمثل هذه المؤثرات في بحيرة قارون والكثافة الزراعية العالية داخل المحافظة التي تؤدي أيضًا إلي تنقية الهواء وزيادة نسبة الأوكسجين به، أما بالنسبة لدرجات الحرارة في فصل الشتاء فتتميز- كما هو الحال في باقي محافظات مصر- بالدفء حيث يبلغ متوسط درجة الحرارة 10,7درجة مئوية، أما بالنسبة لسطوع الشمس فهي تتميز بالشمس المشرقة أغلب أيام السنة، وبالنسبة للرياح فهي تتعرض لرياح خفيفة لا تعيق الحياة، أهمها رياح الخماسين. وعن الأمطار فتسقط عليها الأمطار بكمية بسيطة في أوقات متفرقة خلال فصل الشتاء، أمّا من ناحية الرطوبة فتتميز بإنخفاض الرطوبة النسبيّة بها مما يعطي الشعور بالراحة(الشرابي، مرجع سبق ذكره، ص ص 119-120).

المعالم الآثرية بمحافظة الفيوم:.

تتميز الفيوم بالتنوع الآثري، وإن دُل ذلك يدل علي عراقة وأصالة الفيوم وأهميتها عبر العصور المختلفة وتحتوي الفيوم علي آثار عديدة، وعادة يتم تقسيمها بالشكل التالي:

أولًا: الآثار الفرعونية:

1. منطقة كيمان فارس: هي حي الجامعة الآن وهي أصل الفيوم وترجع نشأتها إلي الأسرة الخامسة وازدهرت في عهد الأسرة الثانية عشر حيث أنشأ فيها أمنمحات الثالث معبداً لعبادة الإله(سبك) معبود المنطقة في ذلك الوقت(عبد الخالق، 2007، ص13).

2. منطقة بهمو: تقع علي بعد7كم شمال مدينة الفيوم ويوجد بها أطلال قاعدتين كل منهما تحمل تمثالًا ضخمًا من حجر الكوارتز للملك أمنمحات الثالث جالسًا علي العرش.

3. منطقة أبجيج: تقع علي بعد 3كم جنوب غرب مدينة الفيوم وقد عُثِر بها علي مسلة للملك سنوسرت الأول مصنوعة من الجرانيت الوردي يصل ارتفاعها13م، وتم نقلها حاليًا إلي مدخل مدينة الفيوم.

4. مدينة ماضي: تقع علي بعد 35كم غرب الفيوم وتعتبر من أهم المناطق الأثرية ويرجع تاريخها إلي الأسرة الثانية عشر لوجود بقايا معبد شُيد في عهد أمنمحات الثالث، وقد نقش علي أعمدة المعبد نقوش تعد أمثلة رائعة لإمتزاج الحياة اليونانية والفرعونية (قاعود،2014، ص ص137-138) .

5. هرم اللاهون: بناه سنوسرت الثاني من الطوب اللبن علي نواة من الحجر الجيري، ويصل ارتفاعه48م.

6. هرم سيلا: شيده الملك سيلا وهو أحد ملوك الأسرة الثانية، وهو مواجه قرية الروبيات(عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص14).

7. قصر اللابرنت: تم بنائه ملاصقًا لهرم هوارة ويطلق عليه معبد أمنمحات، ويضم 12بهو كلها مسقوفة ولها بوابات تقابل الواحدة منها الأخري تمامًا، ستة بوابات تتجه شمالًا، وستةً تتجه جنوبًا ويوجد بالمبني المُحاط بجدار عدد من الحجرات يصل إلي300حجرة منها السفليّة التي كانت ضريح الملك والأخري علويّة، لم يتم اكتشاف السفلية بعد، ولم يتبقي من العلوية غير الأعمدة فقط.

8. مقبرة الأميرة " نفرو. بتاح": تقع علي بحر يوسف، وبنيت من الحجر الجيري ووجد بها تابوت من الجرانيت نقل إلي هيئة الآثار، وعثر بداخلها علي مائدة قرابين وثلاث أواني من الفضة، وقلادة للأميرة" نفرو. بتاح " ابنة الملك امنمحات الثالث (ناجي،2002، ص269).

ثانيًا: الآثار اليونانية والرومانية:

1. مدينة قصر قارون:

تقع المدينة جنوب غرب بحيرة قارون وتبعد 30كم عن مدينة الفيوم وهي تابعة حاليًا لمركز يوسف الصديق، وتعود أقدم الشواهد الآثرية بها إلي العصر البلطمي في القرن الثالث الميلادي ، وازدهرت المدينة في العصر الروماني وكانت تسمي ديونسياس"Dionysias"، ويعتبر قصر قارون من أشهر معالمها ومعالم الفيوم بشكل عام، ويقع في الطرف الشمالي من المدينة ويحتفظ بجميع تفاصيله حتي الآن.

2. مدينة كرانيس(كوم أوشيم):

هي إحدي القري اليونانيه الرومانية وتقع إلي الشمال من مدينة الفيوم، لقد تم إكتشافها من خلال بعثة حفائر متشجن"Michigon" (1924م ـ 1935م)، وبعثة القاهرة 1970م، حيث تم إكتشاف منازل آثرية ومباني دينية مثل معبدي

كرانيس الشمالي والجنوبي بالإضافة إلي بعض القطع الآثرية مثل ورق البردي والفخار والمسارج(قادوس، 2005، ص (111، 137، 139)).

3. مدينة أم الآثل:

تقع أطلال مدينة أم الآثل أو "أم العسل" كما يطلق عليها أهالي الفيوم حاليًا،والتي كانت تسمى قديمًا باخياس"Bachias" علي بعد 15كم من مدينة كرانيس، ولقد تم اكتشاف بعض القطع الآثرية المتمثلة في الأواني الفخارية والأدوات المنزلية والعملة التي يرجع تاريخها إلي العصرين اليوناني والروماني، بالإضافة إلي معبد يقع وسط المدينة يتكون من الطوب اللبن.

4. مدينة أم البريجات:

تقع جنوب مدينة الفيوم بحوالي 30كم ناحية بلدة تطون، ويوجد بها معبد تم اكتشافه عام1931م ويرجع للعصرين اليوناني والروماني ويوجد في الناحية الغربية للمدينة ولم يتبقي منه غير المخطط الأرضي وبعض الكتل الحجرية المتناثرة علي جوانب المعبد.

5. بورتريهات الفيوم:

ظهرت صور المومياوات الملونة في مصر خلال العصر الروماني حيث كان يتم تزويد المومياوات بصورة توضح الملامح الشخصية للمتوفي حيث كان يتم رسمها علي ألواح خشب أو مضغوطة في الشمع علي هيئة أقنعة جصية تم اكتشافها في منطقة الجبانة الرومانية بهوارة، وقد اختفت هذه العادة بالتدريج مع اختفاء التحنيط وانتشار المسيحية في مصر خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي(المرجع السابق نفسه، ص ص123-159).

الآثار الإسلامية والمسيحية:

1. العصر المسيحي:

وصلت المسيحية للفيوم في القرنين الأول والثاني الميلادي وأقيمت العديد من الأديرة مثل دير سيلا وسنورس والحمام ودير الغرب بالاضافة إلي دير الملاك.

2. العصر الإسلامي:

تم فتح الفيوم بعد مصر بعام وشهدت الفيوم إصلاحات في عهد صلاح الدين ومن تبعه من الأيوبيين، وقد استقر بها المماليك والأتراك، ومن أشهر الآثار الإسلامية:

* مسجد قايتباي: يرجع لعصر الدولة المملوكية حيث أُقيم في عام1476م.
* قبة مسجد الروبي: أُقيمت في العهد المملوكي وتشبه مئذنة الأزهر.
* المسجد المعلق: مسجد الأمير سلطان،سمى بالمعلق لارتفاعه عن سطح الأرض، ويشبه في نظامه الجامع الأزهر(ناجي، مرجع سبق ذكره، ص271).

المعالم والمزارات السياحية بالفيوم:

تتعدد المعالم والمزارات داخل المحافظة وتلعب دورًا واضحًا في جذب السائحين ونشاط حركة السياحة ومن أشهر المعالم والمزارات مايلي:

1. سواقي الهدير: تنتشر بوضوح في مدينة الفيوم لاسيما في ميدان قارون وهي عبارة عن آلة ري قديمة تُدار برفع المياه، ويوجد حوالي 200 ساقية وقد إتخذتها المحافظة شعارًا لها.

2. **حديقة الحيوان:** تقع في مدخل الفيوم بالقرب من ديوان عام المحافظة، ولها دور مهم في تنشيط السياحة بالمحافظة وخاصة السياحة الداخلية.

3. **معرض السياحة الدائم:** يقع عند مدخل المدينة ويتبع ديوان عام المحافظة، أُنشئ عام 1989م، يضم جميع عناصر الجذب السياحي والمشروعات السياحية وصور للمناطق الآثرية والسياحية بالمحافظة.

4. **حدائق عين السليين وعين الشاعر:** يقعان في مركز سنورس ويبعدان عن مدينة الفيوم بحوالي 9كم، وتضمان حدائق، وهدارات الشاطئ، وكافتيريا عين الشاعر وكافتيريا دوار القرية(عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص7).

فضلاً عن ذلك بحيرة قارون ومنخفض وادي الريان اللذان يعتبران من أشهر وأهم معالم الفيوم وأكثر المناطق جذبًا للسائحين وقد تم الحديث عنهما فيما سبق، بالإضافة إلي وادي الحيتان، وقرية تونس السياحية الواقعه علي بحيرة قارون.

أعلام وشخصيات مشهورة من الفيوم:

تزخر الفيوم بالعديد من الشخصيات الشهيرة في مجالات محتلفة سواء تاريخية وسياسية وفنية ورياضية وفيمايلي عرض لأبرز هذه الشخصيات:

1. **دينية:** إبراهيم بن موسي الفيومي شيخ الأزهر الأسبق.

2. **سياسية وتاريخية:**

*علي باشا الروبي: أحد زعماء الثورة العرابية، والذي رفض أن يدافع عنه محاميًا إنجليزيًا وحكم عليه بالحبس في مدينة بالسودان ورفض الاعتذار للخديوي للعفو عنه وتوفي بالسودان.

* حمد باشا الباسل: أحد أبرز زعماء حزب الوفد وأحد رموز ثورة 1919م سجن ونفي مع سعد زغلول ورفاقه.

*الشهيد/عبد المنعم رياض: الذي استشهد في الصفوف الأمامية بين جنوده الأبطال رغم أنه كان رئيس أركان حرب الجيش المصري خلال حرب الاستنزاف(الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن).

*صوفي أبوطالب:رئيس مجلس الشعب الأسبق وشغل منصب رئاسة الجمهورية بشكل مؤقت بعد استشهاد الرئيس السادات.

* يوسف والي: وزير الزراعة الأسبق.

3. **فنانون:**

*زكريا أحمد موسيقي وملحن

*يوسف وهبي فنان وممثل

*مريم فخر الدين

*نجلاء فتحي

4**رياضيون:**

*عبد العليم زكريا: نجم الأهلي والزمالك والاتحاد السنكدري السابق،وعضو مجلس الشعب الأسبق.

*سيد عبد الحفيظ: لاعب كرة قدم سابق بالنادي الأهلي.

*سيد معوض:لاعب كرة قدم سابق بالنادي الأهلي.

*محمد عبد الوهاب:"رحمة الله عليه" لاعب كرة قدم بالنادي الأهلي.

*محمد إيهاب:لاعب المنتخب الوطني لرفع الأثقال، حاصل علي ثلاث ميداليات ذهبية ببطولة العالم لرفع الأثقال التي أقيمت في العام الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية.

بالإضافة إلي ماسبق أحمد صديق والسيد حمدي وصبري رحيل جميعهم لاعبين كرة قدم(البوابة الإلكترونية لمحافظة الفيوم).

5.في مجال العلم:

*عائشة حسنين"ملك حفني ناصف": باحثة البادية، الأديبة المصرية ذائعة الصيت، التي دعت إلي تحرير المرأة في القرن العشرين.

*د/مصطفي الخشاب.

*د/أحمد الخشاب.

بالإضافة إلي الصحفي الكبير صلاح حافظ أحد رموز الفكر والأدب والسياسه والصحافة(الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن).

الخاتمة:

الفيوم بلد له تاريخ فمنذ فجر التاريخ وهي تحظي بمكانة كبيرة وإهتمام من الدولة المصرية وذلك لما تمتلكه من مقومات، فموقعها وسط البلاد،بالإضافة إلي أنها واحة طبيعية في الصحراء الغربية فهي إمتداد للوادي في الصحراء، وتعتبر أرض الفيوم من أخصب أراضي الجمهورية.

وقد تناولت هذه الدراسة تاريخ الفيوم في العصر الفرعوني والروماني والإسلامي وأشهر المواقع والشواهد الآثرية الدالة علي عراقة المحافظة، وتناولت أيضًا جغرافية الفيوم من موقعها الفلكي والجغرافي ومساحتها وتقسيمها الإداري وتضاريسها ومناخها.

وفي النهاية عرضنا أشهر المعالم السياحية في المحافظة وتعرضنا لأبرز الشخصيات التي أنجبتها المحافظة في جميع المجالات، ومع ذلك الحديث عن الفيوم يطول ولذكر كل شئ عنها بالتفصيل نحتاج إلي كتب ومجلدات لأنها محافظة فريدة من نوعها فهي جنة الصحراء.

ويوجد بها تنوع وتعدد حيث يوجد بها مجتمع زراعي وصناعي وبدوي بالإضافة إلي النشاط السياحي بها سواء علي بحيرة قارون و وادي الريان ووادي الحيتان وغيرها من الأماكن السياحية، وتشتهر الفيوم بالسواقي ولاتوجد هذه السواقي في أي محافظة أخري ولذلك إتخذتها المحافظة شعارًا لها.

وعلي المستوي الشعبي نجد أن الفيوم شاركت في ثورة 1919م وكان حمد باشا الباسل أحد زعماء الثورة، ولقد قاوم شعبها الاحتلال الإنجليزي ولذلك نجد أن عيدها القومي هو 15 مارس من كل عام وهو يوم ثورة أهالي الفيوم علي الاحتلال.

قائمة المصادروالمراجع:

أولًا: الأبحاث والرسائل الجامعية:

(1) جاد الرب، حسام الدين(2004)، التنمية السياحية في محافظة الفيوم، المجلة الجغرافية العربية، العدد43، الجزء الأول، الجمعية الجغرافية المصرية.

(2) سيد، شريف عبد المنعم كامل(2013)، النمو العمراني علي الأراضي الزراعية في محافظة الفيوم"دراسة في جغرفية العمران"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب جامعة القاهرة.

(3) عبد الخالق، سيد(2007)، السياحة في محافظة الفيوم من منظور جغرافي، مجلة مركز الخدمة للإستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد24.

(4) قاعود، مروة صلاح وآخرون(2014)، دراسة تحليليّة للانماط السياحية بإقليم شمال الصعيد، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، الاصدار الثامن، العدد الأول.

ثانيًا: الكتب:

(1) أبو العز، محمد صفي الدين(1996)، مورفولوجية الأراضي المصرية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

(2) الشافعي، أبي عثمان النابلسي الصفدي(1898)، تاريخ الفيوم وبلاده، المطبعة الأهليه، القاهرة.

(3) الشرابي، محبات إمام(1991)، أقاليم مصر السياحية دراسة في جغرافية السياحة، دار الفكر العربي، القاهرة.

(4) جودة، جودة حسنين (2000)، جغرافية مصر الطبيعية وخريطة المعمور المصري في المستقبل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(5) حمدان، جمال محمود صالح (1967)، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، الجزء الأول، دار الهلال، القاهرة. (6) رمزي، إبراهيم(2014)، تاريخ الفيوم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

(7) رمزي، محمد(1994)، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين إلي سنة 1945م، القسم الثاني، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(8) فتحي، محمد فريد (2000)، في جغرافية مصر، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(9) فكري، محمد أمين(1879)، جغرافية مصر، مطبعة وادي النيل المصرية، الطبعة الأولي، القاهرة.

(10) قادوس،عزت زكي حامد(2005)،آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية.

(11) مهران، محمد بيومي(1999)، المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعيه، الاسكندرية.

(12) ناجي، أنغام عبد المنعم وآخرون(2002)، المعالم الآثرية والسياحية في مصر، الطبعة الأولي، دار نهضة الشرق، القاهرة،

ثالثًا: المصادر الحكومية:

(1) الإدارة العامة للدراسات البيئية والطبيعية(2010)، المنظور البيئي لإستراتيجية التنمية العمرانية علي مستوي الجمهورية(إقليم شمال الصعيد)، الهيئة العامة للتخطيط العمراني.

(2) وزارة البيئة المصرية(2016)، جهاز شئون البيئة، قطاع نوعية البيئة، برنامج الرصد البيئي للبحيرات المصرية، الرحلة الحقلية الثانية، نوفمبر 2016م.

رابعًا: المواقع الإلكترونية:

(1) البوابه الالكترونية لمحافظة الفيوم، أعلام الفيوم،رابط http://www.fayoum.gov.eg/ea/default.aspx ، تاريخ الدخول 2024/8/25م.

(2) البوابة الالكتورنية لمحافظة الفيوم، بيان إدارة مجالس المحافظة،2017م.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

التغايرية المطرية والصبيب المائي لواد سكساوة مابين 1989 و2023، أية علاقة ؟

Rainfall heterogeneity and Water flow in the Saksawa valley between 1989 and 2023, is there any relationship ?

عبدالوهاب أمشتال، سعيد عزيوي، محمد السعيدي

عبدالوهاب أمشتال : طالب دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، جامعة القاضي عياض، المغرب
amachtal@gmail.com

د.سعيد عزيوي : أستاذ مؤهل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، جامعة القاضي عياض، المغرب

Said.azioui@gmail.com

د.محمد السعيدي : أستاذ مؤهل، كلية العلوم التقنية بمراكش، جامعة القاضي عياض، المغرب
m.saidi@uca.ma

مختبر الجيومرفلوجيا، البيئة والمجتمع، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش.

الملخص :

يعتبر حوض سكساوة من ضمن الأحواض شبه الجافة الصغرى بالأطلس الكبير الغربي في وسط المملكة المغربية، حيث يبلغ به متوسط درجة الحرارة السنوي 18.5C° ، بينما يبلغ متوسط تساقطاته السنوية 298 ملم، ومن خلال معالجتنا للنظام الهيدرو-مطري للحوض معتمدين على بيانات التساقطات والصبيب خلال الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1989 و2023، خلصنا إلى أن الحوض عرف تغيرات سنوية تمثلت في وجود سنوات رطبة واكبتها سنوات جفاف نتيجة عدم انتظام التساقطات المطرية السنوية، مع استمرارية خلال العقد الأخير نحو الجفاف، وهو ما أثر بدرجة قليلة على صبيب واد سكساوة، إذ لاحظنا أنه بتراجع التساقطات يتراجع الصبيب، لكن وتيرة تراجع الصبيب كبيرة جدا مقارنة بتراجع التساقطات، الأمر الذي دفع بنا إلى البحث عن العوامل الأخرى التي زادت من هذا التراجع الكبير للصبيب، حيث وجدنا أن تزايد حدة الجفاف خلال الآونة الأخيرة أدت بلجوء الساكنة في عالية الحوض إلى استعمال وشطف مياه الواد إلى صهاريج شيدت من أجل توفير مياه الشرب، وذلك بعد نفاذ أو ضعف منسوب مياه العيون، و كذا تلبية حاجة الأراضي الفلاحية من مياه السقي عن طريق السواقي المرتبطة بالواد، وقد استفحل مشكل نقص مياه الواد بتزايد النمو الديمغرافي، بشكل لا يكاد تصل مياه الواد إلى السافلة باستثناء الفترات الرطبة، وهو ما يجعل هذه الأخيرة تلبي حاجياتها من المياه الجوفية عبر الآبار. ومن التغيرات التي لاحظناها أيضا ارتفاع التساقطات المطرية خلال فصل الشتاء لكن أن الصبيب يرتفع في فصل الربيع، وقد فسرنا ذلك بتأخر زمني لارتفاع الصبيب وذلك راجع لكون أراضي الحوض جافة يتم تهييئها للجريان خلال فصل الشتاء ومع بداية ذوبان الثلوج وتدفق مياه العيون على السطح يزداد الصبيب ليصل لأقصاه خلال شهر فبراير. ومن النتائج أيضا أن خاصية التناوب التاريخي بين الفترات الجافة والرطبة بالحوض، تضعنا أمام إحتمالية عودة الفترات الجافة مستقبلا، أما توقعات الصبيب اليومي الأقصى فهي الأخرى تضعنا نواجه فيضانات يختلف ترددها حسب فترات العودة، لذا فعلى كل المتدخلين والفاعلين داخل الحوض الأخذ بعين الاعتبار هذه التحديات من أجل تدبير مندمج للحوض.

الكلمات المفاتيح: التغايرية المطرية، الصبيب المائي، النظام الهيدرو-مطري، واد سكساوة.

Abstract

The Sksawa Basin is one of the small semi-arid basins located in the Western High Atlas of central Morocco. It has an average annual temperature of 18.5°C, with an average annual rainfall of 298 mm. Through our analysis of the basin's hydro-rainfall system, based on precipitation and flow data from 1989 to 2023, we concluded that the basin has experienced annual variations, characterized by alternating wet and dry years due to the irregularity of annual rainfall. Over the last decade, a trend towards increased aridity has been observed, which has slightly affected the flow of the Sksawa River. We observed that as rainfall decreases, the river flow also decreases, but the rate of flow decline is significantly greater compared to the decrease in rainfall. This led us to investigate other factors contributing to this significant reduction in flow. We found that the intensifying drought in recent years has prompted local residents in the upper basin to use river water, collecting it in tanks built to provide drinking water after springs have dried up or their flow has weakened. Additionally, agricultural lands' need for irrigation water, supplied through channels connected to the river, has further exacerbated the problem of reduced river water. This situation is compounded by population growth, to the extent that river water barely reaches the lower basin except during wet periods. Consequently, the lower basin meets its water needs through groundwater from wells. Another change we observed is that although rainfall increases during the winter, the river flow peaks in the spring. We explained this with a time delay in flow increase, due to the dry basin lands becoming prepared for runoff during winter. As snow melts and spring water surfaces, the flow increases, reaching its peak in February. Our findings also suggest that the historical alternation between dry and wet periods in the basin presents the possibility of a return to dry periods in the future. Additionally, projections of maximum daily flow indicate potential floods with varying frequencies based on return periods. Therefore, all stakeholders and actors within the basin must consider these challenges to ensure an integrated management of the basin.

Keywords: Rainfall heterogeneity, Water flow, Hydro-rain system, Sksawa Basin.

- **تقديم:**

تؤكد جل الدراسات من مختلف التخصصات العلمية أن الندرة المائية ترجع بالأساس الى التغيرات المناخية التي بدأ يشهدها العالم بعد الثورة الصناعية، والتي لم يحس الإنسان بخطورتها إلا بعد قمة ريو 1992م. وتعد التغايرية المطرية ذلك التفاوت الزمني والمجالي في توزيع التساقطات المطرية ونتيجة للتغيرات المناخية الحالية، وتشكل في الوقت نفسه أحد العوامل المسؤولة عن عدم انتظام الجريان السطحي للأودية.

ويعتبر المغرب من بين المجالات العالمية التي تعرف خصاصا من حيث الموارد المائية، فخلال السنة الهيدرولوجية الحالية وبالضبط ما بين شتنبر 2023 ويناير 2024 بلغت حجم واردات السدود 646 مليون م^3 مقارنة بالسنة الهيدرولوجية الماضية والتي سجلت 3.9 مليار م^3[58]، وهذا التراجع والتذبذب الذي يعرفه منسوب المياه بالسدود يشكل عائقا أمام تلبية حاجيات السكان من المياه، ويرجع الى مجموعة من المقومات الطبيعية والبشرية للمجال المغربي والتي تشكل التغايرية المطرية ركيزتها. وإن وقوع حوض سكساوة ضمن المجالات المغربية شبه الجافة بالأطلس الكبير الغربي يجعله يتميز بعدم انتظام التساقطات وتركزها زمنيا ومجاليا، وهو ما يؤثر على السلوك الهيدرولوجي للواد، إذ يعرف حالة الاستقرار في فترات وفي فترات أخرى بضعف الصبيب وبسيادة طابع الجفاف، وفي حالات استثنائية يشهد حالة الامتطاحات.

[58] وزارة التجهيز والماء، تقرير وضعية الموارد المائية ببلادنا الإجراءات المتخذة والبرنامج الاستعجالي لضمان الماء، 2024 ص 5.

وقد فرضت علينا هذه الدراسة تحديد المميزات المناخية والهيدرولوجية لواد سكساوة خلال الفترة الممتدة من السنة الهيدرولوجية 1989م الى 2023م، وهي الفترة التي استطعنا الحصول على معطياتها من وكالة الحوض المائي لتانسيفت، حيث سنقوم أولا بمعالجة هيدرو-مطرية من أجل فهم وتقييم حالة الموارد المائية السطحية بحوض سكساوة والتنبؤ بالتحديات المستقبلية مثل الجفاف والفيضانات. وثانيا يجب دراسة النظام الهيدرولوجي بتحليل مستويات الصبيب السنوي والفصلي والشهري لواد سكساوة، وتبيان العلاقة بين التساقطات والصبيب لإبراز درجة تأثر الموارد المائية السطحية بالتغايرية المطرية التي يشهدها الحوض في إطار التغيرات المناخية الراهنة.

- **توطين مجال الدراسة :**

خريطة رقم 1 : توطين حوض سكساوة ضمن جهات و أقاليم و جماعات المملكة المغربية.

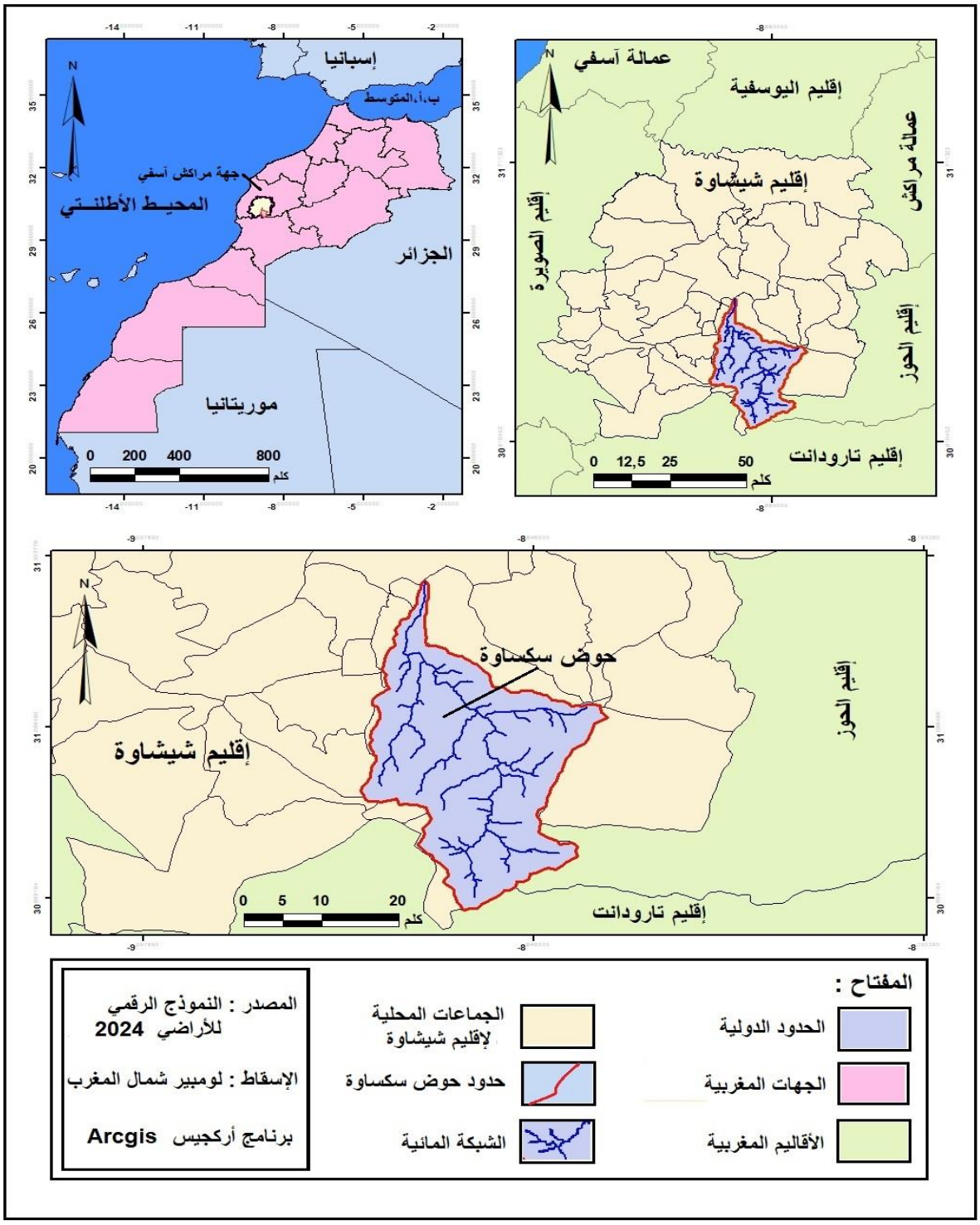

يعتبر حوض سكساوة من بين الأحوض الصغرى بالمملكة المغربية الشريفة، والذي يتموقع تحديدا من الناحية الإدارية بإقليم شيشاوة، والذي ينتمي بدوره إلى جهة مراكش اسفي حسب التقسيم الجهوي المحدث سنة 2015. وهو مجال ترابي يمتد على دائرتي مجاط وامنتانوت، يحده من الجنوب إقليم تارودانت ومن الجهات الأخرى يتوطن بين جماعات كلها تنتمي لإقليم شيشاوة حيث تحده جماعة إمندونيت وجماعة الزاوية النحلية من الشرق وتحده جماعة روهالة وجماعة عين تازيتونت وجماعة امنتانوت وجماعة انفيفة من الغرب بينما تحده جماعة السعيدات من الشمال. ويبعد عن الجماعة الحضرية لإمينتانوت ب 8 كيلومترات، في حين تعتبر سيدي غانم أقرب جماعة الى محطة الهيدرلوجية القديمة إلودجان والتي تشكل منطقة تواجدها اليوم مجال بناء سد بولعوان. ويتخذ مجرى واد سكساوة اتجاه جنوب-شمال ويشكل الرافد

الرئيسي لواد شيشاوة نظرا للكميات السائلة والصلبة المهمة التي يمدها به، وبذلك يمكن أن نقول على أن حوض سكساوة جزء من الحوض الكبير لتانسيفت، يقع بالحاشية الشمالية للأطلس الكبير الغربي.

- **الإشكالية:**

يأتي موضوع الدراسة في خضم الخصاص المائي الذي يشهده المجال المغربي عامة وحوض سكساوة بالخصوص باعتباره أحد المجالات شبه الجافة التي تعاني من ندرة الموارد المائية السطحية خلال العقود الأخيرة بفعل التغيرات المناخية كعامل رئيسي في هذا المشكل، لذا كان ولابد علينا كباحثين في هذا التخصص، القيام بدراسة جغرافية هيدرولوجية خالصة تأخذ بعين الاعتبار تحليل المعطيات المناخية والهيدرولوجية من أجل الخروج بنتائج علمية رصينة تثبت تأثر الموارد المائية السطحية بالحوض بالتغايرية المطرية في إطار التغيرات المناخية الحالية، وذلك من خلال عدم كفايتها لتلبية حاجيات الساكنة من المياه للشرب ولسقي الأراضي الفلاحية، وكذا تعرض الحوض لحالات الجفاف والفيضانات نظرا لعدم انتظام التوزيع المجالي والزمني للتساقطات المطرية ولن يتأتى ذلك إلا بتحليل العلاقة القائمة بين الصبيب والتساقطات المطرية، ومن خلال هذه الديباجة يمكن أن نطرح التساؤلات التالية :

- ما هي الوضعية المناخية المميزة لحوض سكساوة؟
- كيف تتوزع التساقطات المطرية بحوض سكساوة زمنيا ومجاليا؟
- كيف ينتظم الصبيب السنوي والفصلي والشهري بواد سكساوة؟
- ما العلاقة التي تربط التساقطات المطرية بالصبيب؟
- إلى أي حد يمكن أن نتحدث عن تأثر الصبيب بالتغايرية المطرية (دراسة مقارنة)؟

- **أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدراسة في كونها من الدراسات العلمية التي تبحث في إطار العلاقة التي تربط الموارد المائية بالتغيرات المناخية، وستساعدنا هذه الدراسة في فهم العلاقة بين التساقطات المطرية والصبيب المائي والتنبؤ بحالات الجفاف والفيضانات بحوض سكساوة، بل وستمكننا هذه النتائج المحصل عليها في بناء توقعات هطول الأمطار ووضع استراتيجيات لتكيف الاستغلال المائي مع التغيرات المناخية الحالية.

- **أهداف الدراسة :**

تهدف الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية، التي تساعد في فهم وتدبير الموارد المائية من داخل الحوض السفحي لسكساوة، والتي تتمثل فيما يلي :

- تقييم كمية المياه السطحية المتاحة التي يتوفر عليها حوض سكساوة.
- فهم النظام الهيدرو-مطري للحوض من خلال تبيان علاقة التساقطات بالصبيب.
- وضع توقعات تنبؤية لحالات الجفاف والفيضانات.
- فهم تأثير التغايرية المطرية على الموارد المائية السطحية.
- ستساعد الدراسة على وضع استراتيجيات لتدبير الموارد المائية.

- **فرضيات الدراسة:**

- يتميز التوزيع الزمني والمجالي للتساقطات بحوض سكساوة بعدم الانتظام.
- يعرف واد سكساوة حالة عدم استقرار في الصبيب، تجعل جريانه يتسم بطابعه الموسمي.
- يرتبط ارتفاع صبيب الواد بكميات التساقطات التي يتلقاها الحوض.

- ساهمت حدة التغييرات المناخية خلال العقود الأخيرة في حدوث تقلبات على مستوى التساقطات أثرت سلبا على الجريان المائي السطحي بواد سكساوة.
- تنضاف عوامل أخرى إلى جانب ضعف التساقطات تسبب في تراجع صبيب الواد.
- **الدراسات السابقة:**

لم يحظى حوض سكساوة بدراسة حول موضوع تأثير التغايرية المطرية أو بالأحرى آثار التغيرات المناخية على الموارد المائية السطحية، لكن هناك الكثير من هذه الدراسات والتي همت المجالات العالمية والوطنية والتي سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بالنسبة للمجال المغربي الدراسات العلمية التالية:

- **مقال د.مصطفى بنعسكروأخرون(2023)** : ارتكز على تبيان أثر التغيرات المناخية على الموارد المائية، حيث تم التوصل الى كون مدينة بركان مجالا ضمن سهل طريفة، يعرف ارتفاعا لفترات الجفاف وتراجعا للفترات الرطبة الشيء الذي زاد من حدة الجفاف المناخي وأثر سلبا على الموارد المائية، وبالتي طرح الإشكال حول كيفية التكيف مع التغيرات المناخية من أجل تحقيق التنمية المستدامة .
- **أطروحة يونس حرور(2023):** تناولت بالدراسة تقييم تأثيرات التغيرات المناخية على توفر الموارد المائية بحوض لوكوس السفلى بشمال المغرب، خلصت الدراسة بتراجع التساقطات المطرية ما بين 1960 و2018 واكبها انخفاض في صبيب الوادي، وقد اعتمد على نماذج هيدرولوجية لمحاكاة التوقعات حيث تم التوصل بأنه الى غاية نهاية القرن 21م ستستمر التساقطات والصبيب في الانخفاض بنسب أدناها 21 بالمئة ويبلغ أقصاها 71 بالمئة.
- **أطروحة محمد شاكر (2022):** دراسة إحصائية للموارد المائية وللشح المائي بحوض تساوت (عالية سد مولاي يوسف)، تم فيها معالجة المعطيات المناخية والهيدرولوجية لمحطتي ايت تمليل وتمسماط ما بين 1976 و2016، خرجت الدراسة بكون الحوض عرف تبيانا في الشح المائي بين فترات تميزت بشدة الشح المائي وأخرى كانت بدرجة أقل، وذلك بفعل قلة التساقطات المطرية بالإضافة الى تزايد الطلب على الماء، وهو استدعى وضع تخطيط يأخذ بعين الاعتبار الموارد المائية المتاحة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمجال المدروس.
- **مقال نادية الحلووأخرون (2015):** ارتكزت الدراسة على إبراز تأثير التغيرات المناخية على حوض غزاف بالأطلس الكبير الأوسط بجهة بني ملال خنيفرة، اعتمدت الدراسة على التحليل الإحصائي للمعطيات المناخية والهيدرولوجية والتي وفرتها محطة أيت سكمين والتي همت الفترة ما بين 1971 و2011، خلصت النتائج الى كون التساقطات غير منتظمة زمانيا كان لها وقع على تباين صبيب الواد، الأمر أكد على تعقد النظام الهيدرولوجي للحوض، بكونه يعرف سنوات جافة وأخرى رطبة، لكن مع سيادة السنوات الهيدرولوجية الرطبة، وذلك لكون تغذية الواد مزدوجة (تساقطات، ثلوج) تخلق نوع من التوازن الهيدرولوجي بالحوض.
- **منهجية الدراسة:**

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المناهج والأدوات والبرامج، التي مكنتها من الخروج بمجموعة من النتائج العلمية الرصينة. فبالنسبة للمناهج فقد اشتغلنا بالمنهج الوصفي التحليلي الذي مكننا من الاشتغال بصفة تركيبية وصف-تفسير، حيث قمنا بوصف كل المعطيات المناخية والهيدرولوجية المتعلقة بالتساقطات والصبيب وقد تم المرور الى عملية التفسير بعد القيام بالترابطات بين هذه المعطيات لإيجاد العلاقة السببية بينها، بالإضافة إلى الاعتماد على دراسة مقارنة بين الصبيب والتساقطات المطرية من أجل الخروج بمجموعة من النتائج. وقد تمت معالجة المعطيات المحصل عليها أساسا من وكالة الحوض المائي لتانسيفت بواسطة أدوات وبرامج تتمثل أساسا في برنامج EXCEL وبرنامج HYEFRANPLUS

لتحويل المعطيات الى مبينات تسهل عملية القراءة بعد حساب مجموعة من المؤشرات والمتوسطات والمعاملات، وبرنامج ARCGIS الذي مكننا من رسم خرائط الحوض.

- **المناقشة والنتائج:**

I. التصنيف المناخي لحوض سكساوة:

إذا حسمت كل الدراسات المناخية على كون المغرب ذا مناخ متوسطي في الشمال ومناخ صحراوي في الجنوب، فالدراسات السابقة للأطلس الكبير الغربي من قبيل دراسة فايسروك التي تؤكد أن مناخ هذا المجال يصنف ضمن المجالات شبه الجافة، نظرا لوقوعه ضمن العروض الصحراوية الشمالية، لكن مع ذلك يتجنب المؤثرات الصحراوية بفعل جبال الأطلس الصغير التي تشكل حاجز لهذه المؤثرات وبفعل عاملي الإرتفاع والقرب من المحيط[59]، وفي نفس الاتجاه يصنف أيضا جان دريش الأطلس الكبير الغربي ضمن المناخ شبه الجاف وذلك لوقوعه بين المناطق المعتدلة (شبه الرطبة) والصحراوية ، إلا أن قربه من المحيط مع وجود ارتفاعات مهمة يجعل مناخ هذا المجال الانتقالي نحو الصحراء معقد وصعب التحديد عند حد قوله[60]. ومن أجل التدقيق في طبيعة المناخ المحلي لحوض سكساوة كجزء لا يتجزأ من الأطلس الكبير الغربي وبالضبط ضمن أطلس مراكش حسب جان دريش، يجب الاعتماد على بعض مؤشرات تحديد القحولة.

وبالتالي يمكن أن نصنف المجالات حسب مؤشرات تحديد القحولة عموما الى مجالات: جد جافة، جافة، شبه جافة، شبه رطبة، رطبة. ليبقى السؤال المطروح الى أي صنف من هذه المجالات ينتمي الحوض مجال الدراسة؟

- **المؤشرات المعتمدة لتحديد القحولة:**

- مؤشر مارتون: $I = P / T+10$

(I) : مؤشر القحولة - **(P)** : متوسط التساقطات السنوية - **(T)** : متوسط درجات الحرارة السنوي

- مؤشر أمبرجي: $Q = P*1000 /(M^2 – m^2)$

(Q): مؤشر القحولة - **(P)**: متوسط التساقطات السنوية - **(T_m)**: المتوسط الشهري لدرجات الحرارة الدنيا

(T_M): المتوسط الشهري لدرجات الحرارة القصوى

اعتمادا على بيانات التساقطات ودرجات الحرارة خلال الفترة قيد الدراسة ما بين 1989 و2023، استطعنا حساب معادلات مؤشرات القحولة لكل من مارتون وأمبرجي، كما يوضح الجدول أسفله:

الجدول رقم 1 : مؤشرات القحولة بحوض سكساوة .

المحطة الهيدرولوجية	مؤشرات القحولة	
	مؤشر مارتون	مؤشر أمبرجي
إلودجان	10.45	77.60

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023.

[59] A. Weisrock, Geomorphologie et paleoenviromments de l'Atlas Atlantique(Maroc), 1980, p.19 .

[60] J. Dresch, L'evolution du relief dans le massif ventral du grand Atlas le Haouz et le Sous(Maroc),1984, p.555 .

وحسب النتائج المحصل عليها من خلال الجدول رقم 1 يتضح أن حوض سكساوة ينتمي إلى المجالات شبه الجافة، حيث بلغ مؤشر قحولة الحوض حسب أمبرجي 77.60 وبذلك يمكن تصنيف حوض سكساوة حسب هذا المؤشر ضمن الصنف الرابع (مابين 50 و100) والذي يرجع للمناخ شبه الجاف ومن مميزاته تباين التساقطات بين الاعتدال والإنخفاض، وتفاوت في درجة الحرارة (صيف حار وشتاء بارد)، وندرة في المياه السطحية، والإعتماد على تربية الماشية وعلى زراعة مسقية محدودة.

اما بالنسبة لمؤشر مارتون فقد بلغ 10.45 بحوض سكساوة، حيث يصنف الحوض ضمن المجال شبه الجاف وهو الصنف الثاني حسب هذا المؤشر (ما بين 10 و20)، ونجد على أن مميزاته تتشابه الصنف الرابع لمؤشر أمبرجي.

واعتمادا على تحليل هذه المؤشرات وعلى الموقع الجغرافي، يتبين أن الحوض ينتمي إلى المجالات التي يسود بها المناخ المتوسطي شبه الجاف بالمغرب وخاصة بالحاشية الشمالية للأطلس الكبير الغربي، ومن المميزات المناخية اعتدال التساقطات السنوية حوالي 298 ملم واعتدال درجة الحرارة السنوية 18.5C°، أما من ناحية الموارد المائية فنجد ضعف المياه السطحية الأمر الذي يجعل الساكنة تلتجأ الى المياه الجوفية عن طريق العيون في العالية والآبار بالسافلة، وبالنسبة للغطاء النباتي فهو محدود تطغى عليه التشكيلات النباتية والشجرية التي تتأقلم مع الجفاف، ونجد على أن الفلاح بالحوض يعتمد على تربية الماشية أساسا وعلى الزراعة التي تستند إلى الري والتي تعتبر محدود داخل الحوض.

II. معالجة المعطيات الهيدرو- مطرية لحوض سكساوة.

نقصد بمعالجة المعطيات الهيدرو- مطرية، تلك الدراسة التي تهدف الى تحليل وتفسير البيانات المتعلقة بالهيدرولوجيا والأمطار، وستمكننا النتائج المحصل عليها على فهم وتقييم حالة ووضعية الصبيب والتساقطات بالحوض، وكذا التنبؤ بالتحديات المستقبلية مثل الفيضانات والجفاف.

فرضت علينا هذه الدراسة البحث عن البيانات المناخية من خلال محطات الرصد، ومن حظوظنا أن هناك محطة هيدرولوجية داخل الحوض تسمى محطة إلودجان توجد بمقربة من مخرج الواد، أمدتنا وكالة الحوض المائي ببياناتها المناخية والتي سنقوم بتحليلها في هذا المقال، باستعمال النماذج الإحصائية والرياضية من أجل بناء التنبؤات والخروج بنتائج وتوصيات.

1- تحليل معطيات التساقطات المطرية بحوض سكساوة.

1-1- المتوسطات السنوية للتساقطات:

اعتمادا على البيانات المناخية المحصل عليها من وكالة الحوض المائي لتانسيفت والتي تشمل الفترة الزمنية الممتدة من 1989 الى غاية 2023، نلاحظ أن كمية التساقطات تختلف من سنة لأخرى، وإن حوض سكساوة يتلقى متوسط سنوي من التساقطات يقدر بحوالي 298 ملم، وقد سجلت أعلى كمية 518 ملم خلال الموسم الهيدرولوجي 1996-1997، بينما سجل الموسم أدنى كمية حوالي 131 ملم. وعموما فمتوسط التساقطات السنوية بهذه المحطة لا تتجاوز 298 ملم، نظرا لوقوعها بالقرب من مخرج الواد.

مبيان رقم 1: التوزيع السنوي للتساقطات بحوض سكساوة ما بين 1989 و2023.

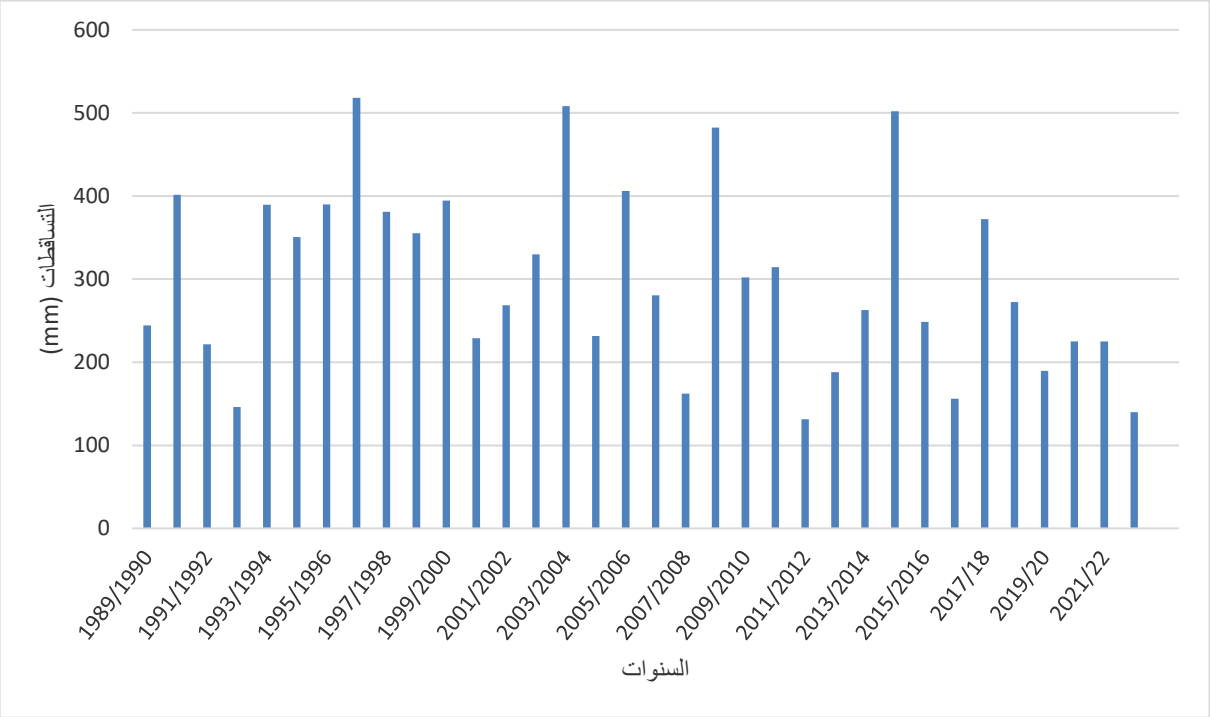

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

ونظرا لأهمية التساقطات السنوية في الدراسات المناخية فلابد علينا أن نتعمق في تحليلها من أجل تبيان تأثير التغيرات المناخية الحالية على التساقطات المطرية (التغايرية المطرية)، وانطلاقا من المبيان أعلاه يمكن أن القول أن هناك سنوات رطبة شهدت تساقطات جد مهمة تتجاوز 400 ملم مثل 1996-1997 و 2003-2004 و 2008-2009 و2014-2015، وإن من شأن ارتفاع التساقطات المطرية الرفع من منسوب الجريان المائي بواد سكساوة. لكن تواكب السنوات الرطبة سنوات جافة تقل فيها التساقطات عن 200 ملم مثل 1992-1993 و2007-2008 و2011-2012 و2012-2013 و2016-2017 و2019-2020 2022-2023. للإشارة أن السنتين 2020-2021 و2021-2022 اعتمدنا فقط على تقدير متوسطها نظرا لتوقف المحطة عن تسجيل بيانات التساقطات خلالها لأسباب مجهولة. وبالتالي يمكن أن ندرج أيضا هاتين السنتين ضمن السنوات الجافة التي تقل فيها التساقطات عن 200 ملم، وعليه فإن من نتائج ذلك تراجع صبيب الواد.

مجمل القول أن حوض سكساوة يعرف تغايرية مطرية سنوية حادة، نظرا لهذه الفوارق الشاسعة في كميات التساقطات بين السنوات، وهو ما يدل على عدم استقرار المناخ وتغيره، وبالتالي ففي إطار تدبير الموارد المائية بالحوض لابد الأخذ بعين الاعتبار هذه التغايرية المطرية التي يشهدها الحوض.

1-2- المتوسطات الفصلية للتساقطات:

يلاحظ اعتمادا على متوسطات التساقطات الفصلية الموضح في المبيان رقم 2، أن الحوض يشهد تساقطات طيلة السنة باستثناء الصيف حيث تكون ضعيفة ماعدا بعض العواصف الرعدية المحلية التي يتلقاها الحوض. وترتفع التساقطات من الخريف حيث متوسط التساقطات 81,7 حتى الشتاء حيث يسجل أعلى متوسط بحوالي 117,4 ملم، ثم تبدأ بالانخفاض من فصل الربيع ب 109 ملم الى فصل الصيف حيث يبلغ أدنى متوسط بحوالي 23 ملم.

مبيان رقم 2 : التوزيع الفصلي للتساقطات بحوض سكساوة ما بين 1989 و2023 .

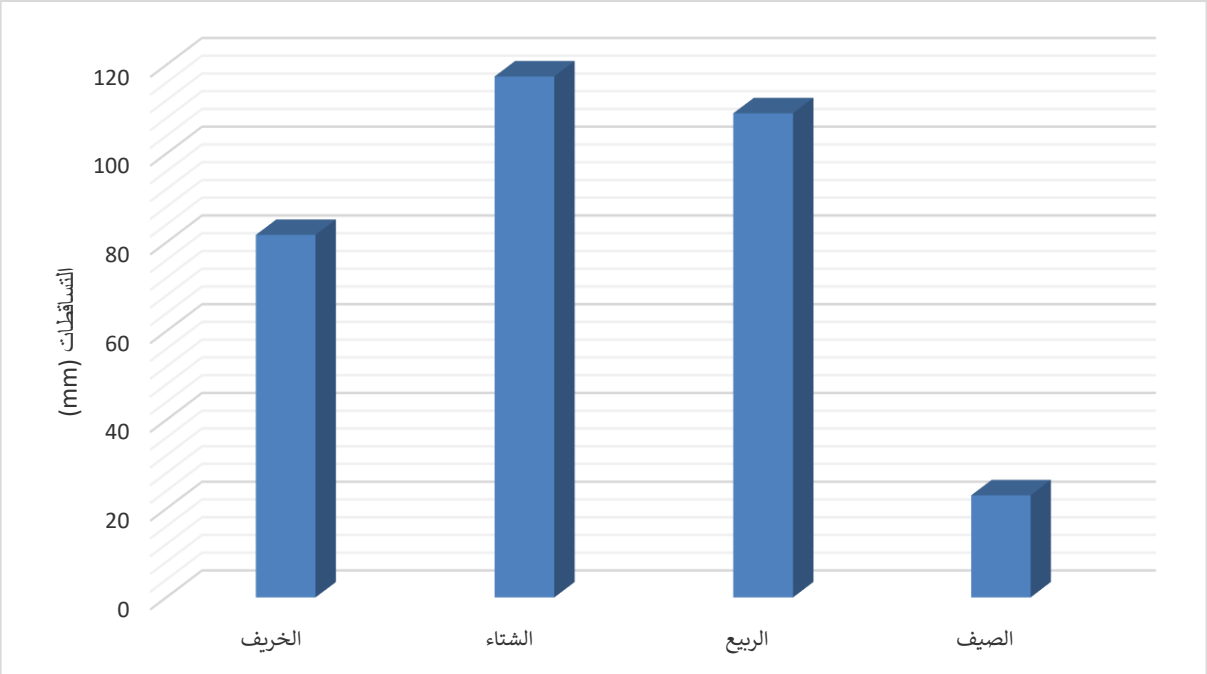

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

3-1- المتوسطات الشهرية للتساقطات:

نلاحظ انطلاقا من المبيان (رقم3) تباين في توزيع متوسطات التساقطات بين أشهر السنة، حيث تسجل المحطة الهيدرولوجية إلودجان أعلى متوسط للتساقطات خلال شهر مارس (43.3 ملم)، بينما يتلقى شهر يوليوز أدنى كمية من التساقطات (3.1 ملم). عموما فالفترة الممتدة من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل تعتبر أشهرا رطبة باعتبارها أكثر اشهر السنة الهيدرولوجية التي تشهد تساقطات مهمة، تتراوح ما بين 27.6ملم و40.9ملم، في حين تسجل الفترة من شهر ماي إلى شهر شتنبر أدنى المتوسطات المطرية والتي تتراوح ما بين 17.7 ملم و3.1 ملم، وبذلك تشكل أكثر الأشهر جفافا خلال السنة.

مبيان رقم 3: التوزيع الشهري للتساقطات بحوض سكساوة ما بين 1989 و2023.

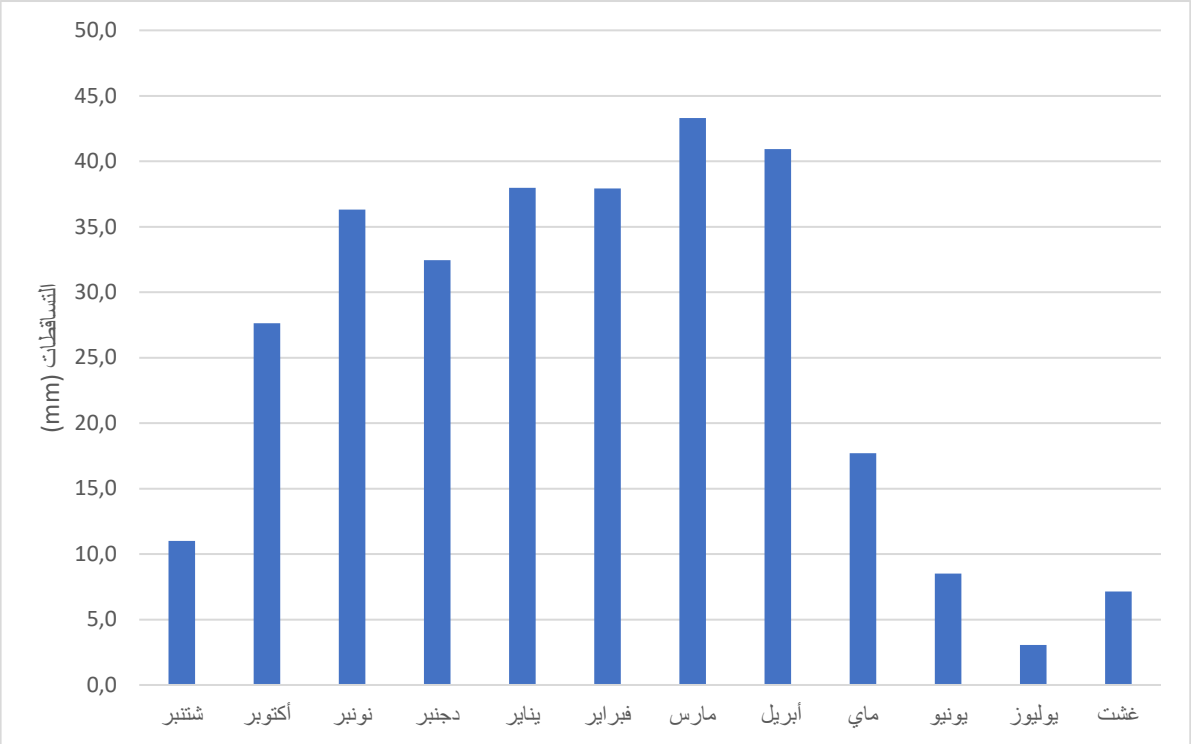

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

4-1- توقعات التساقطات المطرية بحوض سكساوة.

اعتمدنا في وضع توقعات التساقطات بحوض سكساوة على برنامج HYEFRANPLUS، حيث قمنا بإدخال بيانات التساقطات المطرية اليومية القصوى في كل سنة خلال الفترة المدروسة (ما بين 1989-1990 و 2022-2023)، وقد مكننا هذا البرنامج من الحصول على مجموعة من النتائج حسب كل نموذج إحصائي، وبعد المقارنة بين نتائج كل نموذج إحصائي إتضح أن أفضل نموذج قدم توقعات مناسبة هو نموذج GAMMA، وذلك لكون الفترة التي قدم توقعاتها طويلة مقارنة مع باقي النماذج، وكما تبدو منطقية في علاقتها مع البيانات المرجعية، وهو ما يوضحه الرسم البياني رقم 1 المستخلص من البرنامج نفسه حيث يظهر أن كل إحتمالات التساقطات المطرية موجودة بين المنحنيين باللون الأزرق وقريبة من المنحنى باللون الأحمر.

الرسم البياني رقم 1 : توقعات التساقطات المطرية بحوض سكساوة.

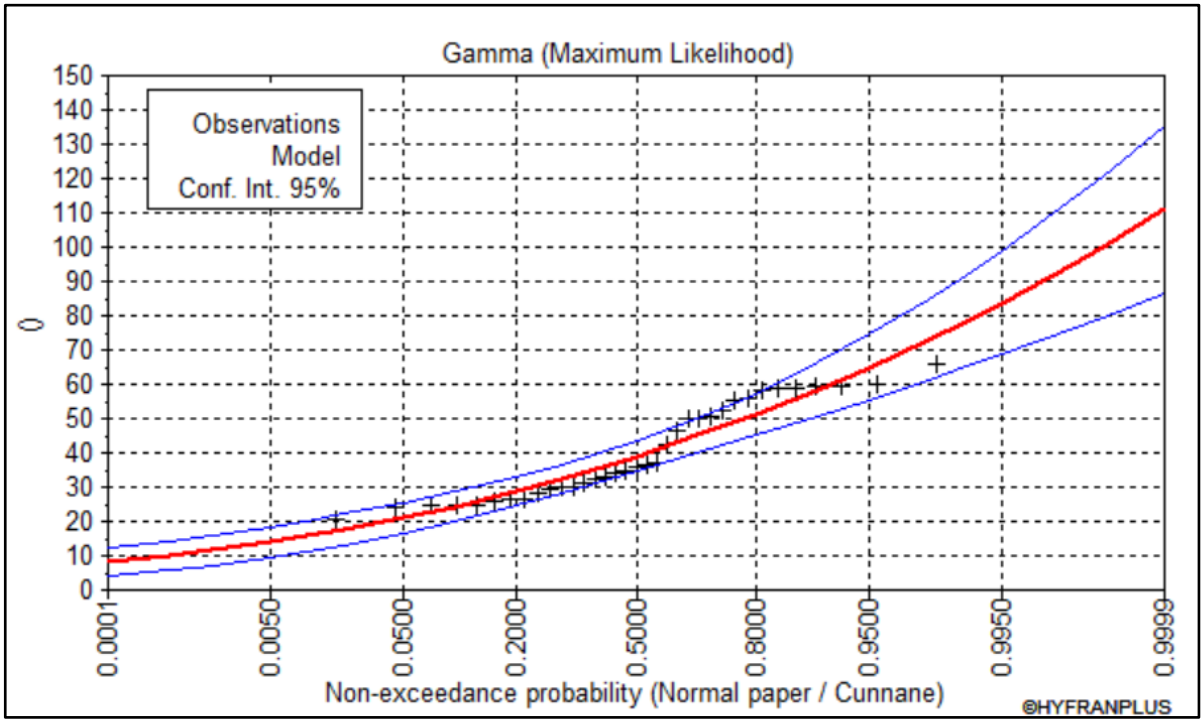

- نتائج النموذج الإحصائي "Gamma" .

الجدول رقم 2 : احتمالات التساقطات اليومية القصوى حسب نموذج "Gamma".

فترة العودة/التكرار (السنة)	التساقطات المتوقعة/المحتملة (ملم)
2	37.9
3	43.9
5	50.6
10	59.1
20	67.2
50	77.7
100	85.5
200	93.3

إنه من الملاحظ انطلاقا من الجدول كميات التساقطات اليومية القصوى التي يحتمل أن تحدث خلال كل فترة العودة بنفس الكمية، فخلال كل سنتين سيشهد الحوض تساقط يومي يبلغ 37.9 ملم. وعليه يمكن أن نتنبأ بحالات الفياضات التي يتوقع أن يشهدها الحوض. فإذا اعتبرنا أن تساقط ما بين 50 و100 ملم خلال اليوم بحوض سكساوة أخذا بعين الاعتبار الطبيعة الجيولوجية والطبوغرافية والغطاء النباتي ستسبب في الفيضانات، فإن كل الإحتمالات خلال فترات العودة من 10 سنوات إلى 200 سنة تدل على حدوث فيضانات، فعلى سبيل المثال أن هناك احتمال حدوث فيضان مرة كل 100 سنة، بكمية تساقطات تصل إلى حوالي 85.5 ملم خلال يوم واحد. وهنا يظهر العنف المطري بسبب التغيرات

المناخية والذي يمكن أن يزيد من صبيب الواد فيسبب في فيضانات، وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار في التدبير المندمج للحوض درءا للكوارث التي يمكن أن تسبب فيها.

2- دراسة النظام الهيدرولوجي لواد سكساوة :

إن الجريان المائي السطحي بحوض سكساوة موسمي سنوي يرتبط بفترة محددة ووجيزة في فصل الشتاء، ومن خصائصه أيضا عدم الانتظام، وتشكل التساقطات سواء المطرية أو الثلجية ومياه العيون أهم مصادر تغذية الحوض.

يبقى الطابع المناخي السائد في الحوض هو الجفاف وضعف التساقطات المطرية وذلك راجع الى اعتبار الحوض من ضمن المجالات المغربية شبه الجافة التي تتميز بضعف التساقطات المطرية(298ملم)، وعدم انتظام توزيعها (تركز التساقطات) وبارتفاع درجة الحرارة، وهو ما ينعكس على طبيعة الجريان إذ في الفترة الرطبة نجده أحيانا متواضعا يتميز بتوسط صبيبه، وأحيانا أخرى نجد جريانا قويا ومركزا على شكل امتطاحات تتجاوز المجرى العادي للواد لكن لا تدوم لفترة طويلة فسرعان ما تعود لحالتها العادية. وفي الفترة الجافة فيكون الجريان ضعيف جدا، باستثناء إن كانت هنالك عواصف رعدية تعطي تساقطات مركزة زمانيا ومجاليا تسبب في حدوث فيضانات.

وفي دراسة هذا الرافد من الناحية الهيدرولوجية فسنستند في ذلك الى المعطيات التي تم التوصل بها من وكالة الحوض المائي لتانسيفت والتي سجلت بالمحطة الهيدرولوجية "إلودجان" التي تقع بالحاشية الجلبية بجماعة سيدي غانم التابعة إداريا الى إقليم شيشاوة. وهذه المعطيات تهم صبيب الواد على مدة 34 سنة، والتي هي نفس الفترة التي اشتغلنا عليها بالنسبة للتساقطات، ابتداءا من الموسم الهيدرولوجي 1989-1990 إلى الموسم الهيدرولوجي 2022-2023، وسنقوم بتحليلها لاستخلاص الخصائص الهيدرولوجية المميزة لحوض سكساوة باعتباره المجرى الأهم بحوض شيشاوة.

2-1- الصبيب السنوي لمجرى واد سكساوة .

إن اختيارنا لدراسة حوض سكساوة من الناحية الهيدرولوجية لم يكن من محض الصدفة، لكن وراءه دافع علمي يتمثل في كون واد سكساوة من أهم المجاري المائية بالحوض الكبير لشيشاوة (أنظر الجدول رقم 1)، نظرا لارتفاع صبيبه مقارنة مع باقي المحاور الثانوية الأخرى بل أكبر من صبيب واد شيشاوة نفسه الذي يشكل مجال إلتقاء الأودية الثلاث. إلا أنه عموما وبالرغم من ذلك يظل واد سكساوة مجرى مائي متواضع من حيث الصبيب المائي نظرا لموقعه في المناطق شبه الجافة. ولكن إذا ما قمنا بسبر أغوار وتفاصيل الصبيب فإنه أحيانا وفي سنوات معينة يحقق ارتفاعات مهمة ستساهم بطبيعة الحال في تغذية جد مهمة لواد شيشاوة وللفرشات المائية الباطنية وستشكل مصدر سقي الفلاحين لأراضيهم بواسطة السواقي الترابية والاسمنتية. إلا أنه أحيانا أخرى يعرف انخفاضات مهولة أو حالة شبه إنعدام للصبيب. وبالتالي فإن هذا الاختلاف في مستويات الصبيب هو ما يؤثر على السلوك الهيدرولوجي لواد سكساوة وفي علاقته بالمحور الرئيسي.

الجدول رقم 3 : مميزات الأحواض المائية بشيشاوة[61].

الواد	مساحة الحوض المائي(كلم^2)	المحطة	الحجم السنوي (م^3/ث)
شيشاوة	2200	شيشاوة	0.75
سكساوة	566.6	إلودجان	1.57
إمنتانوت	145.5	إمنتانوت	0.4

[61] أحمد بوحامد، إشكالية تدبير المياه واستعمالها بالمناطق الجافة "إقليم شيشاوة أنموذجا"، أطروحة الدكتوراة 2018، ص126 .

أمزناس	573	-	-

وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2014 .

وفي دراستنا للصبيب السنوي ارتأينا أن نقوم بحساب متوسطات الصبيب لكل سنة (موسم هيدرولوجي) على حدى خلال الفترة الزمنية المحددة (مجموع متوسطات الشهور الإثنا عشر خلال كل سنة مقسوم على 12). وبعد القيام بالعمليات الحسابية اللازمة، قمنا بتحويل المتوسطات المحصل عليها على شكل مبيان بالأعمدة بواسطة برنامج إكسيل، ليسهل علينا قراءة وتحليل معطياته (المبيان رقم 6).

مبيان رقم 6 : التدفق السنوي لواد سكساوة بالمتر مكعب في الثانية خلال الفترة الزمنية مابين 1989 و2023.

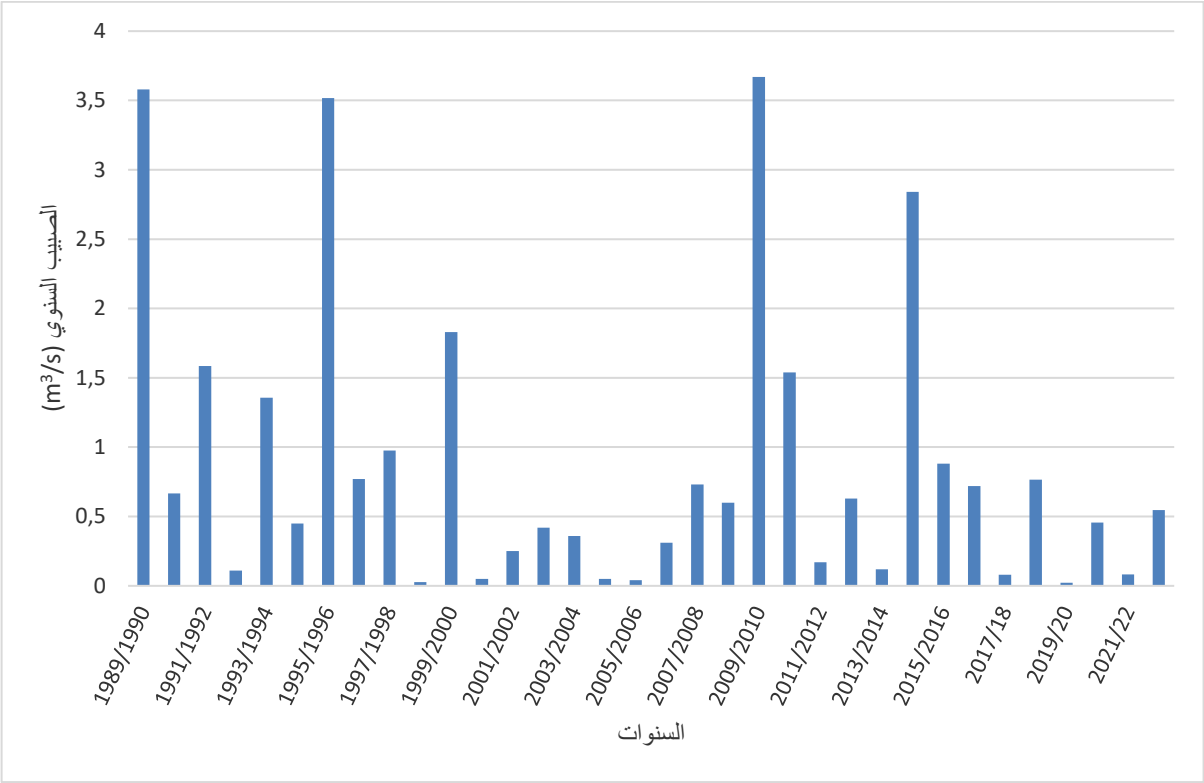

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

واعتمادا على المبيان أعلاه يمكن أن نقسم الفترة الزمنية المدروسة اعتمادا على المعطيات المتوفرة الى ثلاثة أقسام حسب مستوى الصبيب:

الفئة الأولى : فترات عرف فيها واد سكساوة انخفاظا مهولا على مستوى الصبيب، حيث لا يكاد يصل المتوسط السنوي للصبيب الى متر مكعب واحد في الثانية. وهي السنوات الهيدرولوجية : 1990-1991 و 1992-1993 و 1994- 1995 و1996-1997 و1998-1999 والفترة من سنة 2000 الى 2009، بالإضافة الى السنوات 2011-2012 و2012-2013 و 2013-2014 والفترة من 2015 إلى 2023، وإن أغلب هذه السنوات لا يكاد يسجل فيها الصبيب 1 متر مكعب/ث، وإن طول الفترة الزمنية لضعف صبيب الواد لا تعكس إلا ضعف الجريان وأن هنالك خصاصا مائيا بالحوض.

الفئة الثانية: فترات شهد فيها الواد توسطا لمستويات الصبيب، حيث تراوح فيها مابين 1 م^3/ث الى 2,5 م^3/ث، وهي الفترة الزمنية التي المواسم الهيدرولوجية التالية : 1991-1992 و 1993-1994 و 1997-1998 و 1999-2000 و 2010-2011 .

وخلال الفترات نلاحظ بأن صبيب الواد فيها عرف حالة استقرار، تميزت بكون الجريان متواضع قد يلبي إلى حد ما حاجيات الساكنة من المياه .

الفئة الثالثة: هي الفترة الوحيدة التي سجل فيها صبيب واد سكساوة أعلى معدل طيلة المدة قيد الدراسة، وهي التي سجلتها السنوات التالية 1989-1990 و 1995-1996 و 2009-2010 و 2014-2015، حيث بلغت على التوالي 3,58 م^3/ث و3,51م^3/ث 3,67م^3/ث و 2,84م^3/ث، وهي السنوات الرطبة التي عرف فيها الحوض تحسنا في موارده المائية السطحية، بل ومد فيها واد سكساوة المجرى الرئيسي لحوض شيشاوة بكميات مهمة من المواد السائلة والصلبة. إلا أن الأمر لا يقف عند الحد فلابد من دراسة الارتباط بين الصبيب والتساقطات، لأن الجريان المائي لا تتحكم فيه التساقطات فقط بل هناك عوامل اخرى.

عموما يمكن القول أن أدنى صبيب سنوي عرفه واد سكساوة خلال الفترة التي همتها الدراسة هو خلال السنة 2019-2020 ب 0.01 م^3/ث، وهنا يتبين مدى حدة ندرة المياه السطحية بالحوض، وأن أعلى صبيب هو الذي سجل خلال الموسم 2009-2010 ب 3,67م^3/ث، وأن 25 سنة من الفترة قيد الدراسة يقل فيها نصيب الواد عن 1 م^3/ث، بينما لا يتجاوز عدد السنوات التي يرتفع فيها الصبيب عن هذا المعدل سوى تسع سنوات.

2-2- الصبيب الفصلي لواد سكساوة:

وبعد دراستنا للصبيب السنوي حسب المواسم الهيدرولوجية، سننتقل من الخاص الى العام، وذلك بحساب المتوسطات الفصلية لكل المواسم التي شملتها الفترة المدروسة، لنقدم النتيجة على شكل المبيان رقم 7 أسفله:

فتبعا لمتوسطات الصبيب الفصلي المحصل عليها حسب كل سنة بالفترة المدروسة نجدها تتباين بين السنوات، إذ يرتفع الصبيب الفصلي في معظم السنوات خلال فصل الربيع وينخفض في الفصول الأخرى، وبالتالي استفادة النشاط الفلاحي من المياه اللازمة للسقي، بينما نجده في سنوات أخرى يرتفع بفصل الصيف وينخفض في الفصول الأخرى، حيث يكون الجريان قوي لا تستفيد منها لا الساكنة ولا الأراضي الفلاحية بل يسبب في فيضانات ، تهدد الساكنة القريبة من المجاري المائية وتسبب في ظاهرة النجوخ وتدهور التربة واقتلاع الأشجار المثمرة الموجودة على ضفاف المجرى.

مبيان رقم 7 : المتوسطات الفصلية لتدفق واد سكساوة بالمتر مكعب في الثانية خلال الفترة الزمنية مابين 1989 و2023.

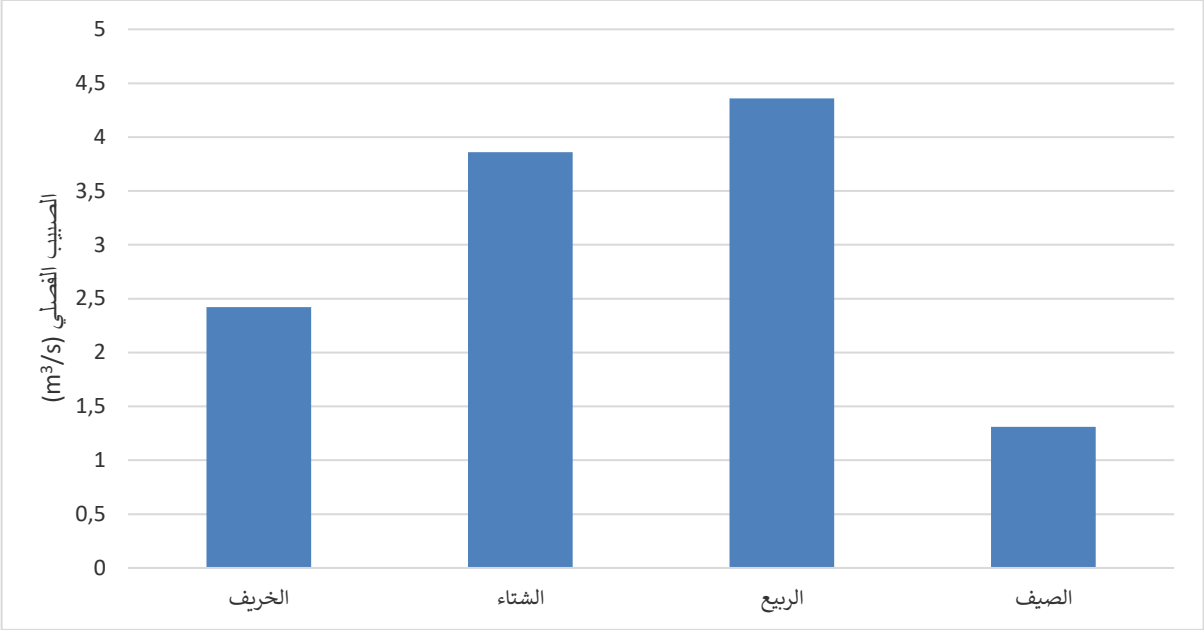

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

يتبين انطلاقا من المبيان رقم 7 بأنه يزداد الصبيب الفصلي لواد سكساوة خلال الفترة المدروسة من فصل الخريف (2,42 م^3/ث) الى فصل الربيع حيث يبلغ أعلى صبيب 4.36 م^3/ث، ثم يبدأ في الانخفاض الى أن يصل إلى أدنى مستوياته خلال فصل الصيف حيث يسجل 1.31 م^3/ث كأدنى صبيب.

وعليه وكما أشرنا سلفا فالحوض يشهد تساقطات جد مهمة في فصل الشتاء، لكن الصبيب الفصلي للواد يسجل أعلى معدلاته في فصل الربيع ثم يتبعه فصل الشتاء ففصل الخريف وأخيرا فصل الصيف.

وبالتالي ففي إطار تحليلنا للاختلاف بين فصل الشتاء حيث يشهد الحوض تساقطات مهمة وبين فصل الربيع حيث يشهد الواد أعلى صبيب، نقول أن هناك ترابط بين صبيب واد سكساوة والتساقطات التي يشهدها الحوض ولكن بتأخر زمني وذلك من خلال :

- أن الموقع الجغرافي للحوض ضمن المجالات شبه الجافة يجعل الأراضي خاصة في فصل الصيف تكون قاحلة نظرا لارتفاع معدلات التبخر.
- أما في فصلي الخريف وخاصة الشتاء فتشهد العالية الجبلية تساقطات ثلجية بينما تشهد السافلة تساقطات مطرية تساهمان في إشباع الأراضي بالماء وتهيء الوضع لحدوث الجريان، وفي فصل الربيع يشهد شهر مارس تساقطات مهمة تنضاف الى مياه العيون والمياه الناتجة عن ذوبان الثلوج لتشكل جريانا مهما لواد سكساوة.

يمكن أن نستنتج أن النظام المطري بحوض سكساوة يعتمد على التساقطات المطرية والثلجية ومياه العيون، ويتلقى أكبر كمية منها خلال فصل الشتاء، أما بالنسبة للنظام الهيدرولوجي فيشهد الحوض أعلى تدفقات الصبيب خلال فصل الربيع.

3-2- الصبيب الشهري لواد سكساوة:

يلعب الصبيب الشهري للأودية بالمناطق الجافة وشبة الجافة دورا مهما في توفير المياه اللازمة في مختلف الاستعمالات البشرية وخاصة في توفير مياه الشرب والسقي بالدرجة الأولى، إلا أن ضعف الصبيب يزيد من حدة مشكل توفير المياه لهذا الغرض.

يتبين بالملموس اعتمادا على المبيانين رقم 8 أن الموسم 1990-1991 تميز بارتفاع الصبيب خلال أشهر الصيف، بينما خلال الموسم 1991-1992 شهر ارتفاع الصبيب في أشهر فصل الربيع.

مبيانان رقم 8 : المتوسطات الشهرية لتدفق واد سكساوة خلال السنتين 1990-1991 و 1991-1992

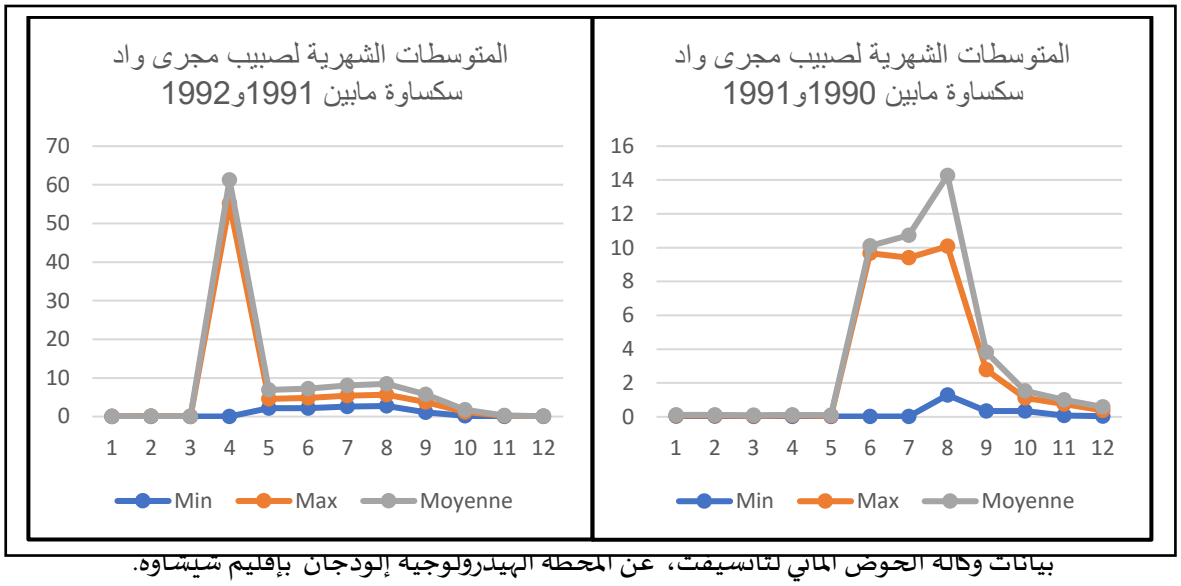

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوه.

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

يتضح انطلاقا من المعطيات المعالجة للمتوسطات الشهرية للصبيب بواد سكساوة خلال 34 سنة، أنه يتميز بشكل عام بالانخفاض، وأنه يختلف بين أشهر السنة الواحدة، إذ نجده يرتفع أحيانا في أشهر فصل الشتاء وينخفض في أشهر الفصول الأخرى أو يرتفع في أشهر فصلي الصيف والخريف وينخفض في أشهر فصل الشتاء والمبيانين رقم 8 نموذج من هذه الوضعية.

وللتوضيح أكثر ارتأينا الى حساب معدل كل المتوسطات الشهرية خلال الفترة المدروسة من أجل الحصول على متوسط صبيب كل شهر خلال هذه المدة، وهو ما يوضحه المبيان رقم 9، حيث سنتمكن خلال هذا التحليل بشكل عملي وعلمي تبيان حدة مشكل ضعف وعدم انتظام الصبيب الشهري بشكل أوضح.

مبيان رقم 9 : الصبيب الشهري لواد سكساوة بالمتر مكعب في الثانية خلال الفترة الزمنية مابين 1989 و2023

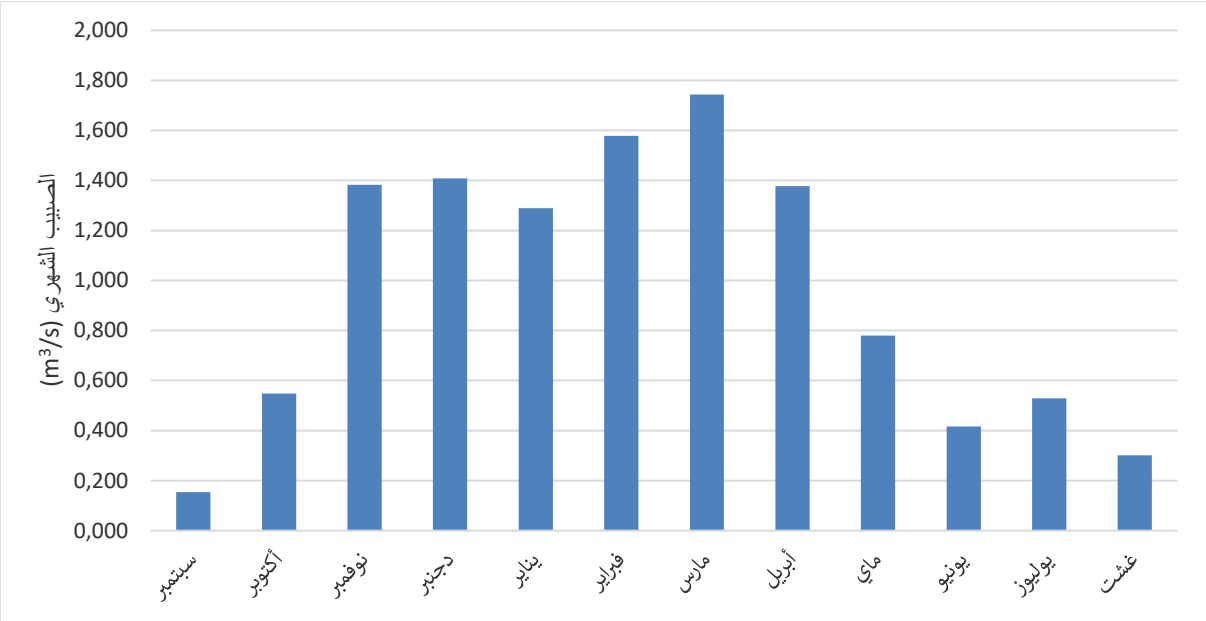

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

انطلاقا من المبيان أعلاه يتضح أن المتوسط الشهري لصبيب واد سكساوة ما بين 1989 و2023 يعرف تذبذبا وتبيانا بين أشهر السنة حيث يبدأ في الارتفاع من أشهر فصل الخريف خاصة من شتنبر ليصل الى أعلى صبيب خلال أشهر فصل الربيع وخاصة في شهر مارس حوالي1,74م^3/ث، وذلك لكون تغذية الواد متنوعة (تساقطات، ذوبان الثلوج، مياه العيون)، ليبدأ بعدها الصبيب في الانخفاض الى أن يصل الى أدنى مستوياته خلال أشهر فصل الصيف حيث سجل في شهر غشت 0.3 م^3/ث .

نستنتج اذا من خلال هذا التحليل لمعطيات المبيان بناءا على المتوسط الشهري للصبيب أن أشهر فصل الربيع هي التي يرتفع فيه الصبيب مقارنة مع باقي أشهر السنة، لكن على العموم فالمتوسط الشهري لصبيب واد سكساوة يظل ضعيف لا يتجاوز 1,74م^3/ث .

وبالتالي فمن الانعكاسات السلبية لضعف الصبيب الشهري وعدم انتظامه أنه سيؤثر لا محالة على الاستغلال الفلاحي خاصة بسافلة الحوض بحيث لاتستفيد الاستغلاليات الفلاحية المعيشية المسقية من الكميات اللازمة للسقي لكون الصبيب ضعيف خلال الفترة الرطبة، وهذا ما يجعل الإنتاج الفلاحي بالحوض لا يرتقي الى مستوى تحقيق الإكتفاء الذاتي. كما أن الأشهر التي تعرف ارتفاعا في الصبيب حسب المحطة المذكورة لا يتوزع فيها الصبيب اليومي طيلة الشهر بوتيرة منتظمة بل أن معظم أيام تلك الشهور يقل أو يكاد ينعدم فيها الصبيب عن المتوسط ليبقى على الأكثر ثلاثة أيام يرتفع فيها الصبيب، يعرف فيها الواد حالة امتطاحات لا تستفيد منه لا الضيعات الفلاحية من السقي ولا تتغذى منها الفرشات المائية

ويظل منسوب الآبار وصبيب العيون في حالة التناقص لكونه هو السبيل الوحيد لتوفير الحاجيات المائية، ليستفحل بذلك حتى مشكل توفير مياه الشرب للساكنة في الدواوير التي لا تتوفر على شبكة الربط بالماء .

3- توقعات الصبيب الأقصى:

اعتمدنا في وضع توقعات الصبيب الأقصى بحوض سكساوة على برنامج HYEFRANPLUS، حيث قمنا بإدخال بيانات الصبيب الأقصى في كل سنة خلال الفترة المدروسة (ما بين 1989-1990 و 2022-2023)، وقد مكننا هذا البرنامج من الحصول على مجموعة من النتائج حسب كل نموذج إحصائي، وبعد تعديل التوزيع الإحصائي والمقارنة بين نتائج كل نموذج إحصائي إتضح نفس الشيء بالنسبة لتحليل احتمالات توقعات التساقطات المطرية اليومية القصوى، بأن نموذج GAMMA، هو الذي يجب اعتماده. وهو ما يوضحه الرسم البياني رقم 1 المستخلص من البرنامج نفسه.

الرسم البياني رقم 2 : توقعات الصبيب الأقصى بواد سكساوة.

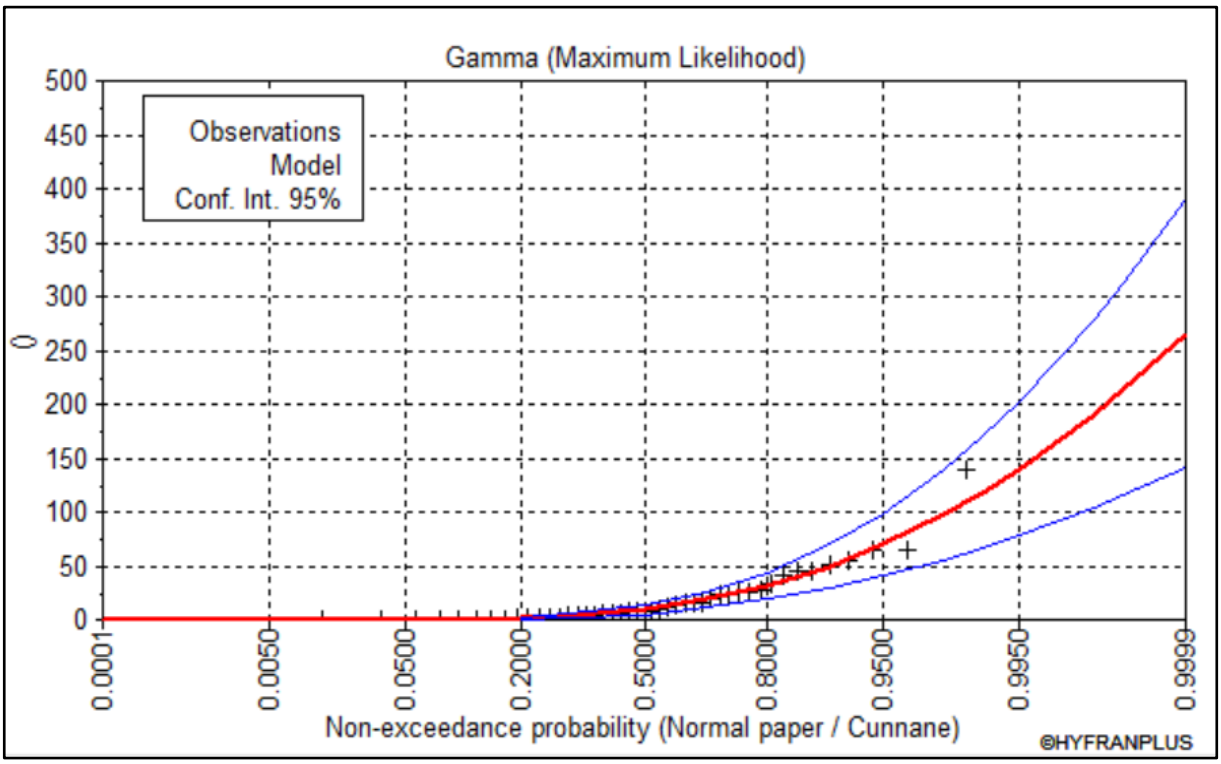

- نتائج النموذج الإحصائي "GAMMA".

الجدول رقم 4 : احتمالات الصبيب الأقصى حسب نموذج "Gamma".

فترة العودة/ التكرار (السنة)	الصبيب المحتمل (متر^3/ث)
2	9,19
3	18,7
5	30,8
10	49,7
20	69,7
50	97,1
100	118

200	140

توقعات الصبيب حسب برنامج HYFRANPLUS بناءا على بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت.

يوضح الجدول أعلاه الصبيب الأقصى الذي يحتمل أن يحدث خلال كل فترة العودة بنفس الكمية، فخلال كل سنتين سيشهد الحوض صبيب أقصى خلال يوم يبلغ 9.19 م^3/ث. وكلما تمددت فترة العودة إلا و احتمل زيادة الصبيب اليومي الأقصى، حيث بلغ خلال فترة العودة (200 سنة) 140 م^3/ث. وعليه يمكن أن نتنبأ بحالات الفياضات التي يتوقع أن يشهدها الحوض، فإذا اعتبرنا أن مستوى الفيضان بواد سكساوة هو 50 م^3/ث نظرا لاعتباره من الأودية الصغيرة، فكل فترات العودة التي بلغ فيها الصبيب اليومي الأقصى لواد سكساوة أكثر من هذا المستوى فهي قد تسجل حالات الفيضانات وهي الفترات التالية : فيضان كل 10 سنوات و50 سنة و100 سنة و200 سنة، يختلف فيما بينها الصبيب بين 67 م^3/ث و 140 م^3/ث. ويمكن أن نربط حالات الامتطاحات التي يحتمل أن يشهدها الحوض بعدم انتظام التساقطات المطرية وتركزا زمانيا ومجاليا، والتي قد تزيد التدخلات اللاعقلانية للإنسان بالحوض من عنفوانيتها من خلال الاجتثاث الغابوي والتغيرات الذي يحدثها بالمجرى من خلال استغلال الرواسب وممارسة النشاط الزراعي فيه .

III. تأثير التغايرية المطرية على الصبيب المائي لواد سكساوة.

1- العلاقة بين صبيب الواد والتساقطات المطرية بحوض سكساوة.

إن الغرض من دراستنا للعلاقة بين صبيب واد سكساوة والتساقطات التي يتلقاها الحوض هو تبيان درجة تأثير التساقطات على دينامية الصبيب، أي سيمكننا من الإجابة على سؤال هل التساقطات المطرية هي العامل الوحيد المتحكم في تغير صبيب الواد أم أن هناك عوامل أخرى؟

1-1- علاقة الصبيب بالتساقطات السنوية .

يبين المبيان رقم 10 طبيعة العلاقة التي تربط بين الصبيب السنوي والتساقطات المطرية السنوية، حيث يتضح للناظر أن قيمة معامل الإرتباط ضعيف بين المتغيرين حيث تبلغ R^2=0,03، وهذا ما يدل على ضعف الارتباط بين الصبيب والتساقطات السنوية، ويمكن أن نفسر ذلك بالعوامل الطبيعية مثل طبيعة البنية الجيولوجية للحوض والتي تسمح بتغذية الفرشات المائية الباطنية، و بعملية التبخر بما أننا في مجالات شبه جافة، وكذا بعامل أكثر أهمية وهو الاستخدامات البشرية كسحب المياه من الوادي واحتجاز ها بالمنبع من أجل توفير مياه الشرب وخاصة السقي، ولو كانت التساقطات السنوية مهمة كما هو الحال في سنتي 2000 و2007، فما يصل إلى المحطة الهيدرولوجية يظل ضعيف، وبالتالي هذا ما يجعل علاقة الارتباط بين الصبيب السنوي والتساقطات السنوية ضعيفة .

مبيان رقم 10 : ارتباط التدفق السنوي بمتوسط التساقطات السنوية بحوض سكساوة.

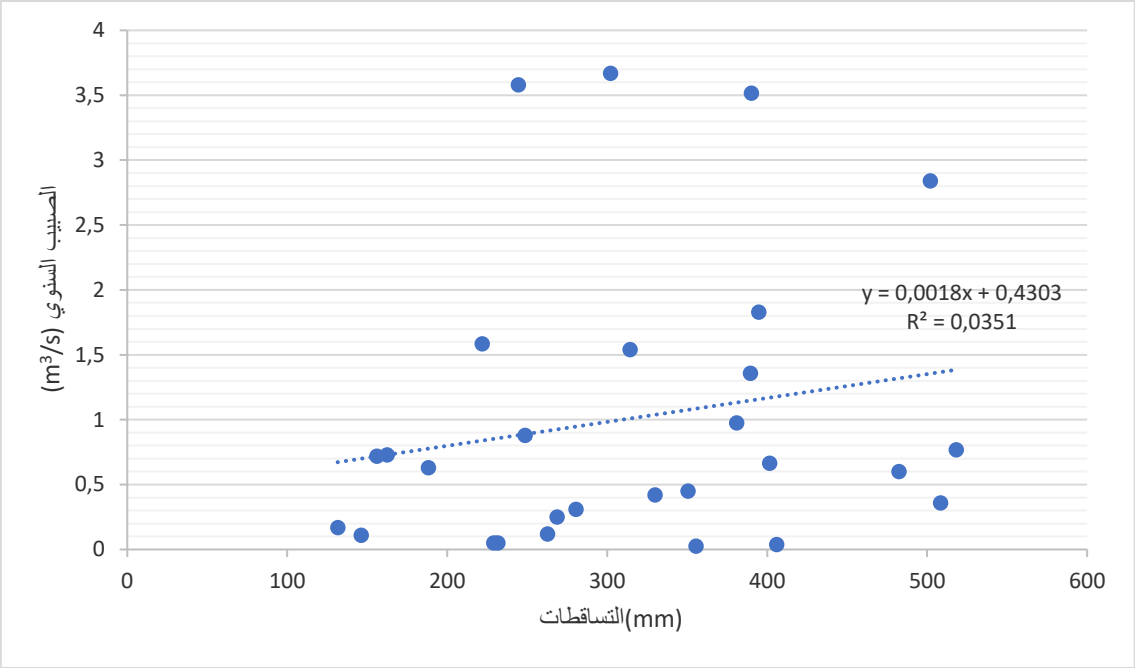

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

2-1- علاقة الصبيب بالتساقطات الفصلية:

من خلال قراءتنا للمبيان رقم 11 يظهر أن معامل الارتباط قريب من واحد (0,88)، وهذا يدل على أن هناك ارتباط جيد بين الصبيب الفصلي والتساقطات الفصلية، فكلما كان الفصل جافا إلا وقلت التساقطات فتراجع الصبيب، وكلما كان الفصل رطبا إلا وتزايدت التساقطات فارتفع معها الصبيب. وبالتالي يمكن القول حسب التوزيع الفصلي للتساقطات أنه في فصلي الشتاء والربيع تكون التساقطات مهمة تساهم في وفرة مائية مهمة تلبي حاجيات الساكنة من هذه المادة الحيوية، لكن في فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة وتقل التساقطات فتزداد الحاجة للمياه من طرف الساكنة لتوفير مياه الشرب والسقي، وبالتالي الضغط على المجرى الرئيسي والمجاري الثانوية بحوض سكساوة الأمر يسبب في انخفاض الصبيب.

مبيان رقم 11: ارتباط الصبيب بمعدل التساقطات الفصلية بحوض سكساوة.

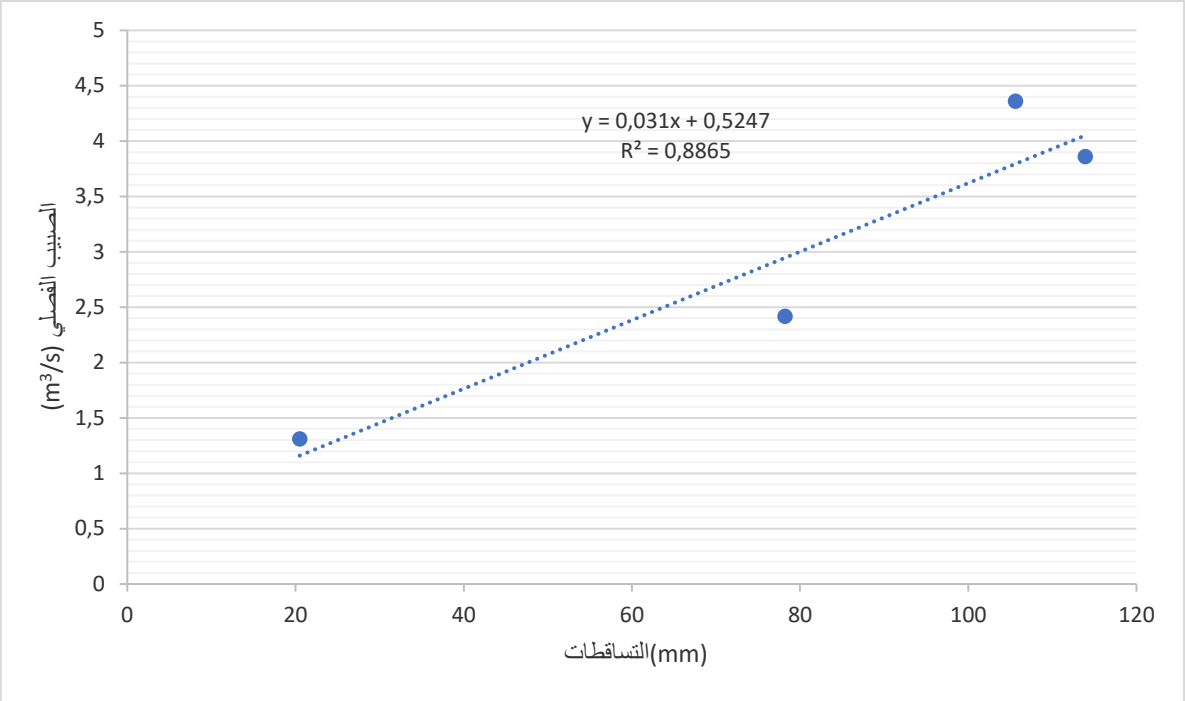

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

3-1- علاقة الصبيب بالتساقطات الشهرية :

انطلاقا من المبيان رقم 12 نستنتج وجود علاقة ارتباط وثيق إلى حد ما بين الصبيب الشهري والتساقطات الشهرية، حيث نجد أن معامل الارتباط بينهما قريب من واحد (R=0,82)، أي ان كل الأشهر الرطبة يعرف فيها الواد حالة ارتفاع للصبيب والعكس بالنسبة للأشهر الجافة، مع اختلاف كما أشرنا سالفا تأخر ارتفاع الصبيب حتى شهري فبراير ومارس وذلك لتهيئ الأراضي للجريان خلال فصل الشتاء.

مبيان رقم 12 : ارتباط الصبيب بمعدل التساقطات الشهرية بحوض سكساوة.

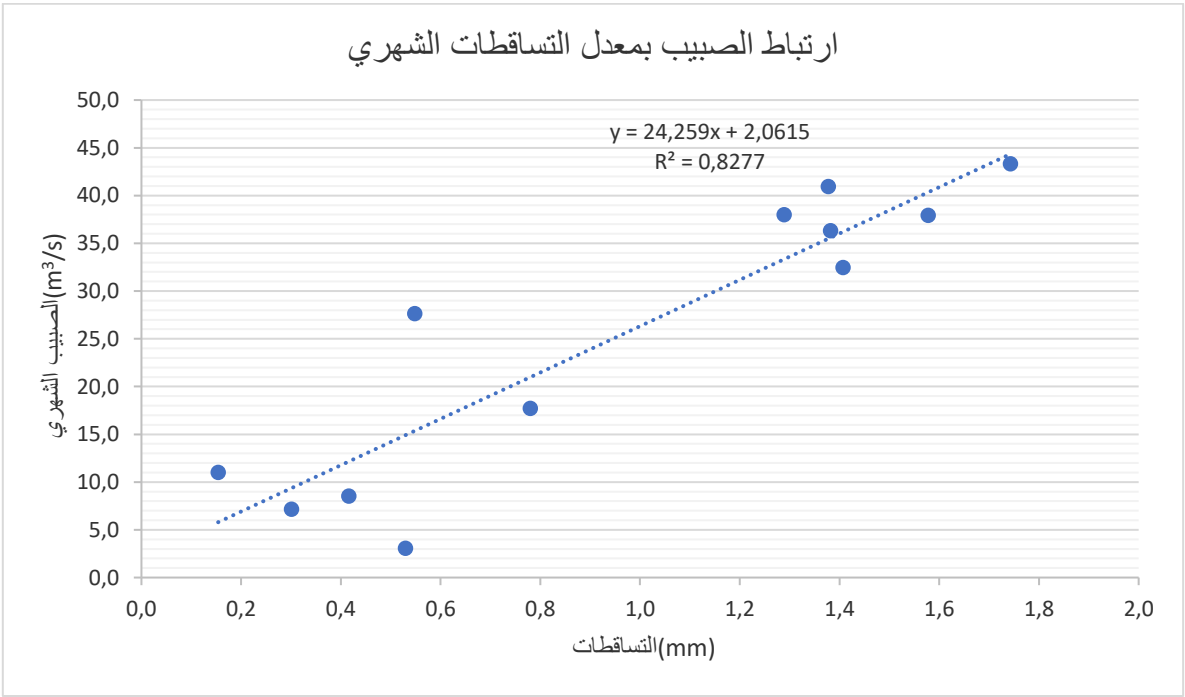

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

2- المقارنة بين التغايرية المطرية وتغيرات الصبيب:

2-1- المقارنة بين التغايرية المطرية السنوية والصبيب السنوي.

القيام بدراسة مقارنة بين التغايرية المطرية وتغيرات الصبيب خلال المدة قيد الدراسة، كان من أجل فهم الفروقات والتشابهات بين هذين المتغيرين.

المبيان رقم 13: المقارنة بين كل من تغيرات التساقطات السنوية والصبيب السنوي بحوض سكساوة ما بين 1989 و2023.

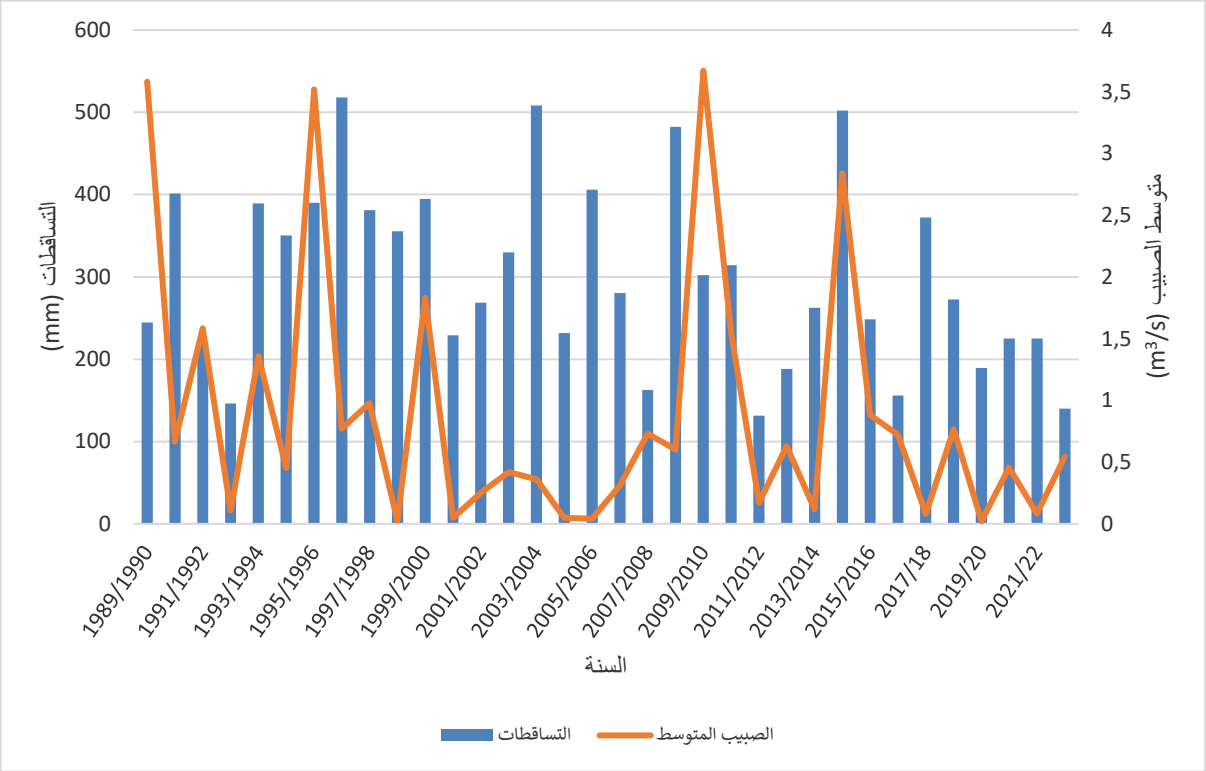

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

نلاحظ من خلال المبيان رقم 13 أن هناك تباينا بين التساقطات المطرية السنوية والصبيب السنوي خلال الفترة الممتدة من 1989 إلى غاية 2023، إذ يمكن ان نميز بين حالتين:

الحالة الأولى : خلال عقد التسعينات من القرن الماضي (من 1989-1990 الى 1999-2000)، تميزت باعتدال كل من المتوسط السنوي للصبيب (مابين 1 و 2م^3/ث) باستثناء موسمين، ومتوسط التساقطات السنوية (مابين 146 ملم و518 ملم)، وهي الحالة الطبيعية التي يتم بها التوازن الهيدرولوجي، أي أنه كلما ارتفعت التساقطات إلا وزاد معها الصبيب .

الحالة الثانية : خلال العقدين الأولين من القرن 21م (من 2000-2001 إلى 2022-2023)، عرفت تغيرا كبير وفرقا شاسعا بين الصبيب والتساقطات المطرية، حيث لم يكد يصل متوسط الصبيب السنوي حتى إلى 0.5 م^3/ث باستثناء الموسمين 2009-2010 و2014-2015، بينما التساقطات حافظت على استقرارها مع تراجع طفيف في السنوات الأخيرة، وهذا

اللاتوازن الهيدرولوجي بواد سكساوة يرجع الى عوامل أخرى غير التساقطات المطرية كالزيادة في درجة الحرارة وارتفاع نسبة التبخر وكذا ارتفاع النمو الديمغرافي وكثرة الاستعمالات البشرية لمياه الواد بالعالية - خاصة بعد جفاف وتراجع منسوب بعض العيون - في توفير مياه الشرب عبر إنشاء صهاريج يتم ملؤها من مياه الواد وسقي الأراضي بواسطة السواقي .

2-2- المقارنة بين التغايرية المطرية الفصلية والصبيب الفصلي.

يتضح من خلال المبيان رقم 14 أن هناك تباين فصلي بين التغيرات التي يحدثها الصبيب الفصلي والتساقطات الفصلية خلال الفترة قيد الدراسة،حيث نجد أن التساقطات ترتفع بفصل الشتاء لكن الصبيب يعرف ارتفاعا بفصل الربيع، وهو ما أشرنا إليه سلفا أن التأخر الزمني لارتفاع الصبيب حتى فصل الربيع ناتج عن أن تهيئ الأراضي الجافة للجريان يتم بفصلي الخريف والشتاء، بالإضافة إلى أن الواد يتزود خلال فصل الربيع بمصادر مائية أخرى ناتجة عن ذوبان الثلوج و مياه العيون .

المبيان رقم 14: المقارنة بين كل من تغيرات التساقطات الفصلية والصبيب الفصلي بحوض سكساوة ما بين 1989و2023.

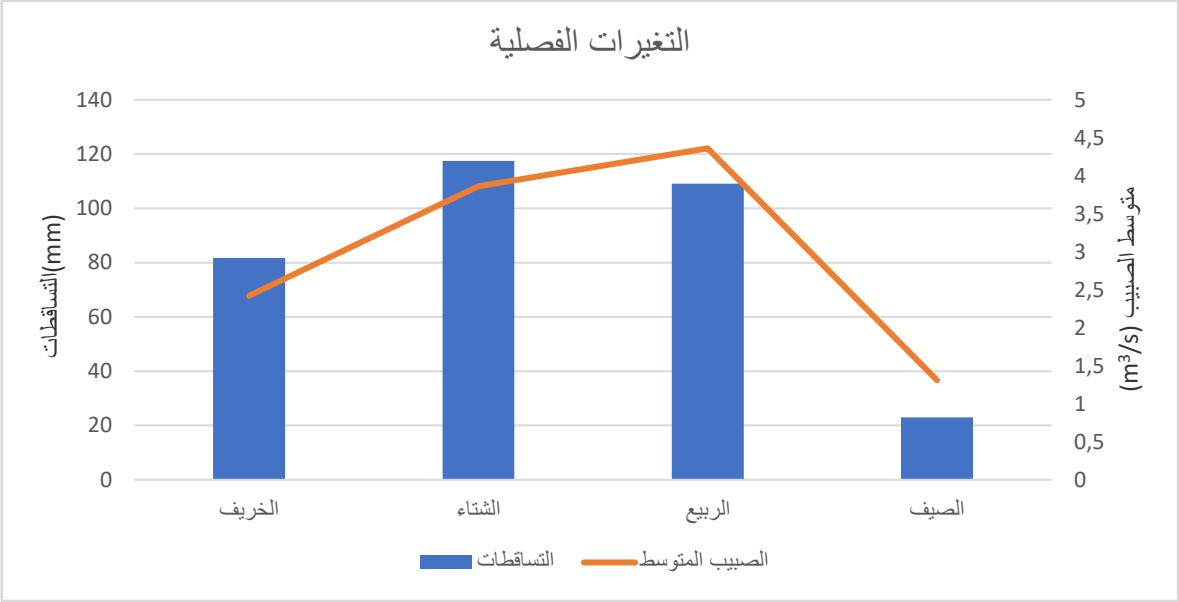

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

2-3- المقارنة بين التغايرية المطرية الشهرية والصبيب الشهري.

نستخلص وفقا للمبيان رقم 14 أن متوسط الصبيب الشهري يتوافق - مع وجود فارق طفيف - مع المتوسطات الشهرية للتساقطات، حيث يحدث الصبيب الشهري الأقصى والتساقطات الشهرية القصوى خلال شهر مارس، بينما يبلغ الصبيب الشهري الأدنى والتساقطات الشهري الدنيا خلال شهر يوليوز.

المبيان رقم 15 : المقارنة بين كل من تغيرات التساقطات الشهرية والصبيب الشهري بحوض سكساوة ما بين 1989و2023.

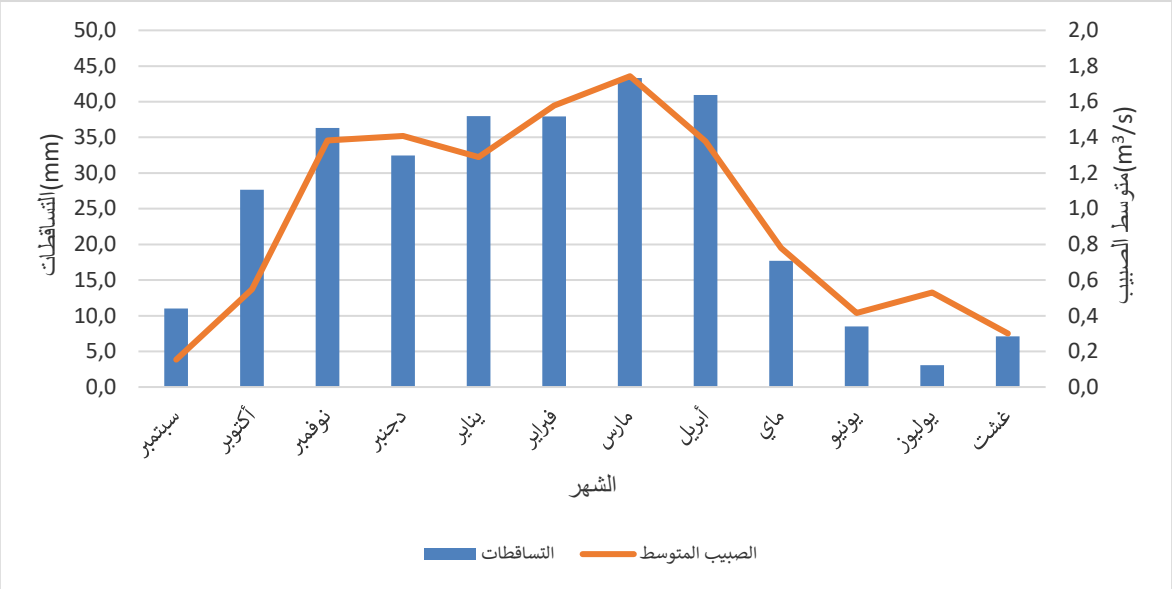

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

3- المقارنة بين توقعات التساقطات والصبيب :

من خلال قراءة المبيان نستنتج ان كلما كانت هناك احتمالات لزيادة التساقطات اليومية القصوى خلال فترات العودة ما بين فترتي العودة (سنتان) و (200سنة)، إلا وزاد معها احتمال ارتفاع الصبيب بشكل كبير، ففي فترة العودة لسنتين من المحتمل أن يحدث تساقط يومي قصوي بمقدار 37.9ملم وبصبيب 9.19 م3/ث كأعلى صبيب، لكن في أفق فترة العودة (200سنة) فيحتمل حدوث تساقط يومي قصوي يبلغ 140 ملم مصحوب بصبيب يصل إلى 140 م3/ث، وهذا الأمر بطبيعة الحال يؤول إلى حدوث تطرفات مناخية شديدة وإلا فلا يمكن تسجيل هذه القياسات.

ويمكن أن نستنتج أن عدم انتظام التساقطات المطرية وتركزها بفعل التغيرات المناخية خلال مدد زمنية قصيرة (يوم أوعدة أيام) يمكن أن يسبب في فيضانات.

المبيان رقم 16 : توقعات التساقطات اليومية القصوى و الصبيب الأقصى حسب نموذج "GAMMA".

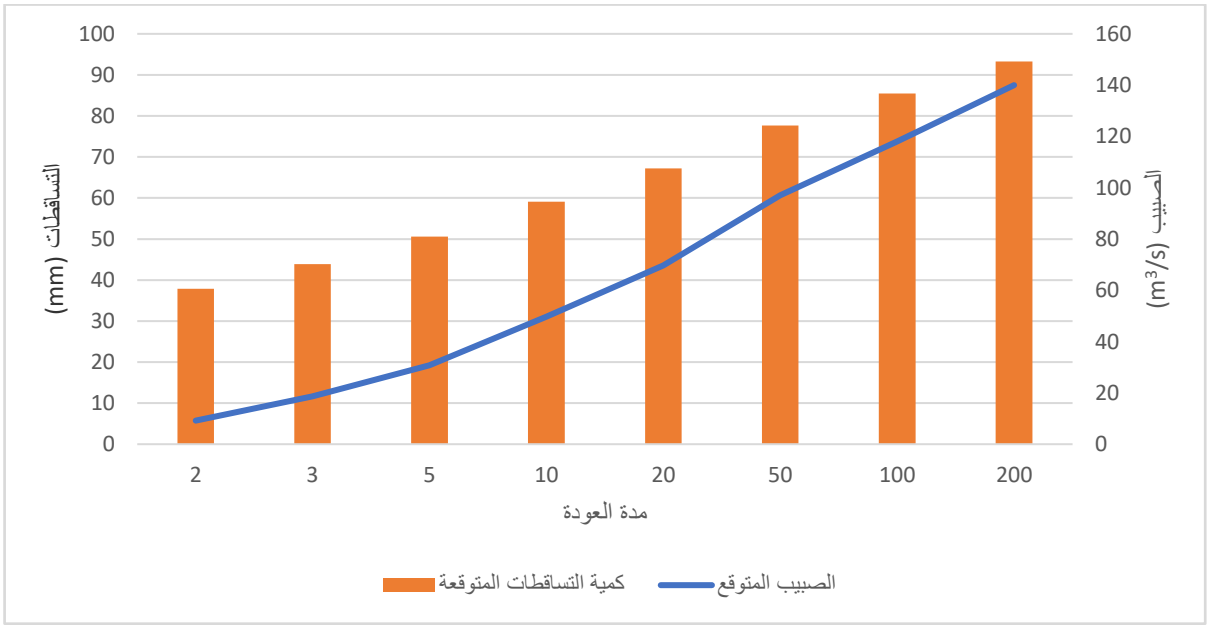

بيانات وكالة الحوض المائي لتانسيفت، عن المحطة الهيدرولوجية إلودجان بإقليم شيشاوة 2023، بتصرف.

- **خاتمة:**

يتضح من خلال تحليل معطيات التساقطات أن حوض سكساوة تأثر بالتغيرات المناخية الراهنة، من خلال حدوث تغايرية مطرية تميزت بتناوب فترات رطبة وفترات جافة كان لها إلى جانب عوامل أخرى وقع على تغير صبيب الواد، إذ خلال العقدين الأولين من القرن 21م عرف تراجعا كبيرا لم يكد يصل فيها المتوسط السنوي للصبيب 0.5 م^3/ث ، بالرغم من التساقطات لم تتراجع بالوتيرة التي تراجع بها الصبيب ، وبالتالي وجدنا على أن ضعف الإمكانيات المائية مع حدة الجفاف وتزايد النمو الديمغرافي أدت بساكنة العالية الى استعمال وسحب مياه الواد، وهذا كان وراءه تراجع الصبيب، وهو ما أدى بساكنة الدير و السهل إلى استغلال المياه الجوفية عن طريق الآبار لسد الخصاص الحاصل على مستوى المياه السطحية . كما أنه من المتوقع أن يشهد الحوض فترات جفاف وفيضانات يجب العمل على وضع استراتيجيات وتدابير لتفادي مشكل الخصاص المائي والكوارث التي يمكن ان تسبب فيها الفيضانات.

- **المراجع بالعربية :**

- أحمد بوحامد، إشكالية تدبير المياه واستعمالها بالمناطق الجافة "إقليم شيشاوة أنموذجا"، أطروحة لنيل الدكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانسة، جامعة الحسن الثاني، 2018 .
- إدريس الحافظ، الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات المائية والتدبير والتحديات، ط 2 ، المغرب، 2021 .
- عبدالإله عبدلاوي، إشكالية تدبير الموارد المائية في ظل التغيرات المناخية والضغط البشري بحوض زيز-غريس، حالة واحات سهل تافيلالت، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة، جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس، 2022 .
- عبدالعزيز باحو، الجفاف المناخي بالمغرب : خصائصه وعلاقاته بآليات الدورة الهوائية وأثرة على زراعة الحبوب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة، كلية الآداب العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، 2002 .
- محمد شاكر، دراسة إحصائية للشح والنضوب المائي بحوض واد تساوت (عالية سد مولاي يوسف:) التحديد والاستخلاص والنمذجة وإشكالية التدبير مابين 1978 و2020، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة، كلية الآداب العلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، 2022.
- مصطفى بن عسكر، عبدالخالق غازي، عبدالواحد أحرود، نوالدين بوعبيد، آثار التغيرات المناخية على الموارد المائية بالشمال الشرقي للمغرب حالة مدينة بركان، مجلة العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية، المجلد 7، العدد 3، 2023 .
- نادية الحلو، محمد الغاشي، يحي الخالقي، تأثير التغيرات المناخية على النظام الهيدرولوجي بحوض اسيف غزاف بالأطلس الكبير الاوسط (جهة بني ملال خنيفرة)، ندوة بعنوان المناخ والماء والمجتمع من تدبير الموارد الى تدبير الأنساق المائية، سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، مختبر دينامية المشاهد والمخاطر والتراث ص11-21، 2018 .
- وزارة التجهيز والماء، تقرير وضعية الموارد المائية ببلادنا الإجراءات المتخذة والبرنامج الاستعجالي لضمان الماء، ص 5 2024.

- **المراجع بالفرنسية :**

- Dresch .J (1984), L'evolution du relief dans le massif central du grand Atlas le Haouz et le Sous, Maroc, Thèse de Doctorat, Université de paris .

- Karim .M (2015), Etude hydrologique du bassin versant de l'Oued Ouergha, Nord du Maroc, Diplôme de Master, Université Sidi Mohammed Ben Abdellah .
- Sirtou .M (1995), Etude hydro-climatologique des bassins du N'Fis, du Rheraya, de l'Ourika et du Zat Maroc, Thèse de Doctorat, Université de Mtez .
- Weisrock .A (1980), Geomorphologie et paleoenvironments de l'Atlas Atlantique Maroc, , Thèse de Doctorat, Université de Paris .
- Hrour.Y (2023), Évaluation de l'impact du changement climatique sur la disponibilité des ressources en eau dans un bassin méditerranéen agricole : cas du bassin du Bas-Loukkos, Maroc, Thèse de Doctorat, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat .

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

أنثروبولوجيا الموسم: الطقوس وتجليات المقدس في موسم قبيلة كندر أنموذجا

Anthropology of the season: rituals and manifestations of the sacred in the season of the Kandar tribe as an example

**محمد كندري الروضي، **محمد وحدو
*طالب دكتوراه، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر مهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس. أستاذ التعليم الابتدائي.
**دكتوراه علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ابن طفيل القنيطرة، وله عدة مقالات منشورة في مجالات وطنية ودولية وشارك في عدة ندوات وطنية ودولية.

الملخص:

يروم هذا المقال البحث في تمظهرات وتجليات المقدس الأوليائي والضرائحي وعلاقته بالمواسم باعتبارها متنا مهما من متون الثقافة الشعبية والأنثروبولوجيا، إذ تمّكن المواسم من فهم دينامية الحقل الديني وتفاعلاته مع الحقول الأخرى، لذلك سنحاول ربط المقدس كمفهوم زئبقي مع المجال والمجتمع، ومع التاريخ أيضا، لنفهم- ولو قليلا-، العلاقات التي أنتجها سجل المقدس في قبيلة كندر. واعتمدنا في ذلك على المعطيات الميدانية التي تؤكد اندماج المقدس بالمجال، وإعادة انتاجه بصفة دورية. وقد تناولنا المقدس في علاقته بالموسم باعتبار هذا الأخير فضاء غنيا بالرموز التي تؤشر على وقائع ثقافية مهمة، وتجدد أواصر القرابة بين الناس، فالمواسم لا تمكننا من معرفة علاقات القوة والمعنى فقط، وإنما تأخذنا إلى أبعد من ذلك، إنها تؤسس لتفاعل الجماعات البشرية ولعلاقات البركة، ناهيك عن اندماجها بمواسم الحصاد والحرث، هذا ولا يمكن أن نعزل بصيغة من الصيغ الطبيعة عن الثقافة، والمقدس عن المجال.

يقتضي الانشغال بالموسم التفكير في التفكير، بمعنى أنه لا يجب الاقتصار على قراءة ما وراء المحطات والظاهر، فالموسم غمرة يعبر عن نهاية الموسم الفلاحي، حيث أنه زمان تنظيمه يأتي في فترة البين والبين، بين الحصاد والحرث، ومن هنا فتقديم القرابين هو ظاهرة بشرية غارقة في القدم، وبما أنها كذلك، فهي تحتوي وتحمل رموزا ثقافية كثيرة، ويتم تفسير غالب هذه الرموز على أنها حنين للتاريخ البشري الأول، فأنماط تبديد العنف عبر اتخذت كثيرا من الأشكال من بينها تقديم القرابين.

إن الخوف من الطبيعة أرسى نظام المقدس، لهذا نجد حضور تجليات متعددة للمقدس في موسم غمرة، فالجلد والدم، ووضع الحزام على قرون العجل، واستعمال الألوان، واعتبار العجل عروسا، ونهل الخصوبة، والزيارة وإشعال الشموع، كلها رموز تؤسس لتجليات البركة ولمحاولة نهلها من المجال المقدس، وتحاول التماهي مع المقدس المتعالي.

Abstract

This article aims to investigate the manifestations and manifestations of the primal and shrine sacred and its relationship to the seasons as an important body of popular culture and anthropology, as the seasons enable us to understand the dynamism of the religious field and its interactions with other fields. Therefore, we will try to link the sacred as a mercurial concept with the field and society, and with history as well, to understand - Even if only a little -, the relationships produced by the sacred record in the Kandar tribe. In doing so, we relied on field data that confirm the integration of the sacred into the field, and its reproduction on a periodic basis. We have discussed the sacred in its relationship to the season, considering that the latter is a space rich in symbols that indicate important cultural events and renew the bonds of kinship between people.

The seasons not only enable us to know the relationships of power and meaning, but they take us even further. They establish the interaction of human groups and the relationships of

blessing, not to mention their integration with the seasons of harvest and plowing. We cannot, in any way, isolate nature from culture, and the sacred from the field.

Preoccupation with the season requires thinking about thinking, meaning that one should not limit oneself to reading what is behind the stations and the apparent, as the season is an immersion that expresses the end of the agricultural season, as the time of its organization comes in the period between the harvest and the plowing, and from here offering sacrifices is a human phenomenon immersed in Antiquity, as it is, contains and carries many cultural symbols, and most of these symbols are interpreted as nostalgia for early human history. The patterns of dissipating violence through it took many forms, including offering sacrifices.

The fear of nature established the system of the sacred, and for this reason we find the presence of multiple manifestations of the sacred in an overwhelming season. The skin and blood, placing the belt on the calf's horns, the use of colors, considering the calf as a bride, bringing about fertility, visiting, and lighting candles, are all symbols that establish the manifestations of blessing and the attempt to obtain it from the field. The sacred, and tries to identify with the sacred and transcendent.

مقدمة

إن المقدس يتوقف دائما على العطاء الرمزي للإنسان، وعلى الكيفية التي يهب بها المعاني للأشياء التي تحوم في مجاله. ويلعب المقدس دورا مهما في حياة البشر، فلا يمكن أن نجد مجتمعا خاليا من علاقات المقدس، ولابد من هذه العلاقات ليستمر المجتمع وينمو ويتطور، وفي كثير من الأحيان يكون المقدس بؤرة صراع كبيرة تتناحر فيها الجماعات البشرية وتفنى، محاربة من أجل الإمساك بتجليات المقدس، وهذا الصراع لا يعدو أن يكون صراع للحديث باسم المقدس والسيطرة على أنماطه، فبقدر ما يظهر لنا كقوة يمكن امتلاكها والتحكم فيها، بقدر ما نخاف منها ونتوجس من الخوض فيها.

ينتمي المقدس كتجل في الزمان والمكان إلى البنيات الرمزية، التي تعتبر لغته المفضلة، وبفضل هذا الانتماء يظهر المقدس في عدة أشكال تعبيرية تتجسد في الصور والرموز والمعتقدات والطقوس المتجذرة في عمق المتخيل الجمعي للإنسان، والتي غالبا ما تنهل من صلب تاريخه الثقافي، وغني عن البيان أنه كلما كان المخزون الثقافي عريقا، كلما تعددت أنماط وأشكال المقدسات، فبطبيعة الحال فالمغرب لا يخرج من خانة هذا الغنى الثقافي، ويعد المقدس الضرائحي فيه ناتئ في المجال ومترسخا بقوة في المخيال.

تصير كل الممارسات المنبثقة في المجال المقدس، ممارسات مقدسة لا يمكن المس بها، فالموسم مثلا هو بمثابة إعادة إحياء لذكرى موت ولي صالح، وتحيين لطقوس البدء الأولي، كطقوس مؤسسة لهوية الجماعة ووجودها في المجال، وغالبا ما تندمج رموز المعتقدات مع الجغرافية وتضاريسها التي تكونت فيها، لتصبح في الأخير مكونا مهما من مكونات الموروث الثقافي للمنطقة.

ودائما ما يقترن الحديث عن المواسم، بمعتقدات وطقوس أسست لبدايتها، وبفضلها تضمن استمراريتها، كما تضمن استمرار آليات إعادة إنتاجها بشكل دوري، فالموسم هو زيارة كبرى يتمفصل فيها الاقتصادي مع الاجتماعي، والديني مع الثقافي، فإذا كان الزواج حدثا عظيما بتعبير "ديل إيكلمان" فإن الموسم هو الآخر حدث عظيم أيضا، وفضاء رمزي، وزمن مفضل لنهل بركة الولي التي تتضاعف أضعافا مضاعفة خلال أيام الموسم.

. أهداف البحث.

1 . يروم هذا المقال دراسة وتحليل رموز وثقافة موسم غمرة في قبيلة كندر باعتباره ظاهرة أنثروبولوجية وسوسيولوجية وفرجوية، ففي جل المواسم تحضر الطقوس الدينية والفرجوية، كشكل تعبيري رمزي يستحق الدراسة.

2. دراسة الموسم كمجال يحفل بالممارسات والطقوس الدينية والاجتماعية، وتفسير علاقته بظاهرة الأولياء بالمغرب.

. مشكلة البحث.

انطلاقا مما ذكرناه سالفا يمكننا صياغة الإشكالية العامة لهذا البحث والتي يمكن التعبيرعنها بواسطة التساؤلات التالية: ما هي أهم محطات موسم غمرة بقبيلة كندر؟ وكيف يمكننا فهم وتحليل رموز ووظائف هذا الموسم؟

المحور الأول: تحديدات مفاهيمية

أ- المقدس

من الصعب بما كان تقديم تعريف دقيق لمفهوم المقدس، ولكن حسبي أن الشروحات التي قدمها الباحثون في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية كفيلة لفهم المقدس وطبيعة اشتغاله؛ إذ يحيل المقدس على الصفة التي " يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام، فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات والقوى فوق الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع، لهذا فهي مصونة من العبث أو التخريب. والمصطلح نقيض مصطلح (غير المقدس) ويختلف تصنيف الأشياء والأماكن، والأعمال، إلى مقدس، وغير مقدس، باختلاف الجماعات ووفقا لما تواضعت عليه".[62]

وفي هذا السياق نجد "إميل دور كايم" العالم الاجتماعي يقر بأن المقدس هو الخاصية الأساسية لتعريف الظاهرة الدينية، حيث أنه متماثل مع الإلاهي (le Divine) وابتكار جمعي، لذا فإنه مميز بالتعالي عن حياة الأفراد. إنه الوجه المفارق والمتعالي للحياة الجماعية الدنيوية، ولأنه كذلك لا يستطيع التعايش مع ما يعارضه وينفيه،[63] إلا عن طريق حضوره كمحايد ومفارق وموازي.

ويعتبر "روجي كايوا" المقدس بوصفه مقولة من مقولات الحساسية تلك المقولة التي تعتبر ركيزة وأس الإحساس بالاحترام الذي يغمر المؤمن، إنها الفكرة الأم لكل ديانة كما يقول هوبرت، فالأساطير والمعتقدات تحلل مضامينها بطريقتها الخاصة والطقوس تستعمل خاصيتها، أما الأخلاق فإنها مشتقة منها بينما الكهنوتية فتمنحها لحمتها، ولاقبور والأمكنة المقدسة وكذا الآثار الدينية فترسخها وتجدرها في المكان ، إن الديانة هي إدارة المقدس[64].

ب- الطقس

من الأهمية بما كان الإشارة إلى عدم تناول المعاجم العربية هذا المفهوم "فلم يتعرض له ابن منظور في لسان العرب ولم يعرفها ابن فارس في مقاييس اللغة"[65]،ويمكن اعتباره وليدا للغة اللاتينية أساسا، لينتقل بعد حركة الترجمة إلى اللغة العربية ويصبح دالا على جل الممارسات الثقافية والاجتماعية...إن كلمة طقس تقابل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية عبارة "Rite" وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus" وتعني عادات مجتمع معين وتقاليده"[66].

وفي القاموس الأنثروبولوجي فإن الطقوس تحيل إلى الفعاليات، والأعمال التقليدية التي لها في الأغلب، علاقة بالدين والسحر، يحدد العرف أسبابها، وأغراضها، والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها، ويعتقد البدائيون أن أداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية، والمعبودات، وعمله يسبب غضبهم، ويجلب نقمتهم، وتجري في الطقوس

---

[62]_ مصطفى سليم، (شاكر)، قاموس الأنثروبولوجيا، إنكليزي عربي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، سنة 1981، ص، 824.

[63]_ الزاهي (نوردين)، المقدس الإسلامي، دار توبقال، الدار بيضاء، الطبعة الأولى، 2005.ص، 17.

[64]_الزاهي(نوردين)، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، عدم وجود رقم الطبعة، 2011، ص43.

[65]_ لحما (الحسن)، طقس القربان في الأديان الوضعية والسماوية، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، المركز الثقافي العربي، الدار بيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014ص، 36.

[66]_نفسه، ص،36.

فعاليات مختلفة، كالرقص، وتقريب القرابين ونحر الأضاحي وأداء الصلوات وترديد التراتيل. وتتعلق الطقوس بكثير من فعاليات الإنسان الاقتصادية، ترتبط بالبناء الاجتماعي لمجتمعه أو بيئته، وبما يشعر به من أحاسيس، وما يرنو إليه من آمال"[67].

وفي هذا السياق تعد الطقوس من هذا المنظور ذات علاقة بالدين والسحر والآلهة، ويتضح من هاته التداخلات، أن مفهوم الطقس الذي تعج به كل الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية القديمة والمحدثة، مفهوم سجالي يستعصي على التحديد النهائي إذ شكل هذا المفهوم موضوعا لنقاش تنظيري علت جلبته"[68].

وفي موسوعة الميثولوجيا والأديان، تحيل الطقوس إلى " إجراءات وحركات تعبر عن التجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد الصلة مع العوامل القدسية، ولعل الموسيقى الإيقاعية والرقص كانا أول أشكال هذا الشكل الطقوسي التلقائي، ثم تحول تدريجيا إلى طقس مقنن، يؤدي وفق قواعد مرسومة لا يرى الدنيا إلا عندما يرى طقوس تتوسل إلى الكائنات الروحانية الفوق الطبيعة تتحكم في مظاهر الطبيعة، وتختلف الطقوس من عبادة إله إلى آخر، ومن معبود إلى آخر[69].

ج- الموسم

مع كايوا يمكن أن نجعل الموسم مقابلا للعيد، فهو لا يختلف في الوصف كثيرا عن الموسم. بحيث تميد الكتلة البشرية الجبارة وتشرع في دكّ الأرض بأقدامها وتتموج وتدور مترجرجة حول سارية منصوبة في الوسط[70]، هذا بعدما كان فعل تقديم القربان منجوزا وقد تم بنجاح، فالعيد يتحدد في صيغته المكتملة بكونه ذروة المجتمع الذي يتولى تطهيره وتجديده[71]. وهو أيضا إعادة إصلاح للعالم بعدما ساد فيه الفساد والظلم، إنه التماس للغفران، ولقد كان العيد وما يزال أمس كما اليوم، يتمثل في الرقص والغناء والتهافت على المأكول والمشروب، وأيضا يتطلب مشاركة شعبية ضخمة مليئة بالإثارة، وهذه التجمعات الكثيفة تساعد إلى حد بعيد على نشوء حالة من الحماسة تسري عدواها وسط صراخ شديد وتصرفات تحث على الانسياق إلى أكثر النزوات نزقا[72]. وإلى جانب كل هذا، يعد العيد فاصلا دوريا يقطع سير الحياة الدنيوية ليعيد لها الحياة من جديد. علاوة على محاكاته لخراب العالم لكي يضمن انبعاثه من جديد.

ويقول "نوردين الزاهي" يحمل الموسم في ذاته كلفظة مدلول الموسم أو الفصل وهو ما يبعدنا عن الفضاء الديني ليحيلنا على الدورة الطبيعية والإنتاجية رعوية كانت أم زراعية[73]. فالموسم ينهل دوراته غالبا من الطبيعة لأنه لحظة تجديدية لعلاقة الإنسان بحقل القداسة ورسم المعالم والحدود وكذا تداخل الجماعات والفئات الاجتماعية، وهو ما يجعله ليس فقط تجميعا للناس، ولكن أيضا لأشكال المتخيل وأنماط المعتقدات الكونية والمحلية[74].

المحور الثاني: موسم غمرة: وصف لأهم المحطات

---

[67]_مصطفى سليم (شاكر) قاموس الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص، 824.

[68]_منديب (عبد الغني)، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى ص، 121.

[69]_خليل (أحمد محمد)، موسوعة الميثولوجيا والأديان، العربية قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، سنة 2006، ص، 222.

[70]_كايوا (روجيه)، الإنسان والمقدس، ترجمة ريشا سميرة، مراجعة سليمان جورج، المنظمة العربية لترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص، 143.

[71]_نفسه، ص، 179.

[72]_نفسه، ص، 141.

[73]_الزاهي(نوردين) المقدس الإسلامي، ص، 51.

[74]_نفسه، ص، 52.

يقام هذا الموسم المسمى على القائمين به، في الحادي عشر من شهر غشت كل سنة، ولقد ذكرنا سابقا أن العلاقة التي تربط الولي سيدي عبد المالك بالغمرين هي أن أباه "عبد المالك" المدفون "بتادراكلوت" بنواحي الريش تزوج من هذه القبيلة قديما، ومن ثمة أصبحت رابطة عائلية تربطهم بالولي، ويبدو أنه لما توفي حزن عليه ذوه فأقاموا هذا الموسم كإعادة إحياء لذكراه، وقد أشرنا أن مراسيم الموسم ترجع إلى عمليات تحيين ذكرى موت ولي صالح[75]. ويمكننا أن نوزع هذا الموسم إلى خمسة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الاستعداد والانطلاق

بعد انتهاء عملية الحصاد بجميع محطاتها، ينطلق أتباع وخدام الولي سيدي عبد المالك من قبيلة بنواحي مولاي يعقوب، ومعهم الهدايا والقرابين التي سيتم ذبحها أثناء الموسم، وأثناء المشي في الطريق تردد النساء عبارات أشبه بالنواح أو المناجاة[76]، للتغلب على صعوبة التضاريس الجبلية القاسية. كما يحضرون معهم فرقة موسيقية شعبية " الغياطة" يرقصون على أنغامها حتى الوصول إلى المجال المقدس.

المرحلة الثانية : الوصول إلى "الدوار" الأول "الكرمات".

بمجرد اقترابهم من أول تجمع سكني "الكرمات" يستقبلهم الناس بالصلاة على النبي والزغاريد وبعد تأدية طقوس الزيارة يذبحون العجل الأول على قبة مقدسة يقال إنها لسيدي عبد العالي، إلا أن البعض يقول إنها فارغة ولا دفين بها، وعموما يذبحون العجل ويرقصون على أنغام الغيطة، وفي الصباح ينطلقون إلى أهم تجمع سكاني بالنسبة لهم وهو ضريح سيدي عبد المالك.

المرحلة الثالثة: الوصول إلى "الدوار" الثالث.

[75]_نفسه، ص، 84.

[76]_يسمى "بالزواك" في المعجم المنطقة. حيث تطلق هذه التسمية على خوار البقر، وفي ذلك حسب تحليلنا الخاص تحدث باسم القرابين.

ينطلقون بالعجلين المتبقيين ويصعدون الجبل نحو " الروضة " وينقلون "الحمالة[77] "والسبنية[78]"إلى العجل الذي سيقدم قربانا للولي سيدي عبد المالك. بتعليق، وتوضع على قرونه "الأحزمة [79]" وقطع الثوب وغيرها من الأشياء التي تبتغي النساء نهل البركة بها.

عند الوصول إلى الضريح تتم طقوس الزيارة عبر إشعال الشموع في الضريح، ثم يطفون بالعجل بعد الرقص حوله، سبع دورات حول الولي، ويتعرض العجل لضرب وتنكيل بالعصي، بعد الانتهاء تنتدب 'اجماعة' شخصا معروفا بمهاراته في الذبح، لينحر العجل. تجر الذبيحة ذهابا وإيابا، بين الضريح وزاوية عساوة وتقدر هذه المسافة ب 30 مترا، حتى تسقط ميتة، ليتم سلخها وتوزيع الجلد قطعا صغيرة على الزوار. ويؤخذ الدم المتناثر على الممر لدواع علاجية أو سحرية فالدم هو تلك المادة الي تلوث وتنظف، تدنس وتطهر[80] في الآن نفسه، كما يتم تغيير غطاء "الدربوز" الأخضر وتوزيعه على الحاضرين. وبما أن لون الغطاء يكون غالبا أخضر اللون، فحضور هذا اللون كأغطية للجسد الطقوسي لا يمكن فصله عن الحناء كلون طقسي[81].

بعد تقديم وجبة الغذاء وصلاة العصر، تنطلق الحلقة الفرجوية التي يرقص على أنغامها الغمريون والزوار، والذكور من قبيلة كندر، بينما تنزوي النساء فوق السطوح للفرجة مرتديات الحايك. وتحضر آلة الغيطة كأداة تدفع النساء الراقصات على أنغامها إلى الجذبة " التحيار"، التي بفضلها ينخرط الزوار في فضاء البركة الفائضة في الموسم.

بعد صلاة العشاء يتم طقس الحضرة، باعتباره تجليا للمقدس، حيث يكون عبارة عن حلقة واحدة تترابط فيها الأجساد لتصبح جسدا واحدا، وبعد الانتهاء من هذا الطقس تقدم وجبة العشاء. بعد صلاة الفجر ترقص فرقة الغياطة مجددا معلنة نهاية الموسم بضريح سيدي عبد المالك.

المرحلة الرابعة: الانطلاق إلى الدوار الثالث: "الدوار" ونهاية الموسم.

في الصباح وبعد تقديم وجبة الإفطار، يتم إخراج العجل المتبقي وتوضع "الحمالة" و"السبنية" على جسد العجل ويبدأ العزف، لينطلق الحشد كله إلى ضريح سيدي أحمد ويضم سكان القبيلة والغمرين والزوار القادمين من نواحي شتى ليشهدوا طقس الذبح في التلة المتواجد بها ضريح. ويبعد ضريح سيدي أحمد عن ضريح سيدي عبد المالك بحوالي كلومتر ونصف.

يشرب الزوار الماء المقدس من عين الشفاء، فيطاف بالعجل حول الضريح الذي لا 'دربوز' ولا قبة له، ثم يوجه نحو الأسفل وينحر ويجر قرابة 250 مترا في ممر شديد الانحدار بحيث إن سقط من يجر العجل سيموت رفسا تحت أقدام الجماهير التي تهرول للوقوف على مشهد سقوطه أمام ضريح سيدي محمد بن ملوك. إن عدد الزوار يرتفع في هذا اليوم مقارنة مع

---

[77]_هي قطعة منسوجة من الحرير تتخللها طيات مليئة بالزينة، ويلبسها العريس أثناء حفل زفافه، وينضاف إليها خنجر. وفي ذلك لالة على السلطان والقوة والشجاعة، وغالبا ما تربط هذه الرموز بالجنس والمكانة الاجتماعية.

[78]_ هي قطعة ثوب منسوجة من الحرير ومزركشة بألوان باهية، وهي تأتي في شكلين واحدة يسيطر اللون الأصفر على بقية الألوان وأخرى يسيطر فيها اللون الأحمر، وتحضر في طقس الحناء وفي اللحظة التي يركب فيها العريس على الخيل والتجوال به في القبيلة كلها مع إدخاله إلى قلب كل منزل يقبل أحد أفراده على الزواج، وللإشارة فقط فطقوس الزواج تشبه طقوس المرتبطة بهذا الموسم، وإن كان العجل يذبح ويسيل دمه فكذلك يفعل العريس مع زوجته في الليلة الدخلة.

[79]_قطعة التوب تربطها المرأة على خصرها. ويقول فيها بيير بورديو " الحزام هو واحد من علامات إغلاق الجسد الأنثوي، كذلك هما الذراعان متشابكلن على الصدر والساقان المزمومتان والثوب المعقود،" الهيمنة الذكورية،ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريميش مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،2009 ص، 35.

[80] _جيرار(رونيه)، العنف والمقدس، ترجمة سميرة ريشا، مراجعة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص، 738.

[81]_الزاهي (نوردين)، المرجع السابق ص، 58.

باقي أيام الموسم، وذلك لعدة اعتبارات من بينها قوة المشهد وجمالية الفرجة التي يمنحها، فبالإضافة إلى اللعب الطقوسي المتجلي في الرقص والجذبة.

ليس هناك فرق بين الطقوس الفرجوية بين ما يتم في ضريح سيدي عبد المالك، وضريح سيدي عبد المالك بن ملوك، حيث تخصص خلال اليوم فترات للرقص، وثانية للذكر، وثالثة للإطعام، وينتهي الموسم بقيام حضرة كبيرة ورهيبة، تستمر لساعات، وفي اليوم الموالي يتم إفطار الزوار المتبقين ويسدل الستار عن فعليات الموسم.

المحور الثالث: أنثروبولوجيا الرموز في موسم قبيلة كندر

- رمزية السبنية

السبنية تعتبر رمزا من الرموز الثقافية لدى المجتمع المغربي وتسمى بالأمازيغية "تاسبنيت"، وهي عبارة عن رداء مطروز، تتزين بها الفتاة المتزوجة أثناء احتفالات الزواج، مما تضفي للعروس أناقة وجمال، والحال أن حضور هذا الرداء في هذا الموسم له دلالة ورمزية أنثربولوجية، حيث أن وضعها على العجل، يجعل منه عروسا، وبالتالي فهو الضحية التي تعتبر الإمبراطورة المقدسة للمشهد الطقوسي، لكنها إمبراطورة محكوم عليها بالإعدام[82]. علاوة على ذلك أن المتأمل في الهندسة المعمارية للسبنية، سيجد أنها مطروزة بخيوط ذات ألوان مختلفة منها؛ الأخضر والأحمر والأصفر، وهي ألوان لها ارتباط بالأرض والطبيعة، مما يدل على أن الإنسان المغربي عموما وإنسان الكندري خصوصا له ارتباط قوي بالأرض والطبيعة معا.

- رمزية الدوران حول الولي:

ذكرنا سلفا أن العجل قبل أن يذبح يلتف سبع مرات حول الضريح، وهذا السلوك له رمزية في المخيال الشعبي للإنسان المغربي عموما هي الرمزية الدينية، تتمثل في تقديس العدد 7، حيث سبعة سماوات وسبعة رجال...إلخ، كما أن لهذا الرمز امتداد معتقدي لدى الحضارات والثقافات القديمة، "ففي بداية من الألفية الثالثة قبل الميلاد، اكتسب رقم 7 قدسية ودلالات رمزية عدة في مختلف الثقافات و الأديان تجلت في البحور السبعة والتي يعود استخدامها إلى القرن 23 قبل الميلاد في الترنيمة الثامنة (إنانا) لأنخيدوانا أقدم شاعرة في التاريخ"[83]. كما أن العدد 7 مقدس أيضا في الثقافة العربية الإسلامية، حيث أن المسلمين يطوفون سبع مرات حول الكعبة، ويسعون بين الصفا والمروة سبعة مرات، لذلك فإن الدوار بالعجل حول الضريح يعد بمثابة إحياء لهذه الطقوس المرتبطة بمناسك الحج، حيث يمكن اعتبار الموسم نوعا من الحج الذي يقوم به الفقراء، مادام هناك نوع من التماثل على مستوى الطقوس.

---

[82]_الزاهي (نوردين)، المقدس الإسلامي، ص، 59.

[83]_بلالي (يسرى)، المعتقدات في المغرب؛ تراث شعبي بين رمزية الألوان وشخوص العالم المتوسطي"، الموقع الالكتروني: http//: 8alqatiba.com/2022/01/25/%D

- رمزية وضع الحزام على قرن العجل

السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو لماذا اختيار العجل دون الحيوانات الأخرى، للإشارة يمكن القول إن الحيوان ينتمي إلى فصيلة الأبقار، ومن ثمة فإن للأبقار لها رمزية ودلالة اجتماعية في المخيال الشعبي للمجتع المحلي، فالأمثال الأمازيغية في هذا لا تخلوا من تبجيلها للحيوانات وللعجل خاصة يول المثال أمازيغي "أونا غوريلا أعجلي يوف ما يلان ك دونين/ الذي يملك العجل فقد ملك أحسن نما في الدنيا"[84]، ولكي نذهب بعيدا فإن للحيوان عموما وللبقر خصوصا له بعد أنثرولوجي ديني بالأساس ويتمثل في تقديس الحيوان ووضعه في مرتبة الإله في بعض الديانات القديمة، خاصة في الديانة الهندية "حيث إن البقرة في الثقافة الهندية هي بمثابة أم ثانية للإنسان الهندي، ولذلك عدت ضمن المحرمات أكلها، نظرا لهذه المكانة المقدسة فيها، ويقول المهاتما غاندي في مقال صدر له في مجلة "باهافانز جورنال" بعنوان "أمي البقرة" يقول فيه" إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية، هي هدية إلى العالم، وهي أساس برباط الأخوة بين الإنسان والحيوان، والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان وهي كذلك الحقيقة"[85] .

من هذا المنطلق، فإن وضع الحزام على قرون العجل يأخذ بعدا رمزيا حافلا بالمعاني، حيث تعتقد النساء بأن العجل بعد دخوله إلى مجال الضريح المقدس، يكتسب قداسة من نوع الذي يزيل " العكس" ويساعد على الإنجاب، لذلك يقمن بوضع السبنية على قرون العجل لتفيض بركة الولي عليها، ومن تمة تنجب الذكور الذين حرمت منهم، فتلك البركة قد تزيل العقم الجزئي أو الكلي. وكلها علاجات مرتبطة ببركة الولي باعتباره قناة رئيسية تجسد المقدس. وتحيل القرون هنا إلى القضيب كما بين ذلك بير بورديو في الهيمنة الذكورية، إنه قضيب رمزي وحامل للبركة، عن طريقه يتم زيادة خصوبة المرأة، مادام ذلك الحزام قريبا من خصرها ورحمها، فإنه يكون بمثابة حامل لبركة الولي الدائمة.

- رمزية الضرب

قبل الذبح يطوفون بالعجل حول الضريح والموسيقى لا تفارقهم أبدا، فهي التي تجسد حضرة الجسد الطقوسي، بل وهي ذاتها الجسد القرباني، سواء في الموسم أو في العرس، وغالبا ما تكون الأضحية في مقدمة الحشد، إنها العروس الحقيقية في الموسم والعروس المجازية في العرس[86].ناهيك عن انشاد أبيات بالعربية الكلاسيكية في مدح الرسول، وفي هذه الأثناء تتعرض الأضحية للضرب المبرح بالعصي لكي تسرع في طوافها، ويفسر جيرار مظاهر هذه العداوة والاحتقار والضراوة التي يواجه بها الحيوان قبل التضحية على أنها إجلال ديني محض، يساهم في تطهير جسد الجماعة مباشرة بعد الذبح[87].

- رمزية الزيارة

إن الزيارة ترجع لغويا، إلى الفعل زار، يزور، وبمعنى حج، يحج، فمن زار المكان حج إليه، لهذا ينعت الباحثون الغربيون زيارة الأضرحة بكونها حجا[88]. إنها حج من لا حج له، وبتعبير أدق حج للفقراء، فعن طريق التمسح بقبر الولي او الثوب المغطى به، يستعيد الزائر طقس التمسح بالكعبة والحجر الأسود، وهو ما ينطبق على الطواف بالقبر[89].

---

[84] _مثل شعبي أمازيغي متداول في الجنوب الشرقي للمغرب.

[85] _السرتي (محمد إبراهيم)، الأنثى المقدسة وصراع الحضارات، المرأة والتاريخ منذ البدايات، منشورات دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، الطبعة الأولى 2008، ص 100.

[86] _الزاهي (نورالدين)، المقدس الإسلامي، ص، 60.

[87] _رونيه (جيرار)، مرجع سابق، ص، 171.

[88] _نفسه، ص، 86.

[89] _العطري (عبد الرحيم)، بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي، المدارس، الداربيضاء، الطبعة الأولى، 2014، ص، 114.

وفي الغالب تطلق الزيارة على العطية أو الهدية أو الهبة، التي تقدم من طرف أتباع الزاوية للشيخ أو الولي، ويمكن أن تشمل هذه العطية (ذبيحة، شموع، غطاء الدربوز، شموع، زيوت، قمح وغيرها، وتنقسم الزيارة إلى قسمين، زيارة صغيرة وأخرى كبيرة، فأما الصغيرة فتتميز بالسرية، وغالبا ما تكون فردية أو ثنائية، أما الزيارة الكبرى فهي ما يسمى بالموسم، وتقام في موعد محدد مسبقا. وينعت بالزيارة الكبيرة لأنه يستقطب كمّا كبيرا من الناس، والذين يفدون حتى من خارج البلاد لحضوره، علاوة على إقامة مبيث في الزاوية أو الضريح، أو بناء خيمة بجانب قبر الولي، لنهل بركته بشكل كبير خلال أيام الموسم.

بعد الترحيب بالزوار تبدأ طقوس الزيارة، فتدخل النسوة إلى الضريح ويشعلن الشموع التي تحقق لهم عدة طلبات وأمنيات كأن ينصفهم الولي من ظالميهم ويشفيهم من الأمراض كالعقم وغير ذلك من المطالب التي يرجون تحقيقها[90]، ويطوفون حول "الدربوز" ويشكل هذا الطواف طقسا مركزيا للزيارة بحيث يتلو الزوار دعواتهم وآمالهم، وعلى مقربة من "الدربوز" نجد صندوقا كبيرا يضع فيه الزوار العطايا والهبات المالية.

- رمزية الجلد والدم

يمسح الزوار الدم المتساقط على الأرض في مناديل ويحملونها معهم، وغالبا ما تقوم النساء بهذه العملية، حيث يعتبر دم العجل مقدسا ويصلح لعديد من الأشياء مثل: السحر، وعلاج العقم، وبعض الأمراض الأخرى. كما يتم توزيع جلد العجل باعتباره شيئا مقدسا، حيث إنه حامل للبركة، وهو ذو استعمال متعدد، يزيل العقم وييسر الزواج للفتيات العازبات. وفي دراسته المعنونة بالضحية وأقنعتها يؤكد عبد الله حمودي أن بوجلود يطرد الشر وتكون فيه البركة[91].

- رمزية الرقص: مقدس الانتهاك

إن لآلة 'الغيطة' وأوضاعها ووظائفها المتعددة في المجال الطقوسي دينيا أو صوفيا، إنها الآلة التي تعلن بداية ونهاية شهر الصيام، وهي نفسها التي تعلن موعد الإفطار بعد كل يوم صيام الأمر الذي يغمر وظيفتها بالقداسة، ويحيل شكل آلة 'الغيطة' إلى صورة قضيب، وهي إحالة كشفت شيفرتها الرمزية بعض مكونات الثقافة الشعبية في أكثر من قول ونكتة[92]، وتحاكي آلة "الغيطة" القضيب، من هنا فإن آلة 'الغيطة' تدفع النساء الراقصات إلى فقدان السيطرة على جسدهن، وانفتاح منافذه، حيث تظهر فجوات الثديين، ويظهر شعرها، تاركا للآلة القيام بعملية النفخ عبر هذه المنافذ الحساسة للجسد، ويجعلنا فعل النفخ الصادر من الآلة نتجه نحو المتخيل الديني لتفسيره، فالنفخ يشير إلى بداية الحياة مع أدام أولا ثم الخصوبة التي وهبها الله إلى مريم ثانيا، وباختصار فإن آلة الغيطة هنا تلعب دور مخصب رمزي للنساء أثناء الرقص. يدخل هذا النوع من الرقص حسب روجي كايوا في مقدس الانتهاك الذي يجمع بين القداسة والمحظورات، إذ تتجلى القداسة في الاختلاط جنسي والرقص العلني، حيث تعتبر هذه عادة محظورة في القبيلة، لكنها تباح خلال أيام السنة ويصبح كل ما هو محظور مباحا أيام الموسم.

---

[90]_طواهري (ميلود)، المقدس الشعبي، تمثلات، مرجعيات، ممارسات، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، لا وجود للسنة ص، 196.

[91]_حمودي (عبد الله)، الضحية وأقنعتها بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغارب، ترجمة عبد الله الكبير الشرقاوي، دار توبقال، للنشر، المغرب، الطبعة الأولى 2010، ص،37.

[92]_الزاهي (نوردين) ، المقدس الإسلامي، ص، 66.

يقول بير بورديو في كتابة الهيمنة الذكورية بخصوص النفخ "ذلك أن الترسيمة المهمة للانتفاخ هي المبدأ المولد لطقوس الخصوبة، لأنها تورم بمحاكاتها (القضيب وبطن المرأة)، لا سيما باللجوء إلى أغذية تنفخ وتنتفخ، فإنها تفرض نفسها في الأوقات التي يتوجب فيها على فعل التخصيب الذي تمارسه الطاقة الذكورية ،وأيضا خلال افتتاح الموسم الحصاد، وهو مناسبة لفعل متجانس مع افتتاح وتخصيب الأرض" الهيمنة الذكورية، مرجع سابق ص، 30

المحور الرابع: الموسم غمرة: الأبعاد والوظائف.

- البعد الزراعي

إن كل شيء يأخذه الغمرين من القبيلة يعد مقدسا بالنسبة لهم، ولأن سكان قبيلة كندر يقدمون لهم الشعير والقمح لإطعام دوابهم، فإنهم يحضرون برسيم دوابهم الخاص، ويحتفظون بذلك الذي قدم لهم من طرف السكان، وحينما يحل موسم الحرث يزرعونه لاعتبارات عدة من بينها أن البركة متجلية فيه، وستأتي غلته مضاعفة. وكان العديد من سكان القبيلة يقصدونهم في موسم الحصاد للحصول على زكاة القمح والشعير، فالبركة هنا تتخذ شكلا دائريا ولابد لها من العودة إلى الضريح. وترجع هذه الميزة أساسا لتجربة المقدس التي لا تظل أبدا خاصة وذاتية، بل تقتسم من طرف أعضاء الجماعة، وتأخذ شكلها الجمعي بفضل الأساطير والطقوس الدينية، مثلما تصبح مؤسسة منتظمة في الزمان والمكان بفضل استثمارها للبنيات الرمزية للمخيلة الإنسانية[93].

- البعد الطقوسي

وتجب الإشارة إلى أن اقتناء العجول الثلاثة ونحرها ينبني على معايير محددة، إذ يرتبط لون كل عجل بالقبيلة التي سينحر بها، فالعجل ذو اللون الأصفر ينحر بقبة سيدي عبد العالي، وذو اللون الأحمر ينحر بضريح سيدي عبد المالك، والثالث ذو اللون الأسود ينحر بضريح سيدي أحمد. حيث يرتبط لون العجل بخطورة المسالك وطريقة الذبح، والحضرة وغيرها من المتغيرات الحاضرة في المجال والجغرافيا والمجتمع.

- الوظيفة الاقتصادية

وبالموازاة للطقوسي والرمزي يشكل الموسم فضاء لتمفصل الاقتصادي مع القدسي، فكل مستلزمات الزيارة موجودة بجوار الضريح والزاوية، ناهيك عن الفواكه الجافة، وأكسيسورات حاملة للبركة، وعموما يمكن اعتبار الجانب الاقتصادي في موسم الغمريين ضعيف جدا مقارنة مع باقي المواسم التي تقام بمدن أخرى.

وعلى كل حال، "فالضريح بمنطق بيير بورديو، يعتبر رأسمالا اقتصادي، إذ هو فرصة للإقلاع الاقتصادي وترويجه، فهذه المواسم تعرف زيارات كثيرة ومن قبائل مختلفة وما تأتي به من هبات وعطايا وهدايا ثمينة وأشياء أخرى للبيع والشراء، وبالتالي فالضريح في هذه الحالة فرصة للتبادل التجاري، والقبيلة التي يتواجد فيها الضريح، تستفيد أكثر من هذه الزيارات."[94]

- الوظيفة الاجتماعية

تعتبر زيارة الأضرحة والزوايا بالمغرب وقيام المواسم "فرصة لبناء العلاقات الاجتماعية بين القبائل ولربطها بين الذكور والإناث، فالكثير من الشباب والشابات على سبيل المثال يبنون علاقات الزوج في هذه المواسم، في إطار شروط محددة والمراقبة الاجتماعية، كما تعد أيضا فرصة لفك الصراعات القبيلة خاصة القبائل التي تتنازع بسبب الماء أو الأرض، وإذن فهو فرصة كذلك للترابط الاجتماعي والتضامن الاجتماعي وإزالة الفوارق الاجتماعية"[95] .

---

[93] - الزاهي (نوردين)، المقدس والمجتمع، ص، 75.

[94] محمد (وحدو)"التراث الفرجوي في الثقافة الأمازيغية بمنطقة تنغير، دراسة أنثروبولوجية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، سنة 2022/2021، بجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب ص 338.

[95] محمد (وحدو)، المرجع نفسه ص: 338.

- الوظيفة الإطعامية

أهل كندر المقيمين على الزاوية استعدوا لهذا اليوم العظيم، وقاموا بتوزيع الشعير والقمح على نساء القبيلة لطحنه يدويا، وبمجرد وصول الضيوف تأتي النساء بالخبز إلى الزاوية، وغالبا ما يتخذ ذلك بعدا تنظيميا، إذ تكلف المجموعة الأولى بوجبة الغذاء وتكلف المجموعة الثانية بوجبة العشاء، وتكلف الأخيرة بوجبة الإفطار، بحيث لا يحدث أي نقص في الرغيف المقدس الذي يقبل عليه الضيوف كما أهل القبيلة بنهم، فكل المأكولات والمشروبات في أيام الموسم تتسم بالقداسة.

- الوظيفة السياسية

إن للمواسم وظيفة سياسية أيضا، تتمثل بكونها من بين الركائز التي تحافظ عليها الثقافة الشعبية للقبائل والمجتمعات على كيانها ونظامها السياسي الشعبي، حيث تعد المواسم فرصة لتجديد علاقة القبائل بالأعراف والتقاليد والعادات والطقوس التي توارثتها منذ القدم من جيل إلى جيل، معنى ذلك أن للمواسم سلطة سياسية مقدسة تنبني على الاحترام والتوقير.

خلاصة

كان ولازال الاشتغال بالمقدس الأوليائي والضرائحي متنا مهما لفهم دينامية الحقل الديني، حيث حاولنا عرض بعض المعطيات الخاصة بالموسم، مع التخلي عن الكثير منها نظرا لأن هيكل المقال لا يسمح بذلك، وعموما يعتبر الموسم فضاء غنيا بالرموز، التي تؤشر على وقائع ثقافية مهمة، وتجدد أواصر القرابة بين الناس، فالمواسم لا تمكننا من معرفة علاقات القوة والمعنى، وإنما تأخذنا إلى أبعد من ذلك، فهي تؤسس لجماعات بشرية ولعلاقات البركة، ناهيك عن اندماجها بمواسم الحصاد والحرث، إذ لا يمكن أن نعزل بصيغة من الصيغ الطبيعة عن الثقافة، والمقدس عن المجال.

المصادروالمراجع:

- مصطفى سليم، (شاكر)، قاموس الأنثروبولوجيا، إنكليزي عربي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، سنة 1981،
- الزاهي (نوردين)، المقدس الإسلامي، دار توبقال، الدار بيضاء، الطبعة الأولى، 2005.
- لحما (الحسن)، طقس القربان في الأديان الوضعية والسماوية، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، المركز الثقافي العربي، الدار بيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014
- منديب (عبد الغني)، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى
- خليل (أحمد محمد)، موسوعة الميثولوجيا والأديان، العربية قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، سنة 2006،
- كايوا (روجيه)، الإنسان والمقدس، ترجمة ريشا سميرة، مراجعة سليمان جورج، المنظمة العربية لترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،
- الهيمنة الذكورية،ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريميش مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،2009
- جيرار(رونيه)، العنف والمقدس، ترجمة سميرة ريشا، مراجعة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

- بلالي (يسرى)، المعتقدات في المغرب؛ تراث شعبي بين رمزية الألوان وشخوص العالم المتوسطي"، الموقع الالكتروني: 8http// : alqatiba.com/2022/01/25/%D
- السرتي (محمد إبراهيم)، الأنثى المقدسة وصراع الحضارات، المرأة والتاريخ منذ البدايات، منشورات دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، الطبعة الأولى 2008،
- العطري (عبد الرحيم)، بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي، المدارس، الداربيضاء، الطبعة الأولى، 2014،
- طواهري (ميلود)، المقدس الشعبي، تمثلات، مرجعيات، ممارسات، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،
- حمودي (عبد الله)، الضحية وأقنعتها بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغارب، ترجمة عبد الله الكبير الشرقاوي، دار توبقال، للنشر، المغرب، الطبعة الأولى 2010،
- محمد (وحدو)"التراث الفرجوي في الثقافة الأمازيغية بمنطقة تنغير، دراسة أنثروبولوجية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، سنة 2022/2021، بجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب ص 338.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

الجفاف المناخي ودوره في تسريع وتيرة الهجرة بتساوت العليا

Climatic drought and its role in accelerating the pace of migration in Hautes-Tassouet

عبد الرحمان الناطوس

دكتورفي الجغر افية الطبيعية والبيئة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية القنيطرة، المغرب

abdnatouss@gmail.com

الملخص

تعيش أغلب المناطق القروية بالمغرب أزمات وظروف صعبة، تزيد من حدتها التقلبات المناخية وتوالي سنوات الجفاف. وفي ظل تزايد وتنوع حاجيات السكان، خاصة مع ضعف أشكال التدخل والسياسات الفوقية والتهميش الذي طال الأرياف المغربية لسنوات، فإن منجزات الدولة في هذا الباب لم تكن كافية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للساكنة، وإخراج المواطن بأغلب القرى المغربية من براثن الفقر والبطالة والأمية.

وقد شكلت الهجرة خاصة الدولية، المتنفس الوحيد والحل الأمثل لعدد مهم من ساكنة الأرياف، بما في ذلك ساكنة أرياف تساوت السفلى. هذه الهجرة التي انطلقت منذ السبعينيات وتسارعت حدتها خلال الثمانينيات والتسعينيات، بسبب توالي سنوات الجفاف.

الكلمات المفاتيح: الجفاف المناخي، الهجرة الخارجية، الهجرة الداخلية، تساوت العليا.

Abstract

Most rural areas in Morocco are experiencing crises and difficult conditions, exacerbated by climate fluctuations and successive years of drought. In light of the increasing and diverse needs of the population, especially with the weakness of forms of intervention and top-down policies and the marginalization that has affected the Moroccan countryside for years, the state's achievements in this regard were not sufficient to improve the economic and social conditions of the population, and to lift the citizen in most Moroccan villages out of the clutches of poverty, unemployment and illiteracy.

Migration, especially international migration, has been the only outlet and the optimal solution for a significant number of rural residents, including the residents of the lower Tasaout countryside. This migration, which began in the seventies and accelerated in intensity during the eighties and nineties, due to successive years of drought.

Keywords : Climate drought, external migration, internal migration, Upper Tasaout

مقدمة

تعتبر ظاهرة الهجرة من أكثر الظواهر تأثيرا في المجال ذلك أنها تؤثر بشكل كبير على مناطق الطرد ومناطق الجذب على حد سواء، وهذا التأثير يمكن أن يكون بالإيجاب أو السلب. ورغم أن ظاهرة الهجرة قديمة قدم الإنسان، إلا أنها تتم الآن على أوسع نطاق مقارنة مع الهجرة في الماضي، إذ أضحت عابرة لكل الحدود الإقليمية والوطنية وكذا الدولية كما أنها باتت تشمل مختلف الفئات والأعمار والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد ساعد على تزايد التيارات الهجرية

بروز مناطق جديدة تجذب الراغبين في الهجرة، وتتيح لهم فرصا أفضل لتحسين ظروف عيشهم، وتحقيق ذواتهم والتخلص من شظف العيش والظروف القاسية بموطنهم الأصلي.[96]

وعرفت الهجرة عدة تطورات من مرحلة إلى أخرى ومن حقبة تاريخية إلى أخرى، ويمكننا في هذا الإطار أن نجزم بأننا نعيش أخطر وأدق مرحلة على مر التاريخ.[97]

وكغيرها من مناطق المغرب، تعرف تساوت العليا حركة هجروية نشيطة، زاد من حدتها توالي سنوات الجفاف، والمشاكل البنيوية التي تعرفها أريافها. وهو ما يطرح تساؤلات عديدة حول مدى نجاعة البرامج التي تتبناها الدولة، في النهوض بأوضاع الساكنة القروية وتثبيتها في المجال.

1- الموقع الجغرافي للمنطقة.

يعتبر **Jean Drech** أول من وضع حدودا لسهل الحوز التي حددها بين الجبيلات ودير الاطلس الكبير، وقسمه الى الحوز الشرقي والحوز الغربي والحوز الاوسط [98].

تنتمي تساوت لسهل الحوز الذي يقع بين الأطلس الكبير والجبيلات والذي تعد مراكش عاصمته [99]، وهي عبارة عن حوض في قطاعين كبيرين؛ وأحد في العالية، يسمى تساوت العليا، والآخر في السافلة شمال الجبيلات بين سهلي البحيرة وتادلة يسمي تساوت السفلى.[100]

ينتمي سهل تساوت العليا لسهل السراغنة، والذي ينتمي بدوره إلى الحوز الشرقي حيت تصل مساحة سهل السراغنة بصفة عامة 3370 كلمتر مربع، وهو منطقة سهلية ضمن سهول المغرب الداخلية وارتفاعاته ما بين 400 و500 متر، تتخلله سلسلة جبلية تسمى الجبيلات المنتمية للزمن الجيولوجي الأول، وارتفاعاتها في حدود 1000 متر، وتمتد على طول 100 كلمتر تقريبا من الشرق نحو الغرب.

ينقسم سهل السراغنة إلى قطاعين:

- **قطاع تساوت السفلى:** يحده شمالا نهر أم الربيع وجنوبا الجبيلات وغربا منخفض البحيرة وشرقا واد العبيد وسهل تادلة.
- **قطاع تساوت العليا:** والتي تعرف كذلك بتساوت الوسطى أو الحوز الشرقي وهو المجال الذي يهمنا في هذا البحث يحده شمالا الجبيلات وغربا الحوز الأوسط وشرقا إقليم ازيلال وجنوبا الأطلس الكبير.

تعد تساوت العليا أول دائرة سقوية يتم تجهيزها بسهل الحوز، وقد انطلقت بها عمليات التجهيز والاستصلاح منذ 1968 وانتهت سنة 1977، حيت تم بناء سد مولاي يوسف وتعبئة ما يناهز 260 مليون متر مكعب من المياه، وهو ما مكن من سقي 52 ألف هكتار؛ منها 30 ألف هكتار مجهزة 22 ألف هكتار غير مجهزة.

- من الناحية الإدارية

تنتمي تساوت العليا إداريا إلى جهة مراكش تانسيفت الحوز، وهي ضمن إقليم قلعة السراغنة، الذي يحده إقليم الرحامنة غربا، سطات شمالا، ازيلال من الشرق والجنوب الشرقي، الفقيه بن صالح من الشمال الشرقي ومن الجنوب إقليم الحوز.

---

[96] الزو عبد الصمد، تأثير الأزمة الاقتصادية على عائدات المهاجرين بقلعة السراغنة، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، المركز الجامعي قلعة السراغنة، 2014، ص 3.

[97] لزعر محمد وفلاق أيمن، محددات الهجرة السرية من المغرب إلى أوروبا، ندوة الهجرة والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس–سايس، 2012، ص 27.

[98]- Paul Pascon, Le Haouz de Marrakech ,tomme premier ,Rabat1983 , page 24.

[99] - Paul Pascon, Idem , page 18

[100] -A. lahlimi, les terres irriguées et le monde rurale dans la Tassaout de la moyenne , revue de la géographie du Maroc, N11, 1967, page 3.

2-إشكالية الموضوع

تنتمي منطقة البحث إلى النطاق الجاف وشبه الجاف، حيث تتعرض لفترات طويلة من الجفاف. وكغيرها من المناطق الفلاحية الجافة فإنها تبقى رهينة التقلبات المناخية، مما جعلها تعرف وإلى يومنا هذا اختلالات اقتصادية وسوسيومجالية، كتدني مستوى العيش وارتفاع معدلات الفقر والأمية وتردي نوعية السكن وخدمات الصحة وتفشي ظاهرة الهجر. هذه الأخيرة باتت هي الحل الوحيد لنسبة كبيرة من سكان تساوت العليا، لتحسين مستوى عيشهم والتخلص من براثن الفقر والبطالة.

مما سبق تكمن إشكالية البحث المركزية فيما يلي: **كيف ساهم الجفاف المناخي في تسريع الهجرة التي تعرفها تساوت العليا؟**

<u>من خلال السؤال السابق يمكن طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية، التي سنحاول الإجابة عنها:</u>

- ما الخصائص المناخية لتساوت العليا؟
- بالإضافة إلى الجفاف، ما الدوافع الأخرى وراء هجرة أبناء تساوت العليا الى الداخل والخارج؟
- ما خصائص الهجرة الهجرة بتساوت العليا؟
- ما التحولات التي أدت إليها الهجرة الدولية بتساوت العليا؟

3-فرضيات البحث

<u>تنطلق فرضيات البحث مما يلي:</u>

- يتميز مناخ تساوت العليا بالقساوة والجفاف، وعدم انتظام التساقطات.
- تتعرض منطقة تساوت العليا إلى فترات طويلة ودورية من الجفاف.
- يعتبر الجفاف أهم عوامل طرد المهاجر بتساوت العليا.
- تتميز الهجرة الدولية بأرياف تساوت العليا بخصائص عدة: تشمل مختلف الأعمار، وكلا الجنسين، ومعظمها تتم صوب الدول الأوروبية.
- ساهمت الهجرة الدولية بأرياف تساوت العليا في إحداث تحولات عميقة بالمجال.

4-منهجية البحث وأدو اته

للإلمام بالموضوع الذي ستناوله في بحثنا هذا، سنعمد إلى استخدام المنهج الوصفي في المرحلة الأولى على اعتبار أن الوصف يعتبر أول خطوة من خطوات النهج الجغرافي، وسيمكننا من تحديد الخصائص النوعية والكمية وكذا توطين الظاهرة المدروسة وحركتها، كما ستتم الاستعانة بالمنهجين الإحصائي والمقارن في مرحلة ثانية.

أما فيما يخص أدوات العمل فسيتم الاستعانة بالاستمارة كأسلوب مناسب يتيح للمستجوب الحصول على أجوبة شاملة وكاملة،. كما سنستخدم برنامجي spss وArcGIS في معالجة المعطيات الميدانية، دون أن ننسى المعلومات المتاحة ببعض الكتب والمقالات والوثائق الإدارية.

المحور الأول: تعرف تساوت العليا مناخا قاسيا وجافا ساهم في الهجرة

انعكس المناخ الجاف الذي يميز المنطقة على توالي سنوات الجفاف وأثر سلبا على الاقتصاد التساوتي، حيث يلاحظ تواتر السنوات الجافة خاصة في الثمانينات.

1-2- التصنيف المناخي لمنطقة تساوت العليا

يتميز المناخ المغرب بكونه مناخ متوسطي شبه جاف، ويتصف بخصوصيات في كل منطقة تبعا لمجموعة من المتغيرات، وفي هذا الاطار سنقوم بتحديد الخصائص المناخية بتساوت العليا بالاعتماد على ثلاثة تصنيفات مناخية وهي **كوسن**

Gaussen وتصنيف أمبرجي Emberge r وتصنيف دي مارطون De Martonne . إذن فاين تتموقع المنطقة ضمن هذه التصنيفات؟

✓ **التصنيف المناخي لتساوت العليا حسب صيغة كوسن Gaussen**

تعتبر هذه الصيغة أن الشهر الجاف، هو الذي يساوي أو يقل مجموع تساقطاته ضعف متوسط الحرارة الشهرية .

المبيان رقم: 1 منحنى المطر حرارية بمحطة العطاوية ما بين 1985 و2024 حسب صيغة كوسن Gaussen

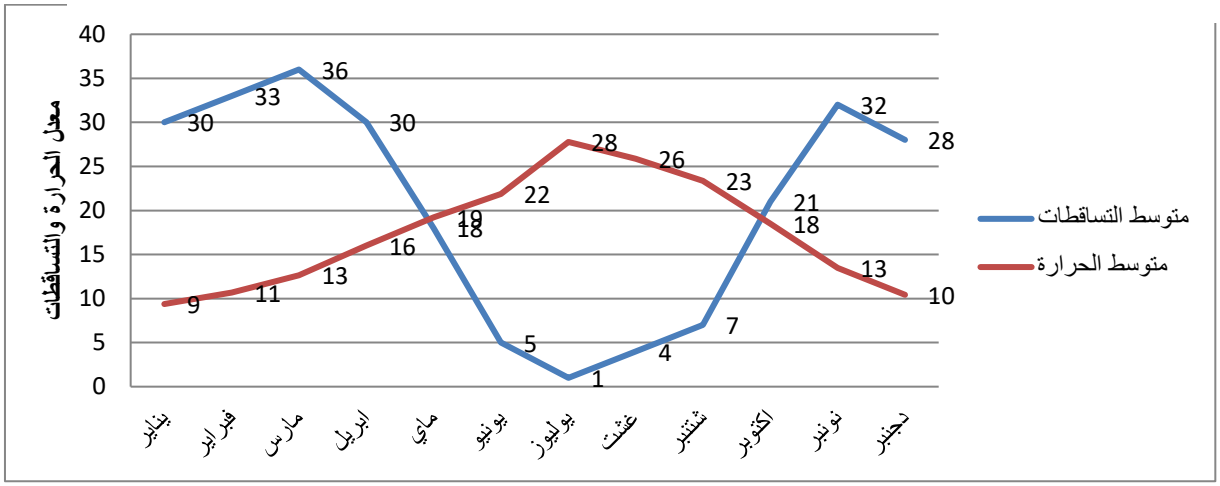

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز مراكش 2024

فمن خلال منحنيات المطر حرارية للمحطة المناخية المدروسة يتضح أن هناك فترة جافة طويلة ، فهي تتراوح ما بين خمسة شهور و ستة شهور بمحطة العطاوية وهو ما يدل على طول الفترة الجافة بالمنطقة

✓ **التنصيف المناخي لتساوت العليا حسب صيغة أمبرجي Emberger 1955**

لحساب هذه الصيغة نستعمل العملية التالية: $Q = \frac{p1000}{M-m}$

Q = مؤشر مطر حراري .

P =المعدل السنوي للتساقطات

المبيان رقم:2 تصنيف مناخ المنطقة حسب تصنيف امبيرجي

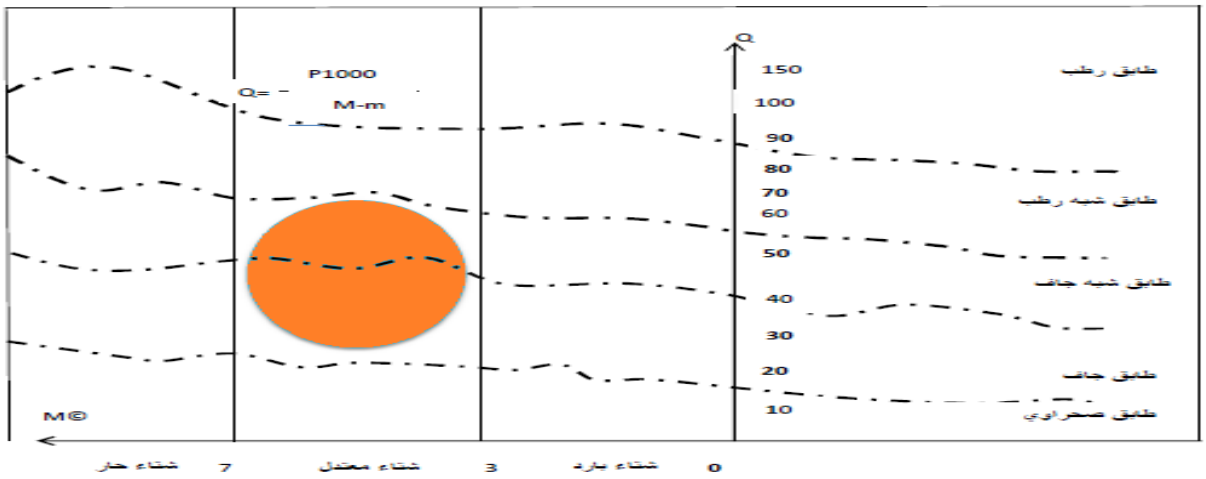

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز مراكش 2024

يتبن من خلال المبيان المناخي لامبيرجي أن تساوت العليا تنتمي للطابع الجاف وشبه الجاف، دي الشتاء المعتدل والصيف الجاف، وهو ما يفرض اعتماد اساليب صارمة لتدبير الموارد المائية المتأثرة سلبا بقحولة المناخ مما يجل المنطقة تعاني من خصاص مائي كبير.

✓ **التصنيف المناخي للمنطقة حسب صيغة دي مارطون De Martonne**

إذا حاولنا التعرف على وضعية القحولة بالمنطقة التي يندرج ضمنها مجال البحث فإننا سنستعمل معادلة **دي مارطون** التي تحسب بالصيغة التالية:

$A=P/t+10$ بحيث أن

A = مؤشر مارتون

P = متوسط التساقطات السنوي

T = متوسط درجة الحرارة

يتم تحديد انواع المناخ حسب ماطون :

- مناخ رطب تتراوح قيمة A ما بين 20
- مناخ شبه جاف تتراوح قيمة A ما بين 20 و10 .
- مناخ جاف تتراوح قيمة A ما بين 10 و 7,5 .
- مناخ صحراوي تتراوح قيمة Aما بين 7,5 و 5 .

بالنسبة لمعدل القحولة تصل في المحطات المناخية المدروسة 17، وذلك في السلسلة الاحصائية ما بين 1984و 2013 ، مع تسجيل اختلاف هذه القيمة من سنة لأخرى، فباستثناء سنة 1996 التي فاق فيها معدل القحولة 20 بمعنى أنها سنة رطبة ، فإن المعدل يتراوح ما بين 10و20 بمعنى أن المنطقة تنتمي للمناخ شبه الجاف، وهو ما يجعل من اعتماد السقي أمرا حتميا .

لقد خلصنا إذن أن التصنيفات المناخية الثلاث تؤكد على الطابع الشبه الجاف والجاف بتساوت العليا، ولإبراز المميزات المناخية للمنطقة سنعمل على الدراسة التفصيلية للتساقطات والحرارة وذلك لاستخلاص وقعهم على الموارد المائية بالمنطقة، إذن فماهي مميزات التساقطات والحرارة بمحطات تساوت العليا؟

الجدول رقم 1: الفترات الجافة والرطبة بتساوت العليا بين 1957 و2024.

الفترات	تاريخ الفترة	المدة بالسنوات	معدل الأمطار للفترة	المعدل البيسنوي
الفترة الجافة	1957-1960	4	243.6	%91
الفترة الرطبة	1961-1963	3	348.9	%131
الفترة الجافة	1964-1966	3	204.4	%77
الفترة الرطبة	1967-1968	2	393.9	%147
الفترة الجافة	1969-1969	1	261.8	%98
الفترة الرطبة	1970-1970	1	483.2	%181
الفترة الجافة	1971-1972	2	227.1	%85
الفترة الرطبة	1973-1973	1	296.4	%111
الفترة الجافة	1974-1976	3	194.5	%73
الفترة الرطبة	1977-1978	2	356.3	%133
الفترة الجافة	1979-1983	5	177.2	%66
الفترة الرطبة	1984-1984	1	344.2	%129
الفترة الجافة	1985-1986	2	226.3	%85
الفترة الرطبة	1987-1990	4	326.9	%122
الفترة الجافة	1991-1992	2	158.5	%59
الفترة الرطبة	1993-1993	1	316.6	%119
الفترة الجافة	1994-1994	1	95.6	%36
الفترة الرطبة	1995-1996	2	528.0	%198
الفترة الجافة	2018-2024	6	190.5	%71

المصدر: وكالة الحوض المائي أم الربيع 2024.

يتبين من الجدول:

- تعاقب 10 مراحل جافة ورطبة بين 1957 و2000 لمدة تتراوح بين 1 و5 سنوات بالنسبة للمراحل الجافة وبين 1 و4 سنوات بالنسبة للمراحل الرطبة.
- المدة الإجمالية بالنسبة للمراحل الجافة بين 1957 و2000 هي 27 سنة، في حين بالنسبة للمراحل الرطبة تبلغ 17 سنة.
- تعد سنة 1970 ومرحلة 1995-1996 فترات رطبة بامتياز، في حين فترات 1979-1983 و1991-1992 و1994 فترات جافة بامتياز.

تتردد الفترات الجافة بالمنطقة بشكل كبير مما يؤثر سلبا على الفلاحة بالتراب التساوتي، ويدعو إلى مضاعفة الجهود لمواجهة الجفاف المستمر.

المحور الثاني: لعب المناخ دورا محوريا في ارتفاع الهجرة الدولية بتساوت العليا.

تعتبر الهجرة الدولية المغربية واحدة من الظواهر المجتمعية التي استقطبت اهتمام العديد من الباحثين، مغاربة واجانب من مختلف التخصصات (الجغرافيا، الاقتصاد علم الاجتماع، الانتروبولوجية، علم النفس التاريخ، القانون، العلوم السياسية والعلاقات الدولية ....)، الشيء الذي اتمر عدة اصدارات ورسائل جامعية ومئات المقالات بلغات متعددة تعبيرا عن الامتداد المجالي الواسع والمتنامي للشتات المغربي في مختلف بقاع العالم[101].

من خلال دراسة متفرقة لتيارات الهجرة الخارجية لشريحة هامة من السكان، تبين انها حديثة العهد تعود إلى العقدين الآخرين أساسا.

2-1- اتجاهات الهجرة الدولية من تساوت العليا

على امتداد العقود الاخيرة عرفت هجرة المغاربة الى الخارج تناميا مضطردا، اد تنوعت مجالات انطلاقها وطنيا كما تعددت مجالات استقبالها دوليا الى الحد الذي صار فيه المغاربة المقيمون خارج الوطن ينعتون بالمغاربة مواطنوا العالم[102] . وقد وصل عددهم سنة 2002 حوالي 2,6 مليون مغربي، اي ما يعادل 10% من مجموع ساكنة المملكة، وتشكل اوربا القطب الجادب بامتياز للمهاجرين المغاربة بنسبة 85 % متبوعة بالبلدان العربية بنسبة 9 % تم امريكا الشمالية بنسبة 6%[103] . في حين يصل عدد المهاجرين حاليا حوالي 4,5 مليون مهاجر[104] .

شهدت منطقة تساوت العليا تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية، مما ساهم في بروز هذا النوع من الهجرة، الذي حضي بإقبال كبير خاصة من طرف الشباب، إذ بدأ هذا التيار الهجروي بالمنطقة في فترة الثمانينيات إلى حدود العشرية الأولى من القرن الحالي حيت وصل عدد المهاجرين من اقليم قلعة السراغنة نحو اوربا 38924 مهاجر نحو اوربا[105] وخاصة اسبانيا وإيطاليا، وذلك عن طريق عقدة عمل صعبة المنال في كثير من الحالات، لينتج عنه بروز ظاهرة الهجرة السرية التي تفشت في صفوف فئة الشباب بشكل كبير.

الجدول رقم 2:الوجهات الخارجية للمهاجرين من تساوت العليا.

الدولة	النسبة المئوية
دول الاتحاد الأوربي	73.92
ليبيا	11.04
دول الخليج	2.69
وجهات أخرى	12.35
المجموع	100

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024

[101] - لزعر امحمد،2010، حصيلة البحث الجغرافي حول الهجرة الدولية المغربية، مجلة دفاتر جغرافية، البحث الجغرافي حول المغرب قراءة في الاشكاليات وفي المناهج، العدد 7، ص 91.

[102] - حيتومي محمد وجويد عبد الاله،2012، تنائية هجرة / تنمية على ضوء المقاربة الترابية، حالة مدينة واد زم مجلة جغرافية المغرب، العدد 11-9-ص 15.

[103] - تقرير الخمسينية ،2005، 50 سنة من التنمية البشرية وافاق سنة 2025. المغرب الممكن اسهام في النقاش العام من اجل طموح مشترك، ص 58.

[104] - النامي زهير، عدو رشيد، صيد احمد سفيان ،2020، الهجرة الدولية وانعكاسها على التوسع الحضري بمدينة قلعة السراغنة، مقال ورد في كتاب اقليم قلعة السراغنة، التراب الديناميات ورهانات التنمية، المطبعة super copie، الطبعة الاولى.

[105] -النامي زهير،2019، تيلرات النقل بين المن والارياف وانعكاساتها على التنمية الترابية، حالة بعض الجماعات الترابية بإقليم قلعة السراغنة، اطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية، سايس، فاس ص65.

تشكل دول الاتحاد الأوربي المستقطب الرئيسي للمهاجرين من المنطقة بأزيد من 73%، حيت تحتل ايطاليا المرتبة الاولى بنسبة 31.02 %والتي استقطبت الشباب مند منتصف الثمانينات إلى الآن، وبشكل قوي جدا، فقد أصبحت الظاهرة تشمل كل المنطقة تقريبا، والتي أخذت تندمج مع المجالات الهجرية التقليدية كبني مسكين، تادلا وتساوت السفلى. وتعود هذه الأهمية إلى سهولة الهجرة إليها في بداية الثمانينات فهي لم تكن تفرض تأشيرة الدخول على الأجانب، ووجود أنشطة اقتصادية يمكن القيام بها من طرف المهاجرين تدر عليهم دخلا يفوق بكثير ما يربحونه في داخل بلادهم، تليها اسبانيا بنسبة 29.75%، دلك ان الازدهار الدي عرفته اسبانيا بعد انضمامها الى الاتحاد الاوربي سنة 1986 حول هذا البلد الى قبلة للمهاجرين من مختلف الجنسيات، وقد وصل عددهم سنة 2011، 5,7 مليون مهاجر وأصبحوا يتجاوزون 12% من مجموع السكان [106]. وهي اعلى نسبة ببلدان الاتحاد الاوربي [107]، وتحتل الجالية المغربية المرتبة الاولى من بين مهاجري المغرب العربي بإسبانيا، كما تعتبر الديار الليبية من اهم وجهات المهاجرين بنسبة 11.04%، وقد كانت النسبة أكبر قبل الربيع العربي، ثم تأتي بقية الدول الأخرى التقليدية فرنسا، بلجيكا، هولندا، كما نجد مهاجرين يعملون في بعض البلدات الاخرى كدول الخليج التي تستقطب الخادمات ورجال الامن.

2-2- دو افع الهجرة الدولية من تساوت العليا

وقد تعددت أسباب الهجرة الدولية من تساوت العليا التي يمكن حصرها فيما يلي:

الجدول رقم 3: أسباب الهجرة الخارجية بأرياف الحوز الشرقي.

الأسباب	النسبة المئوية
البطالة	39,5
الجفاف	19,6
الفقر	17,8
تجمع عائلي	11,7
أسباب أخرى	14,4
المجموع	100

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024.

تبين من خلال البحث الميداني أن حوالي 39,5 %من العينة المستجوبة كانت البطالة هي الدافع وراء هجرتها من المنطقة، أما حوالي 19,6% من المستجوبين فكان سبب هجرتهم هو الجفاف، فهم كانوا يشتغلون بالقطاع الفلاحي ومستخدمون فيه لكن ضعف فرص العمل بسبب الجفاف جعلهم، يفضلون مغادرة المنطقة بحثا عن وضع أفضل، بينما حوالي 17,8% كان الفقر هو العامل الطارد لهم من المجال، أما الذين هاجروا بهدف التجمع العائلي، فقد مثلوا 11,7%. ويمكن تفسير هذه النسب بكون المنطقة تعرف نسبة بطالة مرتفعة، خاصة في أوساط الشباب الذين يعانقون البطالة بمجرد الانقطاع عن الدراسة أو بعد الانتهاء منها، أضف الى دالك أسباب أخرى نفسية وسوسيواقتصادية ب 14,4%.

[106] - اكمير عبد الواحد،2014، الجالية العربية في اسبانيا، المستقبل العربي، ص 26.
[107] - النامي زهير ورشيد عدو وصيد احمد سفيان، مرجع سابق، ص180

3-2- انعكاسات الهجرة الدولية على تساوت العليا

تعددت الدراسات المغربية حول الهجرة الدولية وتطورها، لكن الانعكاسات الهجروية على مناطق الانطلاق لم تحضي بالأهمية اللازمة [108]. فكما هو معروف وبإجماع جل المهتمين تحتل الهجرة الدولية مكانة مركزية في الاقتصاد الوطني من منطق عائداتها، فلا أحد يجادل في دلك لكونها مصدرا للعملة الصعبة وإحدى الدعامات الاقتصادية التي تساهم بشكل جلي في سد عجز الميزان التجاري [109]، بالإضافة الى دورها في التحولات السوسيومجالية بمناطق الانطلاق، من هذا المنطلق سنحاول تبيان انعكاسات الهجرة الخارجية على ارياف الحوز الشرقي.

من خلال الدراسة الميدانية خلصنا الى ارتفاع التحويلات المالية من المهاجرين لدويهم بالمنطقة حيت أن % 35.15 يقدمون لدويهم ما بين 1000 و1500 درهم شهريا، يليهم 30.02% يقدمون مساعدات مالية ما بين 2000 و2500 درهم شهريا، تم 10 26,% يقدمون مساعدات تتراوح ما بين 3000 و3500 درهم، بينما 3.55% يساعدون ب 4000 درهم، بينما 21.02% لا يقدمون اية مساعدات.

إن ما يجب التأكيد عليه في هذه الفقرة هو مدى التحولات المجالية والاقتصادية والاجتماعية التي تتركها الهجرة الخارجية على مجال الطرد، وبالخصوص دورها في المساهمة في التحولات الريفية بشكل عام وفي تطوير القطاع الفلاحي بشكل خاص. واتجهت نحو تطوير قطاعات أكثر ربحا وضمانا من النشاط الفلاحي كالسكن فالمهاجر عندما يستثمر في قطاع البناء، فهو يشغل عددا مهما من العمال، وهؤولاء يتحسن دخلهم مما يعني انتعاش السوق التجاري الداخلي، كما انه ينشط قطاعات تجارية اخرى (الصباغة، مواد البناء ....) وكدلك قطاع الخدمات (التصاميم) وغيرهما[110].

المحور الثالث: تعرف تساوت العليا هجرة داخلية قوية:

3-1- ساهمت قساوة المناخ وخصاص الموارد المائية في تنشيط الهجرة الداخلية

تشير المعطيات التاريخية بأن هذا المجال كان في وقت ما مجال استقطاب للساكنة، وهي الفترة التي كانت تتوفر بها الشروط الضرورية للاستقرار و الحياة خاصة منها مياه الري، على اعتبار الطابع الفلاحي الذي يميز المنطقة، التي كانت أرضا خصبة يستغل أهلها أساسا في الأنشطة الرعي زراعية، إلا أنه و تبعا للتحولات الجذرية التي عرفها هذا المجال و المرتبطة أساسا بتوالي سنوات الجفاف، وتراجع الموارد المائية السطحية والباطنية، وأمام تزايد ضرورات الحياة فقد تحولت المنطقة إلى مجال طرد بامتياز، خاصة خلال فترة التسعينيات، وقد عرفت ساكنة المنطقة هجرات داخلية نحو العديد من الوجهات المغربية .

تتميز الهجرة الداخلية بكونها حديثة العهد بشكل أساسي. وبصفة عامة يمكن تقسيم تاريخ هجرة السكان من المنطقة إلى فترتين واضحتين:

+ **فترة السبعينات:** محدودة النسبة، وترجع هذه المحدودية إلى ان المنطقة كانت في خضم عملية التحولات الاقتصادية الهامة والناتجة عن المشروع الهيدروفلاحي العصري الذي كان في طور التنفيذ، مع ما وفره من مناصب شغل

[108] -Benchrifa Abdellatif ,1993 ,Migration extérieure et développement agricole au Maroc, Etat de la connaissance ,observation empiriques perspective de recherche future, Revue de géographie du Maroc, vol 15, nouvelle série, n’1et 2, p 51

[109] -الاكلع محمد مصطفى وادريم، نادية السملالي ،2013، دور الهجرة الدولية في تفعيل دينامية المجالات الحضرية، أنموذج مدينة قلعة السراغنة، مجلة جغرافية المغرب، مجلد 28، عدد 1و2 ص 7.

[110] - صالح منير، 1993، "الاندماج الحديث لسهل تادلة ضمن نسق الهجرة الدولية"، مجلة جغرافية المغرب، مجلد 15 السلسلة الجديدة، العدد 1و2، ص 22

مع الشركات التي تكلفت بالإعداد في مجال العدن، وإنجاز قنوات الري. لهذا نجد عددا قليلا من الشباب الذين هاجروا إلى مدن مختلفة كالبيضاء، الرباط، أكادير وغيرها.

+ **ما بعد السبعينات**: في هذه الفترة نشطت الحركة الهجروية بشكل ملحوظ، إذ همت أكثر من خمس المهاجرين، فهي وإن مازالت محلية نحو العطاوية وغيرها من الجماعات، فإنها أخذت تنحو منحى آخر نحو بعض المدن الأخرى.

- **مرحلة الثمانينيات** برزت مع توالي سنوات الجفاف التي عرفتها المنطقة في بداية الثمانينيات، وتدهور الموارد المائية، وبالتالي تدني الأوضاع الفلاحية والاقتصادية والاجتماعية والمعيشية للساكنة، حيث أصبحت المنطقة منطقة طرد نحو العديد من المدن، وقد عرف سكان الحوز الشرقي هجرة نحو المناطق الجنوبية خصوصا مدينتي العيون والداخلة، إضافة إلى مراكش والدار البيضاء وكتامة وتطوان وطنجة تم أكادير والرباط، وقد استمر هذا الوضع إلى يومنا هذا.

إن العوامل التي دفعت السكان إلى الهجرة في هذه الفترة متنوعة، فإلى جانب العوامل التقليدية الدافعة كالبحث عن العمل وجاذبية المجالات المستقطبة، فإننا نجد أن المنطقة قد تجاوزت إلى حد كبير طاقة الحمل المقبولة التي تتجلى في ضغط ديموغرافي قوي على الموارد المحلية وبالخصوص على الأرض الزراعية، وتضخم حجم الأسر الريفية (6 أفراد في المعدل)، وضعف دخلها، هزالة تجهيزها المنزلي، وعدم وجود أرض عمل للخريجين الجامعيين الذين أخذ عددهم يزداد سنة بعد سنة.

إن الاقتصاد الفلاحي المحلي للمنطقة عرف ازمة نظرا لأسباب طبيعة (الجفاف) وديموغرافية، إدارية، ولم يستطع التجهيز العصري لهياكل الانتاج تطويره من خلال إحداث مسلسل داخلي لتطويره. إن وضعية الانحصار هذه للدينامية الاقتصادية لها امتدادات اجتماعية من مظاهرها حركة هجرية أخذت تنتشر بشكل كبير.

3-2-اتجاهات الهجرة الداخلية في تساوت العليا

يتوجه المهاجرين من تساوت العليا نحو جميع المناطق والمدن المغربية لكن بتفاوت كبير، فقد تبين من خلال الدراسة الميدانية، تتفاوت نسب المهاجرين إلى مختلف المدن المغربية وهم يتوجهون وبشكل أساسي إلى الدار البيضاء 20,29 % لتوفر مناصب الشغل فيها، بينما تأتي مدينة قلعة السراغنة في المرتبة الثانية بـ 14,16 % لقربها من المنطقة. بينما يلجأ المهاجرون إلى سوس وأكادير للعمل في القطاع الفلاحي والسياحي، كما نرى بعضا منهم يتوزع في المدن الجنوبية كالعيون، الداخلة (الصيد البحري) والسمارة. في حين يتوزع الباقي على كل المدن الشمالية، والوسطى والجنوبية، لكن بنسب ضعيفة تشتغل في التجارة وبقية الحرف الأخرى.

<u>وتعتبر مدينتي قلعة السراغنة والعطاوية من المجالات المستقطبة لتيارات الهجرة القروية نظرا لثلاثة عوامل اساسية:</u>

- ✓ عائدات الهجرة الدولية بالديار الايطالية والاسبانية وكدا دولة ليبيا وانتقال عائدات المهاجرين من المجالات القروية للاستقرار بهاتين المدينتين.
- ✓ عائدات التجهيز الهيدروفلاحي التي عرفها الحوز الشرقي وتساوت السفلى والتي ادت الى تحسن وضعية كبار الفلاحين وانتقالهم من الجماعات المجاورة الى المجالات الحضرية.
- ✓ موجات الجفاف خاصة ما بين 1980و1984 والتي ترتب عنها نزوح كبير للساكنة القروية نحو المجالات الحضرية الشيء الدي ادى الى ظهور مجموعة من الدواوير الهامشية.[111]

[111] -النامي زهير،2019، تيارات النقل بين المن والارياف وانعكاساتها على التنمية الترابية، حالة بعض الجماعات الترابية بإقليم قلعة السراغنة، اطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية، سايس، فاس ص62 و63.

الخريطة رقم1: اتجاهات الهجرة الداخلية نحو مدينة العطاوية

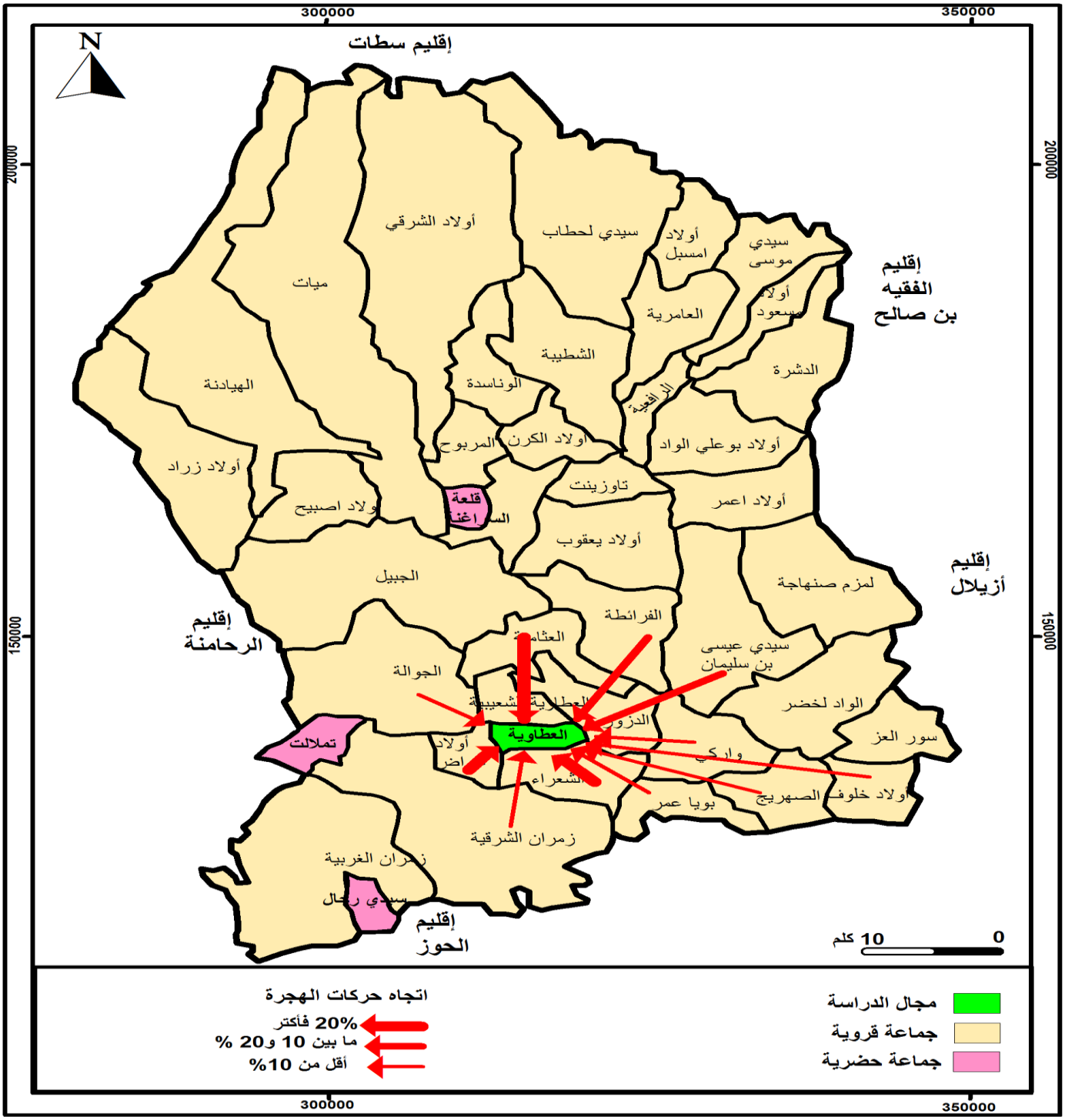

المصدر: عبد الرحمان الناطوس، دينامية المشهد الحضري بالمجال السقوي لتساوت العليا، مدينة العطاوية نموذجا، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2014

3-3- انعكاسات الهجرة الداخلية على تساوت العليا

ان دراسة اصول ساكنة قلعة السراغنة والعطاوية يتبين ان اكترهم ولدوا خارجهما، فنسبة31,1 %من ساكنة قلعة السراغنة مولودين بالجماعات القروية للإقليم، وبدراسة اماكن ازدياد ساكنتها نجد ان جماعة الفرايطة تحتل المرتبة الاولى بنسبة 1,84%، تليها جماعة ميات بنسبة 1,72 %تم جماعة الجبيل والمربوح والوناسدة ...الخ، ومن خلال البحث الميداني تبين ان مدينة قلعة السراغنة استقبلت 272 من أصل 2788 مستجوب من الجماعات القروية المحية بها بالحوز الشرقي [112] .

إن معظم هؤلاء المهاجرين مازالوا مرتبطين بأسرهم واراضيهم الفلاحية، وهكذا نجد الكثير منهم يزورون أسرهم بشكل متواصل ويقدمون لها مساعدات مادية إلى جانب استثمار جزء من توفيرهم في المجالات التجارية والفلاحية بالخصوص.

إن عددا لا بأس به من المهاجرين يفضلون الاستقرار نهائيا في الأماكن التي هاجروا إليها بنسبة تقترب من ربع عددهم، وإن منهم من يقطعون صلاتهم تماما بأسرهم وقراهم فلا يقدمون لهم آية مساعدات ولا يقومون فيها بأي استثمار يذكر. والأغلبية منهم سواء كانوا داخل البلاد أو خارجها هم الذين يحدثون تغييرات ملحوظة في الاقتصاد الريفي المحلي، وهي مساعدات ناتجة عما وفروه من مال من مدخولهم الشهري والسنوي رغم صعوبة التصريح به الذي يتبين فيما يلي:

نرى اختلافا في الدخل بين المهاجرين، ذلك أننا نجد البعض منهم لا يتوفر على أي مدخول، قد يكونون مهاجرين حديثي العهد بالهجرة ومازلوا في طور البحث عن العمل، ونرى أن خمسهم لهم مداخيل محدودة تقل عن 2000 درهما في الشهر، وثلثهم لهم ما بين 2000 و3000 درهما كمدخول متوسط، والثلث الآخر لهم مداخيل محترمة تفوق 5000 درهما، وهم إما أطر متوسطة وعليا (مهندسون، أساتذة الثانوي...) ومهاجرون في أوربا. وهو اختلاف ينعكس أيضا على مستوى تحويلات المهاجرين إلى "البلاد" حسب نوعية الهجرة.

الجدول رقم 4: قيمة مساعدات المهاجرين للأسرهم من خلال الهجرة الداخلية

فئة المساعدات بالدرهم	النسبة المئوية
0 درهما	37.59
1000-1500 درهما	30.15
2000-2500 درهما	19.77
3000-3500 درهما	8.89
4000 درهما	3.6
المجموع	100

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024.

يوضح الجدول ما يلي:

- نسبة الذين لا يساعدون أسرهم مهمة 37.59 %من المهاجرين لتواضع مداخيلهم أو لأسباب أخرى.

[112] - النامي زهير ورشيد عدو وصيد احمد سفيان، مرجع سابق، ص 180،181.

- نجد أن هناك تباينا بين المهاجرين الداخليين وخارج البلاد على مستوى الإعانات، فمساعدات الأوائل تقل عموما 2500 درهما.

+ مجالات تحولات المهاجرين تتمحور حول الاستهلاك والتجارة.

إن مجالات تحويلات المهاجرين سواء داخل الوطن أو خارجه تتمحور حول إعانة الأسر ومواجهة مصاريف العيش، ثم يأتي الاستثمار في البناء والتجارة. في حين أن الاستثمار في القطاع الفلاحي يأتي في المرتبة الثالثة من اهتمام المهاجرين.

نجد نسبة كثيرة من المهاجرين تساعد أسرها وعائلتها ماديا إذ ترسل لها مساعدات مالية قد تكون منتظمة شهرية أو غير منتظمة، قد تكون مباشرة عند عودتهم من أماكن الهجرة أو غير مباشرة بواسطة حوالات مالية تختلف قيمتها حسب قدرة المهاجر المادية لذويهم ويتم صرفها في مجال اقتناء المواد الاستهلاكية اليومية الغذائية أو بعض التجهيزات المنزلية الالكترونية (أجهزة الراديو، التلفزة، الصحون الهوائية ...) وغيرها (أدوات الطبخ، الأفرشة...).

وبذلك ساهم هؤلاء المهاجرون في تحسين وضعية أسرهم المعيشية، ويظهر هذا في سلوكات هذه الأسر الغذائية، وحصولها على تجهيزات منزلية مختلفة، فكلهم يتوفرون على أجهزة تلفزية وتحسنت تجهيزاتهم المنزلية الأخرى، وبذلك تساهم الهجرة في نشر الثقافة العصرية لمختلف تجلياتها وعناصرها في المجال الريفي، ولكنها في نفس الوقت تربط هذا المجتمع بمجال آخر، ويصبح تابعا.

إن كل مهاجر يسأل عن أول شيء يفكر فيه لانجازه، ليكون جوابه هو تحقيق مشروع تجاري أولا. بينما الاستثمار في القطاع الفلاحي مثلا فلا يأتي إلا في آخر المطاف.

يكتسي السكن أهمية كبيرة عند المهاجرين لأنه يعتبر أولوية بالنسبة للأسر سواء في الأرياف والمدن، وتانيا نجد القطاع التجاري نظرا لكونه نشاط يسمح بالحصول على ربح سريع وتدوير الرأسمال بسرعة، كما أنه لا يتطلب تجربة طويلة، وأهم أنواع التجارة المفضلة تجارة المواد الغذائية، الأثاث المنزلي.

وتجدر الإشارة إلى أن المهاجرين يفضلون أماكن أخرى في الاستثمار في هذا القطاع غير أماكن ميلادهم، وهي العطاوية، ومراكش، والدار البيضاء، وقلعة السراغنة، لديناميتها الاقتصادية والاجتماعية، وقد استفادت بعض المراكز الحضرية فعلا من استثمار الهجرة في هذا المجال كالعطاوية التي ارتفع جهازها التجاري الصغير بشكل كبير نتيجة لهذه الظاهرة.

تأتي الفلاحة في المرتبة الثالثة في اهتمام المهاجرين، نظرا لكون الأغلبية الساحقة من أصل ريفي، فإن بعضهم يتوفرون على أرض فلاحية، ولعل هذا ما دفعهم إلى تجهيزها بالاستثمار فيها وذلك بشراء عتاد فلاحي كالجرار والآلات المصاحبة له، وآلات الحصاد والدرس وحفر الآبار وتجهيزها بمحطات ضخ المياه، وممارسة مزروعات بقلية تسويقية، واقتناء البقر الحلوب. كما نجد الآباء يعتمدون على مساعدتهم لهم في القيام بهذه العمليات والاستثمار فيها. ويبرز الجدول أسفله أثر الهجرة على اقتناء الأرض.

الجدول رقم 5: أثر الهجرة على تحولات البنية العقارية.

فئات الملكية (هـ)	قبل الهجرة	بعد الهجرة
	%	%
1-5	37.2	9.3

5-10	18.6	30.2
10-15	23.2	27.9
15-20	11.6	18.6
20-25	9.3	13.9
المجموع	100	100

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024

يظهر التغيير على البنية العقارية في الملكيات التي تفوق خمس هكتارات، إذ نجد المهاجرين استطاعوا أن يوسعوا حيازاتهم. فإذا كانت المستغلات التي كانت تتراوح من 5 و10هـ تمثل قبل الهجرة 19% أصبحت بعدها تتجاوز 30% كما زادت التي توجد بين 15 و25 هـ بسبع نقط عما كانت عليه فيما قبل.

وهكذا تعتبر الهجرة عاملا تجديديا إلى حد ما في المجال الفلاحي، إذ ساهمت في تغيير المنظر الفلاحي للكثير من الجماعات، كما هو الأمر في سيدي رحال، والفرائطة، والجوالة، والعطاوية، الصهريج. ويتجلى هذا في وجود مساكن عرفت تجديدا في هندستها في وسط أو في هامش المستغلات الفلاحية التي حفر بها بئر مجهز بمحطة ضخ ديزل لري المزروعات البقلية التسويقية أو العلفية.

إلى جانب التجارة والفلاحة اهتم المهاجرون أيضا بالسكن، إذ أن الاستثمار فيه يعتبر عنصرا مشتركا عند الكثير منهم، ويعني إما إصلاح سكن العائلة بإضافة غرف إلى السكن الأصلي، مبنية بمواد عصرية.

وهكذا نلمس هذا التغيير واضحا في كثير من الدواوير، إذ أن المنازل مثل هذا الصنف أخذت تنتشر في المجال بشكل كبير وتحدث تغيرا في هندسة ومرفولوجية هذه التجمعات البشرية، كما هو الأمر في الحمادنة بالصهريج، والفرائطة، والجوالة، وسيدي رحال ... وهي دور لها طابع عصري لها سمة حضرية واسعة من حيث مساحتها وتجهيزها وكثرة غرفها مع وجود مآرب للسيارات بها في الطابق الأسفل فيما يخصص الطابقان العلويان للسكن العائلي.

همت الهجرة، وكما قلنا العنصر الشاب والقادر على العمل، إذ بحركته هذه يترك خللا اجتماعيا واقتصاديا ملموسا على المستوى المحلي، إذ لا نجد في بعض الدواوير إلا الفئة غير القادرة على العمل كالنساء والشيوخ والاطفال.

ولكنهم في نفس الوقت يساعدون على تحسين مستوى عيش أسرهم من حيث المسكن والملبس والتغذية وأيضا التجهيزات المنزلية وبالخصوص وسائل الاعلام المسموعة وأساسا المرئية التي أخذت تنقل وتنشر في الوسط الريفي قيما ثقافية حضرية، أخذ الشباب الريفي على تبنيها على حساب ما تربى عليه من ثقافة وسلوكات تقليدية محلية، ومن جهة أخرى يعمل المهاجر ومن خلال المساعدات المتنوعة التي يقدمها لأسرته على الإبقاء على هذه الأسر في عين المكان حتى لا تهاجر قراها، فهو عنصر يساعد على الاستقرار المحلي.

كما لا يمكن أن نغفل دورا آخر قامت به الهجرة وهو أن رئاسة الأسرة انتقلت من الأب إلى المهاجر، لما يتوفر عليه من إمكانيات مالية تساعده على الحسم في كثير من أمور الأسرة، كشراء منزل، وعتاد فلاحي.

4-3- تعتبر تساوت العليا من المجالات المستقطبة للهجرة الريفية

تستقطب المنطقة هجرة من النواحي المحيطة بها وخاصة من نواحي غجدامة والأطلس الكبير لكونها تعاني من صعوبة التضاريس وبالتالي تدهور التربة وضعف خصوبتها، الشيء الذي أدى إلى تدهور النشاط الرعوي

نتيجة تراجع الغطاء النباتي بالعالية بالإضافة إلى الجفاف الذي يتجلى في ضعف صبيب مستوى خط الثلج إلى أعلى قمم الأطلس[113]. ولهذا أصبحت المنطقة تعرف اتجاها للاستقرار السكاني من العالية إلى السافلة وذلك للعمل في المجال الفلاحي او التجارة في المراكز الحضرية الثلاث.

كما أن المناطق العالية لا توفر ظروف عيش ملائمة للسكان كانعدام وقلة الخدمات الأساسية من صحة وتعليم ولا توفر فرص الشغل للساكنة، وهذا راجع لبنيتها التضاريسية المعقدة والمتضرسة بحيث لا تساعد على الاستقرار ومد الطرق وقنوات الصرف الصحي والربط بالماء والكهرباء كل هذا يفسر هجرة السكان من الضواحي نحو مركز العطاوية.

3-5- الهجرة المؤقتة من تساوت العليا

ارتفعت الهجرة الداخلية المؤقتة خلال العقدين الأخرين، حيث يقوم الأفراد خاصة الشباب بترك الدوار لمدة محدودة، وقد تطول هذه المدة لتصل إلى سنة أحيانا، وقد تقصر إلى شهر واحد تقريبا، ويتخذ الشباب المهاجرون وجهات مختلفة إلى مدن البلاد، للعمل في البناء أو الفلاحة أو التجارة أو الصيد البحري، وخاصة مدن الداخلة وأكادير والناضور وبني ملال والدار البيضاء ومراكش ثم مدينة قلعة السراغنة. ليعودوا بعد ذلك إلى الديار، بعد انقضاء فترة الصيد البحري أو الموسم الفلاحي أو توقف أشغال البناء، أو رغبة في تكسير روتين العمل، وفي الغالب اشتياقا للأهل والأسرة، ومنهم من سمحت له الفرصة في الحصول على عمل قار كالتجارة والبناء لتصبح زيارتهم لمجال الطرد مقتصرة على المناسبات والأعياد.

3-6- أدى الجفاف المناخي الى الهجرة النهائية من تساوت العليا

تعرف الهجرة النهائية حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى كما يلي " كل الأشخاص الذين هاجروا بما فيهم الأطفال الذين رافقوا أسرهم من مكان الانطلاق إلى مكان الاستقطاب، واستقروا فيه لمدة تزيد عن ستة أشهر بنية الهجرة الدائمة"[114].

تعد الهجرة الدائمة بالنسبة لساكنة المجال الوافدين على المدن خاصة مدينة قلعة السراغنة والعطاوية خاصة مع صعوبات العيش، المرتبطة أساسا بالبطالة وضعف الدخل و تدني الخدمات والتجهيزات الأساسية، مما يدفع المهاجر للحصول على عمل قار سواء بالداخل أو بالخارج، وهوما مكنهم من اقتناء مسكن لهم بالمدن المستقطبة بغرض الاقامة الدائمة، كما يتعلق الأمر كذلك بالأسر التي تبحث عن تحسين ظروف عيشها، وغالبا ما تحتفظ هذه الأسر باستغلاليتها بالمنطقة، وفي هذا الإطار نجد مجموعة من النساء التحقن بأزواجهن بمدن الاستقبال، و يتعلق الأمر بالعمال الدين يستقرون بصفة نهائية بالمدن المذكورة، و على سبيل المثال لا الحصر نجد الآن بعض الدواوير دات المساكن الفارغة بعد مغادرة أصحابها بصفة نهائية وأمام هذا الواقع يصير إطار الطرد المتمثل في الدوار بصدد أشكال مركب و هو فقدان مجموعة من ساكنته ممن تحسن دخلهم اليومي.

ففي الوقت الذي من المفترض فيه قيام هذه الشريحة التي تحسن مستواها المادي، باستثمار رأسمالها داخل مجالها والاسهام في التحول الايجابي داخل المجال يلجأ غالبية أفرادها مضطرين أمام تتابع السنوات الجافة إلى ترك المجال، والاتجاه نحو المدن حيث تحسن مستوى العيش.

---

[113] -الحليمي أحمد والمباركي حسن وبوبكراوي الحسن 2009 " الجفاف وعلاقته بنمو الدواوير الهامشية بمدنية مراكش" (ملخص) شعبة الجغرافيا – جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، ص 83.

[114]- كرزازي موسى، 2004 مناهج البحث في الأرياف من خلال تطبيقات حول الهجرة، و رد في: منهاج البحث في الوسط الريفي المغربي، تنسيق موسى كرزازي. أيت حمزة محمد، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس سلسة ندوات ومناظرات، رقم 113، الرباط، ص 46.

خاتمة

تبين لنا إذن أن الهجرة ظاهرة جغرافية تعرفها ساكنة تساوت العليا، بهدف تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. وتكتسي هذه الهجرة أهمية بالغة إذ تسهم في خلق تنمية محلية، وتقلص من المشاكل الاجتماعية التي تعرفها المنطقة. لكن مع الأزمة الناتجة عن التغيرات المناخية والجفاف، ازدادت حدة هذه الهجرة وهو ما أدى إلى إفراغ تساوت السفلى من طاقاتها الشابة.

من خلال هذه الدراسة يمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها:

- تصنف تساوت العليا ضمن النطاق الجاف وشبه الجاف.
- ساهم الجفاف المناخي في طرد الساكنة المحلية من مجالها صوب أوروبا بالخصوص.
- شملت الهجرة الدولية بأرياف تساوت العليا، مختلف الأعمار وكلا الجنسين.
- ساهمت الهجرة الدولية في إحداث تحولات شملت مختلف المجالات بتساوت العليا.

إن تسارع ظاهرة الهجرة وتعدد طرقها والفئات التي تقدم عليها، يضع على عاتق صناع القرار بالمغرب مسؤولية إيجاد حلول وطرح بدائل، للتخفيف من آثار الأزمة البنيوية التي يعرفها المجال المغربي عامة والتساوتي بصفة خاصة. ومن بين أهم التوصيات التي يمكن أن نساهم بها في هذا الإطار:

- مساعدة الفلاحين على تجهيز أراضيهم بتقنيات الري الحديثة، للاقتصاد في الماء والتكيف مع الجفاف.
- توفير فرص الشغل للشباب العاطل، لتفادي مغادرته لقريته صوب أوروبا.
- تنويع الأنشطة الاقتصادية، ومحاولة بناء اقتصاد محلي يتناسب مع جفاف المنطقة وتغايرية مناخها (السياحة البيئية مثلا).
- يجب أن ينظر للهجرة على أنها عامل من عوامل التنمية الشاملة، وألا يتم اختزالها فيما هو اقتصادي.
- وضع إستراتيجية محكمة ترمي إلى إشراك المهاجر في تنمية بلده الأصلي اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.
- تعزيز ثقة المهاجر ببلده، وحثه على الاهتمام بمستقبله وتبني قضاياه.
- الاستغلال الأمثل لمدخرات المهاجرين من طرف الأبناك في خلق مشاريع تنموية حقيقية.
- تحسين بيئة الاستثمار: العقار، النظام الضريبي، التحفيزات...
- توجيه المهاجرين للاستثمار في بعض القطاعات الإنتاجية.

لائحة المراجع

المراجع باللغة العربية

-الكتب

- الأكلع محمد، تقرير حول الوسط الطبيعي بتساوت السفلى، 2007.
- حفار عبد الكريم، قلعة السراغنة: جوانب من مدينة في تحول، مطبعة خير الله، قلعة السراغنة، 2010.
- المخطط الجماعي للتنمية: تقرير التشخيص الاستراتيجي التشاركي، 2014.

- المقالات

- لزعر امحمد وفلاق أيمن، محددات الهجرة السرية من المغرب إلى أوروبا، ندوة الهجرة والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سايس، 2012.

- ظهيري محمد، التسوية غير السوية للمهاجرين بإسبانيا، الصحيفة الأسبوعية، العدد 108، 2003.
- **البحوث الجامعية**
- الزو عبد الصمد، تأثير الأزمة الاقتصادية على عائدات المهاجرين بقلعة السراغنة، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، المركز الجامعي قلعة السراغنة، 2014.
- فهمي عبد الغني، التحديث الريفي بالمجالات المسقية العصرية: تساوت السفلى نموذجا، بحث لنيل الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض، مراكش، 2010.

-عبد الرحمان الناطوس، دينامية المشهد الحضري بالمجال السقوي لتساوت العليا ، مدينة العطاوية نموذجا ، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2014

- **المؤسسات الرسمية**
- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز.
- المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014.
- **المراجع باللغات الاجنبية**

- Agence du Bassin Hydraulique d'Oum Errbia, BENI MELLAL, Etude hydrogéologique de la nappe de la Tessaout Aval.
- PEGURIER jacques, espaces urbains en formation dans le Tensift : essai de sociologie régionale, SMER, Rabat, 1981.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

الأمية ومجالس الجماعات الترابية

جماعة الخنيشات، توغيلت، لمرابيح، وجرف الملحة بإقليم سيدي قاسم وفق نتائج اقتراع 08 غشت 2021

Illiteracy and the councils of the territorial collectivity

the council Khenichet, Taoughilt, Jorf el Melha, in the province Sidi Kacem according to the results of the votes 08 August 2021

إسماعيل الراجي

طالب باحث في مختبر البيئة والتراب والتنمية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية، أبعاد تدني المستوى الدراسي أو قل انتشار الأمية بمفهومها الواسع في صفوف أعضاء مجالس الجماعات الترابية المنتخبة في علاقته بالتحديات التنمية الترابية الراهنة؛ التي تتطلب رهاناتها فاعلين منتخبين نوعيين من ميزتهم مستوى دراسي يستجيب للتحديات التنموية في بعده المحلي والإقليمي والجهوي، حيث متغير الكفايات العلمية والمعرفية والثقافية والتواصلية، وغيرها من الكفايات تعد عامل مؤيد لتدبير الشأن التنموي، ومطلب أساسي في مقاربات التنمية. من هذا المنطلق، نستقصي حالة أربعة مجالس جماعية ترابية منتخبة عقب نتائج اقتراع 08 غشت 2021؛ في إمتداد إقليم سيدي قاسم؛ ويتعلق الأمر بكل من جماعة الخنيشات، وتوغيلت، ولمرابيح، وجرف الملحة. فهل فعلا تستجيب بنية المستويات الدراسية لأعضاء المجالس بالجماعات الأربع لمطالب التنمية الترابية وإشكالياتها الراهنة من خلال متغير المستوى الدراسي؟

الكلمات المفتاح: الأمية، التنمية، خنيشات، توغيلت، لمرابيح، جرف الملحة، المجالس المنتخبة.

Abstract:

This research work deals with the dimensions of the low educational level or the low prevalence of illiteracy in the broad sense among the members of elected local government councils in relation to the current challenges of territorial development, the stakes of which require qualitative elected actors whose advantage is an academic level that responds to the challenges of development in its local dimension, and regional skills, where the variable of scientific, cognitive, cultural, communicative and other skills is a factor in supporting the management of development affairs, and a basic requirement in development approaches. From this point of view, we are investigating the case of four communal territorial councils elected following the results of the August 8, 2021 election in the province of Sidi Kacem: the commune of Khenichat, Taughilt, Lamrabih and Jorf El Melha.

Does the structure of the education levels of the councillors of the four communities really meet the requirements of territorial development and its current problems through the variable of the level of education?

Keywords: Illiteracy, Development, Khenichat, Taughilt, Lamrabih and Jorf El Melha, Communal Councils.

مقدمة

عرف مفهوم الأمية(alphabétisation)[115]، حسب سياقاته الأكاديمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مجموعة من التغيرات التي طالت هذا المفهوم المتعدد الدلالة حسب المجال والثقافة والمستوى العلمي والاقتصادي والتقني للمجتمع. لكن، مفهوم الأمية حافظ على تيمته الدلالية العامة، حيث ظل عنصرا، يتحدد بمحدد عدم المعرفة بالقراءة والكتابة بلغة الأم. ويعد هذا التحديد أحد أشهر التعاريف الكلاسيكية لمفهوم الأمية الذي اعتمد في مجموعة من الدول والمؤسسات الأممية. وعليه، برمجت سياسات تعالج مشكلة الأمية من خلال محو الأمية الذي يأتي على قد منوال المفهوم الكلاسيكي للأمية، أي تحقيق عملية محو الأمية وفق المفهوم التقليدي؛ تحقيق "مجموعة مهارات القراءة والكتابة والحساب"[116]- إلا أنه، لم يبق هذا المحدد هو الدال فقط على الأمية بالمطلق، نظرا للتقدم العلمي والتكنولوجي والتطور التقني، وانتشاره واستعماله في جميع مفاصل الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وما كان من اعتمال العولمة في المجتمعات والشأن الحضاري الذي بلغته المجتمعات؛ وهذا يلزم لوزم ما يلزم من تجديد المؤهلات المعرفية والثقافية والفنية والتقنية للعنصر البشري، باعتباره حجر الأساس في أدبيات التنمية[117]؛ إذ تنمية العنصر البشري أولوية الأوليات لمواكبة التحولات والتغيرات الحضارية العامة، ومواكبة تراكم التراث المادي وغير المادي، والسير مع مجتمعات المعرفة والتقنية التي لا يكفي العيش فيها؛ فقط القراءة والكتابة بل تحصيل كفايات[118] متعددة الابعاد والتأهيل والتكوين في تكوينات نوعية تتعلق بما هو ثقافي تواصلي، علمي، وتقني...إلخ.

من الأمور التي تثير جدال واسع على اعتبار الأمي فقط من لا يجيد القراءة والكتابة، ومنه اقتصار محو الامية على ذلك. وهذا ما جعل تعريف الكلاسيكي للأمية لا يفيد بالغرض من أجل سياسية استراتيجية تنموية لمواكبة التحولات العالمية في الحقل السياسي والاقتصادي والعلمي والثقافي. ومنه أصبح مفهوم الأمية بماهيته الكلاسيكية ليس المحدد الأول والأخير، حيث لا يعني أنك تجيد القراءة والكتابة-بلغة الأم، أنه قد تواكب شروط سوق الشغل، واستعمال التقنية، والتواصل، وولوج لممارسة العمل السياسي والثقافي في حدود جماعتك الترابية، نهيك عن العيش في بلد خارج منظومتك الثقافية واللغوية...إلخ، وعليه ارتقت بعض الأدبيات التنموية إلى توسيع نطاقات محو الأمية ليدخل ضمنه مجموعة من المتغيرات التي تتعلق بمجموعة من الكفايات والمهارات والتكوينات والتخصصات التي هي مخرجات "التعليم الجيد" و"التكوين الجيد" وهذا ما يعبر عنه مفهوم محو الامية بالنسبة للمنظمة اليونيسكو ما بعد التعريف التقليدي لمحو الأمية _المتجاوز_

---

[115] بادئ ذي بدء، يختلف مفهوم الأمية من بلد لآخر، ولا أدل على ذلك أن هناك من الدول من العالم الثالث من ترفع شعار التعليم المستوى الاعدادي كحد أدنى في التعليم(إلزامي)، بينما في دول العالم الأول تتحدث عن التعليم العالي في استراتيجيتها التنموية، وعليه فالشخص الأمي لن يكون في نفس الكفة بنسبة للمجالين. وبما أننا في إطار دراسة تستقصي واقع مشهد الأمية في أعضاء مجالس الجماعات الترابية، كاشكالية كمية ونوعية تعتمل في دينامية تراكم رأسمال التنمية الترابية في الجماعات الترابية، عبر عدم قدرة المنتخبين على مجاراة مقاربة التنمية الترابية فهما وتدبيرا. سنحاول أن نركب بعض المضامين حول مفهوم الأمية من خلال مقاربة محو الامية من المنظور الادبيات التنمية في دواليب الأمم المتحدة ومنظماتها.

[116] اعتمد هذا التعريف من قبل الأمم المتحدة، من خلال منظمة اليونيسكو التي تعد من أبرز المؤسسات التي تدخلت في محو الأمية، بإعتبارها_اليونسكو_ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. ومن أرضية هذا التعاريف استمر ادخال مجموعة من التعديلات حتى أصبحت اليونسكو تعتمد على مقاربة محو الامية متعدد الابعاد تقوم على محددات عدة. للمزيد حول هذا أنظر موقع اليونسكو: محو الامية، على الرابط التالي:https://ar.unesco.org/themes/literacy

[117] العنصر البشري في تيمة التنمية حسب أدبيات الأمم المتحدة، يرجع إلى الفعاليات الدولية حول التنمية والبيئة التي عرفت زخما منذ سبعينيات القرن الماضي إلى اليوم، ففي هيئة الأمم المتحدة التي يشتغل خبراءها حول البيئة والتنمية التي نظمت حولها منظمة الأمم المتحدة ومنظماتها مجموعة من المؤتمرات والقمم الدولية، وهنا يمكن الإشارة إلى مقاربة الأمم المتحدة التي أعلنت عنها من خلال تقرير " مستقبلنا المشترك" 1987، الذي من اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية حيث قام الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين لجنة "برونتلاند"، التي قامت بدراسة استغرقت أربع سنوات حول تدهور البيئة والموراد الطبيعية، وتوجت الدراسة التي قام بها خبراء بتقرير يحمل عنوان "مستقبلنا المشترك"، الذي تم فيه تضمين مفهوم التنمية البشرية. للمزيد حول مؤتمرات وتقارير الأمم المتحدة أنظر وثائق الأمم المتحدة على موقع الأمم المتحدة: https://research.un.org/ar/docs/environment/conferences نادر . وحول مفهوم التنمية البشرية ومؤشراته يمكن الرجوع إلى: فرجاني، "التنمية الإنسانية": المفهوم والقياس، المستقبل العربي، العدد 283(2002)، ص ص 66-84.

118 يعرف فيلب بيرنو أحد المختصين في مقاربة الكفايات في حقل علوم التربية؛ على أن الكفاية هي " القدرة على تفعيل مختلف الموارد المعرفية لمواجهة نوع معين من الوضعيات" نقلا عن العربي اسليماني ص 105. للمزيد حول مفهوم الكفاية أنظر: العربي اسليماني، المعين في التربية.

وعليه تعتمد اليونسكو على اعتبار محو الأمية عليه أن ينصرف إلى تحقيق" القدرة على تحديد الأمور وفهمها وتفسيرها، وعلى الإبداع والتواصل، وذلك في عالم يزداد فيه الطابع الرقمي، والاعتماد على المواد المكتوبة، وثراء المعلومات وسرعة التغير"[119].

إن الأمية بما لا يدعو للشك في ظاهرتها؛ من المؤشرات التي تكشف القناع وتعري عن واقع التنمية، وسيرورة التحولات المجالية للبلد الواحد. وأكثر من هذا، فمن خلال مؤشرات الأمية يتم استشراف مستقبل البلدان سياسيا واقتصاديا اجتماعيا وثقافيا وعلميا، ما يعني تنمويا. وعليه نجد بعض الكتابات السوسيولوجية تتحدث عن الأمية الوظيفية التي يعرفها أنتوني غدنز ب"غياب المهارات الأبجدية والرقمية التي يحتاجها المرء لتصريف شؤون الحياة اليومية"[120]. فالمجتمع الحديث حسب رأي غدنز لا يمكن الانخراط في منظومة أنساقه؛ بدون أن "يتعلم الناس مهارات أساسية مثل القراءة والكتابة، والحساب، بالإضافة إلى معارف عامة مهمة عن بيئتهم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية. غير أن عليهم أن يتعلموا كذلك أشكالاً جديدة من المعرفة عن طريق البحث والاستقصاء التي قد لا يكون لها أثرا فوري مباشر على الحياة اليومية، ولكنها تفتح آفاقاً واسعة جديدة لعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية بصورة عامة." [121]. على هامش هذا الاقتباس، نستحضر تعريف التنمية من منطلق المنظر التنموي صن أمارتيا الذي عمل في دواليب الأمم المتحدة مع ثلة من المفكرين والخبراء الدوليين، حيث يرى صن أن: التنمية حرية؛ "أي إنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر [122]، وعليه نجد برنامج الإنمائي للأمم المتحدة تدخل في أهدافه محاربة الامية مسبقا من خلال بعد؛ "التعليم الجيد" أي الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة. فحسب البرنامج الإنمائي المتعلق بالهدف الرابع "الحصول على التعليم الجيد هو الأساس في تحسين معايش الناس وتحقيق التنمية المستدامة"[123].

يعد المغرب من بين الدول في العالم التي تعرف ظاهرة الأمية في مجتمعها، فبرغم مما حقق المغرب عبر سياساته من طفرة في محو الأمية من خلال برامج حكومية خلال العقود الماضية_ومن الجدير بالذكر ترجع ارهاصتاها الأولى لمحو الامية في المجتمع المغربي إلى الحقبة الاستعمارية حيث دأبت عصب تقودها فعاليات اجتماعية مقاومة للاستعمار والأمية_ لكن التدخل الذي سيغير من معادلة الأمية في المغرب سيكون من أوراش التدخل من قبل السياسات العامة والعمومية المغربية التعليمية وبرامج محو الامية، فلا يخفى أن الأمية _عدم القراءة والكتابة والحساب_ شكلت معضلة كبيرة اعتملت بشكل سلبي في شأن التنموي المغربي، كما كانت شرطا شارطا بقوة الاعتراض في مسار الانتقال المجتمعي نحو التجديد ومواكبة الحداثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ فلا حداثة بلا ثقافة[124]، ولا ثقافة مع الأمية المطلقة. فالمجتمع المغربي إلى نهاية القرن 20م، وظاهرة انتشار الامية تتجاوز نصف عدد السكان؛ 55% خلال عام 1994. ويدخل المغرب الأليفة الثالثة بأزمة ثقيلة عبر عنها مؤشر انتشار الأمية، وهذا ما استدعى استراتيجية لمحاربة الأمية التي سيعقد لها المغرب استراتيجية وطنية، كانت بداية الانطلاق والشروع في تنزيلها سنة 2003، تحت اسم "مسيرة النور الخاصة بمحاربة الأمية"[125] خلال عام

---

119 للمزيد أنظر موقع اليونسكو: محو الامية، على الرابط التالي: https://ar.unesco.org/themes/literacy
ورد عند: أنتوني غدنز، علم الاجتماع (بمساعدة كارين بيردسال، (مع مداخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4(2005)، ص 120.738

أنتوني غدنز، علم الاجتماع المرجع السابق، ص 540-541.121

للمزيد أنظر: آمارتيا صن، التنمية حرية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، العدد 303، مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، 2004.122

123 للمزيد أهداف التنمية المستدامة أنظر: موقع الأمم المتحدة على الرابط الآتي: https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/

124 شكل سؤال الحداثة السياسية في المجتمع المغربي من بين أهم الأسئلة التي شغلت الفكر المغربي المعاصر، ومن المفكرين الذين اهتموا بالحداثة والتحديث في المجتمع المغربي نجد محمد سبيلا، حيث يقول حول «لا تحولات سياسية عميقة بدون تحولات ثقافية وفكرية وذهنية عميقة» وحسب سبيلا، عن المفكر المغربي عبد الله العروي «العروي: الاصلاح الثقافي قبل الإصلاح السياسي» للمزيد أنظر: محمد سبيلا، في تحولات المجتمع المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1(2010)، ص 69-74.

125 للمزيد حول ارهاصات بداية انطلاق ورش محاربة الأمية على الصعيد المغربي، يمكن الرجوع إلى موقع الوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الوزارة التي عهد إليه عاهل البلاد خلال 2003 التكلف بتنزيل البرنامج الوطني لمحاربة الأمية. للمزيد أنظر: موقع الوزارة الوصية على الرابط الآتي: https://cutt.us/oQ6H0

2003. التي تلتها سنة 2004 التي اجريا فيها الإحصاء العام للسكان والسكنى(RGPH2004) الذي كشفت نتائجه تراجع الأمية، ليصبح معدل انتشار الامية في صفوف السكان البالغ عمرهم عشرة سنوات حوالي 43 %[126]، نسبة الاناث منهم تشكل حوالي 42.1 % أمية. وبعد مرور عقد؛ تعاقب خلاله مراحل برنامج محاربة الامية والسياسية التعلمية في المغرب، تحقق تراجع في معدل انتشار الامية بحدود الربع، لتصبح نسبة معدل انتشار الأمية في المغرب بناء على في صفوف السكان البالغ عمرهم عشرة سنوات 32.2 %[127]؛ تشكل منها نسبة الامية في صفوف الذكور 22.2% فقط، بينما تتضاعف هذه النسبة في صفوف الاناث 42.1 % أمية، وهذا له دلالته السوسيولوجية والثقافية. ومن المرجح حسب برامج محاربة الامية، وسياسة التعليم في المغرب، أن تكون وضعية انتشار معدل الامية في المغرب أصبحت أقل انتشارا اليوم، على ضوء مرور عقد إلا سنة على نتائج إحصاء 2014. وهذا هو المرتقب أن يكشفه إحصاء العام للسكان والسكنى المرتقب سنة 2024.

ترخي الأمية سدولها وظلالها على جميع مفاصل الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ واليوم ما مؤشرات انتشار الأمية في أعضاء مجالس الجماعات التربية، سوى تجلي من تجليات لأزمة الامية وحيثياتها في المجتمع المغربي. وهذه صورة مصغرة من واقع اجتماعي وسياسي تفعل فيه الامية فعلها. وعليه، نحاول في هذه الدراسة أن نتتبع شأن الأمية بمقاربتها الحديثة وانتشارها في "النخبة المحلية" أي النخبة المنتخبة التي تدير تدبير الشأن المحلي- بمجالس بعض الجماعات في تراب إقليم سيدي قاسم، وذلك من خلال متغير المستوى الدراسي للمنتخبين الذين انتخبوا عقب نتائج اقتراع 08 غشت 2021. ومن الجدير بالإشارة سنتحفظ على استخدام مصطلح النخبة[128]، لنعوضه بمصطلح "المنتخبين" وفقط، لأن استخدام مفهوم النخبة قد يوهم بحقيقة غير موجودة، أو بأصح العبارة قد يغلف مفهوم النخبة حقيقة ما تعاني مجالس الجماعات التربية من واقع انتشار الأمية ومحدودية الكفايات الضرورية للتدبير التنموي. إن هذه الدراسة تسعى أن تكشف القطيعة والإستمرارية في انتخاب منتخبين ورؤساء جماعة غير قادرين على فعل القراءة والكتابة والحساب وفهم نص أو مراسلة قصيرة. فهل فعلا تستجيب بنية المستوى الدراسي لأعضاء مجالس جماعات كل من الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة الحالية بإقليم سيدي قاسم لمطالب التنمية الترابية والتدبير من حيث بعد المستوى الدراسي للمنتخبين؟

أولا: المتصل بين جماعات الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة

1- الخصائص المجالية المشتركة بين الجماعات

أ- تعريف بالجماعات التربية: الحدود، نوع الجماعة، عدد السكان والاسر

حسب التصنيف الترابي المعمول به[129]؛ تعد جماعة جرف الملحة بلدية (28671 نسمة و5888 أسرة)[130]، من أصل خمسة بلديات في إقليم سيدي قاسم، وتحتل المرتبة الثالثة في عدد السكان والاسر، بعد مدينة سيدي قاسم ومشرع بلقصيري. بينما جماعة الخنيشات هي جماعة ترابية قروية تتضمن مركز قروي مأهول بالسكان يضم أزيد من 43 بالمئة من ساكنة الجماعة (23707 نسمة و4682 أسرة)[131]. في حين تعد كل جماعتي توغيلت ولمرابيح من مجموعة الجماعات ذات

---

[126] على موقع المندوبية السامية للتخطيط: RGPH2004 للمزيد حول الإحصاءات راجع الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004(https://applications-web.hcp.ma/hpmc/frmmarocenchiffres.aspx

[127] على موقع المندوبية السامية للتخطيط: RGPH2014 للمزيد حول الإحصاءات راجع الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014(http://rgphentableaux.hcp.ma/Default1/

[128] يدل مفهوم النخبة على فئة اجتماعية، تشكلت في اطار" عملية إنتقاء_ربما تكون طبيعية أو إجتماعية أو ثقافية_ تتمايز من خلال قلة من الناس على الكثرة" للمزيد أنظر: طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، المرجع السابق، ص 667.

[129] للمزيد حول خصائص الجماعات الترابية أنظر: مونوغرافية إقليم سيدي قاسم، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية لجهة الرباط سلا القنيطرة، (2016).

[130] RGPH2014(نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى2014(

[131] RGPH2014(نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى2014(

الخصائص القروية (جماعة توغيلت14764 نسمة و2589 أسرة/ جماعة لمرابيح 20461 نسمة و3878 أسرة) [132]. هي إذا أربعة جماعة من مجموع عدد الجماعة التي تنتمي لإقليم سيدي قاسم، التي تشكل ساكنتها أزيد من 16 بالمئة مجموع عدد سكان الإقليم (522070 نسمة)[133]. أكثر من 67 في المئة من ساكنة الإقليم تسكن في القرى والدواوير. وحول التتبع الإداري، تعد كل من جماعة الخنيشات وجماعة توغيلت ولمرابيح ضمن دائرة ورغة، عمالة إقليم سيدي قاسم. ما يعني هذا أن بصدد شأن تنموي يخص إقليم سيدي قاسم من خلال المدخل الإقليمي، أما من خلال المدخل الجهوي فنحن برحاب جهة الرباط سلا القنيطرة.

جريطة1: توطين الجماعات الأربعة المدروسة

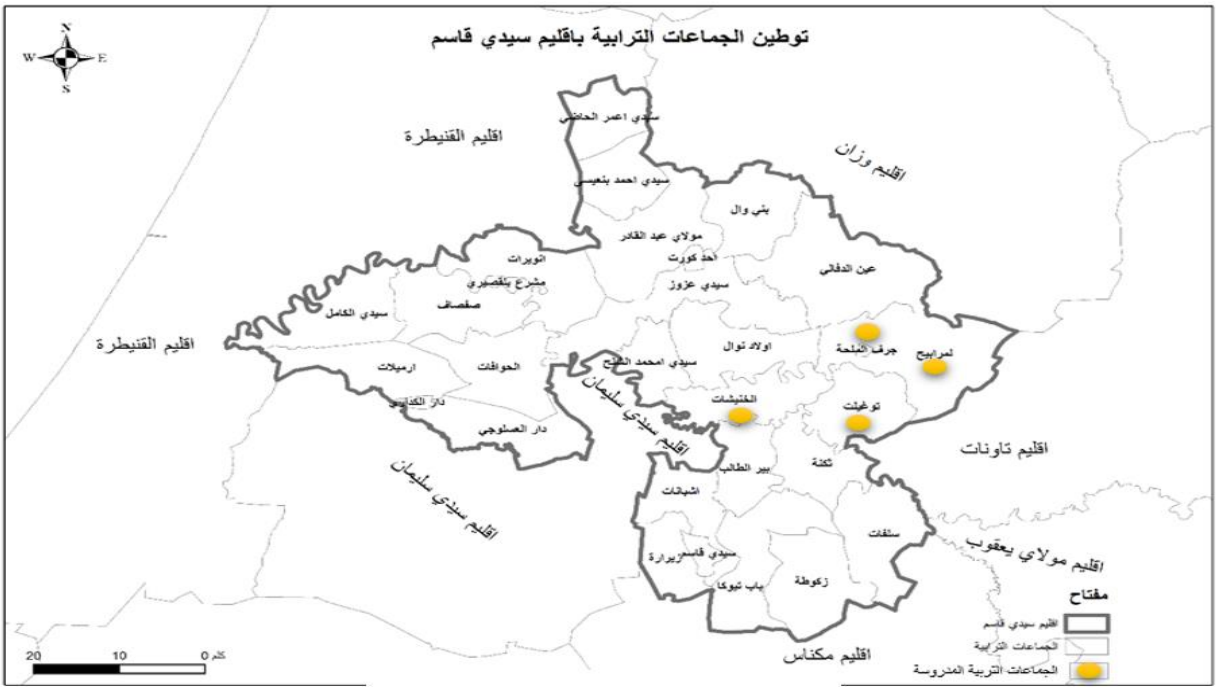

اعداد الباحث، المصدر التقسيم الترابي2015

ب- المشترك الجغرافي والثقافي والترابي بين الجماعات

لم يأت اختيار عينة جماعة الخنيشات وجماعة توغيلت ولمرابيح وجرف الملحة من خلفية اختيار اعتباطي، فقد تم ذلك على أساس عدة اعتبارات، فعلاوة على المتصل الترابي والإداري بين الجماعات، هناك متصل طبيعي وثقافي. فهناك عدة روابط جغرافية وثقافية بين الجماعات الأربعة، حيث يتوجدون في نفس المجال الجغرافي الخصب؛ منطقة الغرب، ويتقاسمون نفس خصائصه المناخية والتضاريسية[134] والتخصص الإنتاجي العام المتعلق بالنشاط الفلاحي، وما يفصل بين الجماعات سوى الحدود الإدارية؛ الطبيعية، كواد ورغة الذي يفصل بين جماعة توغيلت ولمرابيح، أو حدود مصطنعة كالطريق الإقليمي ونحوها من طرق ترابية كالتي تفصل بين حدود جماعة توغيلت وجماعة الخنيشات. حيث هذه الطرق تربط بين الجماعات الأربعة، وتربطها بمحيطها الجهوي، وفيما يفصل بين جماعة لمربيح وجماعة جرف الملحة حدود التصميم الحضري لمدينة جرف الملحة التي يحيط بها تراب جماعة لمرابيح من جميع الجوانب. من خلال حساب المسافة ما

[132] RGPH2014(نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى2014)
[133] RGPH2014(نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى2014)
[134] للمزيد حول ذلك أنظر مونوغرافية إقليم سيدي قاسم، المرجع السابق.

بين مراكز الجماعات الترابية الاربع؛ نجد لا يبعد مركز مدينة جرف الملحة عن المركز الخنيشات مسافة تتجاوز حوالي 20كلم، في حين لا يبعد مركز مدينة جرف الملحة عن مقر جماعة توغيلت وجماعة لمرابح سوى 6 كلم.

ومن أوجه قوة المتصل بين ساكنة هذه الجماعات التاريخ المشترك، فيتقاسمون ومعهم الجماعة المتاخمة لها نفس الثقافة التي ترجع للمكون القبلي المنتشر في المنطقة المتعلق ببطون القبائل العربية في المنطقة؛ وهو المكون السفياني-المالكي أي قبائل سفيان وبني مالك[135]؛ حيث جدور ساكنة دواوير لمرابيح تنتمي لسفيان الشرقية، بينما ساكنة دواوير جماعة الخنيشات وتوغيلت تنتمي لبني مالك. في هذا الامتداد نفس اللهجة واللغة والعادات والتقاليد، ونفس خصائص الإشكاليات المجالية مع تسجيل تفاوت التنموي بين المركز ومحيطه. إذا، يتجاوز المتصل بين الجماعات الأربع؛ المتصل المكاني والحدودي والقرب النسبي بين مراكز الجماعات، إذ هناك متصل سوسيولوجي وتاريخي بين الساكنة، ومن تجلياته، تجد الامتداد العائلي، والعلائقي بين سكان هذه الجماعات متشابكا بفعل عوامل عدة من بينها، عامل الهجرة، والمصاهرة، والمصالح الاقتصادية المتناثرة في منطقة هناك...إلخ. وتأتي أهمية ذكر المتصل فيما بين هذه الجماعات، أن هذا النوع من المتصل أرخى بضلاله على المشهد السياسي المحلي عبر عمليات التكتل والاصطفاف في وشج التحالفات وفق مصالح النفوذ العائلي والاجتماعي والاقتصادي. مما كان له خلال العقود والسنوات الماضية آثارا وتبيعات على واقع المشهد السياسي المحلي، منذ ما قبل 1992 لليوم. ومن الجدير بالإشارة، تعد سنة 1992 سنة احداث مجموعة من الجماعات الترابية الجديدة بالتراب المغربي وقتئذ، من بينها جماعة توغيلت ولمرابيح وارتقاء بجماعة جرف الملحة لمدينة.. وغيرها.

2- الجماعات الأربع: مشهد إشكالي تنموي واحد مع اختلاف الحدة والتفاصيل

أ- تحليل التشخيص العام[136]

تتشابك كل من جماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة على أكثر من صعيد. ومن الملاحظ في هذا الامتداد الترابي؛ انتقال صدى الإشكالات التنموية والفعل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، وتردده في جميع تراب هذه الجماعات؛ نظرا لطبيعة المتصلات بين المكونات الترابية لهذه الجماعات. قبل أن ندلف إلى إعطاء لمحة عن إشكالية التنمية في تراب هذه الجماعات الترابية، لا بد من الإشارة، أن استمرار بعض الإشكالات المتعلقة ببعض الخدمات الاجتماعية الأساسية شيء غير مبرر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد تحققت بعض المكتسبات التنموية المهمة تتعلق بالخدمات الاساسية، لكن ما يزال عدة أعطاب تصيبها في دواوير وأحياء التي وصلتها الاستفادة من تلك الخدمات وبالخصوص خدمات القرب. ويمكن تسجيل جملة من الملاحظات الميدانية في بعض جوانب تلك الخدمات الأساسية التي تعد من أساسات التنمية الترابية، على سبيل المثال لا الحصر؛ تجد جملة من إشكالية النقص في الخدمات الأساسية والنوعية في تراب هذه الجماعات الترابية. فالواقع في الشأن التنموي بتراب الجماعات الأربعة منذ ما قبل الاستقلال لليوم، هو النقص على جميع أنواع الخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية، ويلازم ذلك النقص المتفاوت بين الجماعات، عدم التوزيع العادل للخدمات المتاحة بين مكونات جسم الترابي لهذه الجماعات؛ حيث قد تجد جوانب من المشهد الترابي(أحياء، دواوير) تتوفر على علامة كاملة من الخدمات(الكهرباء والماء الشروب، والصرف الصحي، والانارة العمومية، والطرق والمسالك المجهزة) بينما دواوير وأحياء في نفس الجماعة غارقة في متاهات النقص والحيف الذي تتعرض له من جراء التهميش، لحساب زيادة خدمات أخرى تتعلق بالمركز الجماعي أو تدعيم الاحياء المجهزة بتأهيل ثاني، وثالث في حين تبقى

---

135 للمزيد المكون القبلي المنشر في منطقة الغرب أنظر: المصطفى البوعناني، الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية والمعطيات الظرفية والطبيعية من أواخر القرن 6ه/12م إلى أواخر القرن 13ه/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5- 6/ 2007-2008.

136 كل النقط المدرجة في هذا التشخيص مستخلصة من خلال المعاينة الميدانية وملاحظات الزيارات لبعض الوحدات الترابية بتراب الجماعات؛ مع تتبع ما ينشر المجتمع المدني وما يتحدث عنه في المنابر الإعلامية، وما يكتب في المواقع والجرائد الالكترونية المحلية والجهوية؛ والاطلاع على دراسة نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى- خصائص ظروف السكن المتعلقة بالجماعات الأربعة لسنة 2014م، والاستماع لبعض أشخاص المحسوبين عن المجتمع المدني المحلي.

الساكنة المهمشة، مهمشة في أحيائها ودواويرها؛ فحتى الانارة العمومية أحيانا لا تستجيب لمطالب الساكنة، أم خدمة الماء الشروب، وخدمة البنية التحتية المرتبطة بالحد من التلوث المياه المستعملة والنفايات، وطرق ومسالك الرابط بين شوارع الدوار أو الحي فهي من الأمور التي لم يحدث فيها التقدم المطلوب ببعض التجمعات السكانية بتراب هذه الجماعات منذ تأسيسها، وما يزال الوضع على ما هو عليه لليوم. في إطار هذا الوصف العام، نقف عند بعض المؤشرات التي تستنطق الشأن التنموي للجماعات الأربع من خلال مؤشرات تتعلق بالخدمات الاجتماعية الأساسية وبعض التجهيزات.

جدول رقم 1: لمحة عن بعض المؤشرات المتعلقة بالبنية التحتية الأساسية

بعض مؤشرات الحيوية	الجماعات التربية الاربعة				
	الخنيشات		توغيلت	لمرابيح	جرف الملحة
	مركز	الجماعة			
عدد الاسر	2193	2489	2589	3878	5888
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الماء الصالح للشرب	89.01	42.07	16.49	4.02	96.63
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الكهرباء	94.94	87.75	93.59	88.86	97.91
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة عمومية لتصريف المياه المستعملة	83.36	1.08	1.27	0.67	93.12

اعداد الباحث، المصدر: RGPH2014

ب- إستمرارية التعثر بالنهوض بأوضاع التنمية[137]

- في جماعة الخنيشات:

نجد عدة إشكاليات في جماعة الخنيشات، من بينها ما طفح مؤخرا، حيث تفجرت فيها شهات القفز على ملكيات الجماعة العقارية في الخنيشات-المركز؛ ففي هذا المركز الذي لم تجرده سنوات التدخل التنموي من تحقيق مركز يستجيب لمطالب الساكنة المتعلقة ومحيطها بتجويد الخدمات وتحقيق خدمات نوعية تستجيب للساكنة المركز والمحيط الجماعي، والدفع بسلسلة تحول المركز نحو أفق حضري معتبرا؛ يعود على الساكنة والمنطقة بفتح اقتصادي وترابي يسد مسد نزوح الهجروي من المركز نحو المدن الصاعدة القريبة والبعيدة. من عنق زجاجة هذا المركز تنفجر الشهات العقارية بقلب المركز الذي يعد من أقدم المراكز القروية في المنطقة، الذي لم يعرف تطورا نوعيا وكميا، كما عرفته مجالات ترابية بالقرب منه(جرف الملحة). فمركز الخنيشات لليوم على صفيح ساخن على ضوء قضايا تتعلق بالملكية العقارية وتدبير أملاك الجماعة والشأن التنموي المتهمين؛ فاعلون منتخبون. هذه القضية التي فجرها المجتمع المدني هي أحد القضايا المعبرة عن نوعية الفاعل الترابي. هذا عن المركز.

أما في الشأن القروي في دواوير التابعة لجماعة الخنيشات، فعلى حدود الجماعة من ناحية جماعة توغيلت. هناك دوار أولاد سعيد-الوزاعة على سبيل المثال لا الحصر، يسجل فيه بنية تحتية خارج كل المعقول حيث لا سمح الله وجاءت سنة

[137] كل النقط المدرجة في هذا التشخيص مستخلصة من خلال المعاينة الميدانية وملاحظات الزيارات لبعض الوحدات الترابية بكل من جماعة الخنيشات، وجماعة توغيلت، وجماعة لمرابيح وجماعة جرف الملحة؛ مع تتبع ما ينشر المجتمع المدني وما يتحدث عنه في المنابر الإعلامية، وما يكتب في المواقع والجرائد الالكترونية المحلية والجهوية؛ والاطلاع على دراسة نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى- خصائص ظروف السكن المتعلقة بالجماعات الأربعة لسنة 2014م. والاستماع لبعض أشخاص المحسوبين على المجتمع المدني المحلي. وما جمعنا من روايات شفوية تتعلق بتدبير المراحل السابقة والحالية.

مطيرة؛ فهذا الدوار كباقي مجموعة من الدواوير التي تحاصرها مياه السيول القادمة من تلال بلاد الترس، ومياه الأمطار بالدوار، نظرا لاختلال البنية التحتية ما بين الشارع والمنازل من جهة، ومن جهة غياب خدمة تصريف مياه الشتاء...إلخ.

- في جماعة توغيلت:

نجد في تراب هذه الجماعة المغمورة، إشكاليات ربما هي الأكثر تعقيدا معبرة عن حقيقة عن غياب بعض الخدمات الأساسية، وعن التوزيع غير العادل لمقدرات الجماعة، الدالة على سياسية الفاعلين المنتخبين التي دلفت إليها المجالس المتعاقبة لليوم. ولا أدل على نوعية الفاعلين السياسيين المتعاقبين على تدبير شأن هذه الجماعة؛ قصة عدم استفادة جماعة توغيلت من الدعم المالي والتجهيزي الممنوح من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. ففي بداية المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، كانت هناك لجنة إدارية تستقصي أوضاع الجماعات الترابية، لكي تحدد الجماعات الترابية التي ستستفيد من المنح والدعم المالي، والاهداف التنموية المبرمجة لصالح الجماعات...إلخ. من المعلوم كانت بداية انطلاق المبادرة عام 2005. وصلت احدى اللجان المتعلقة بالمبادرة التنمية البشرية، لمقر جماعة توغيلت وطلب من المسؤولين على اعلان بداية لقاء مع بعض أفراد الساكنة من أجل استقصاء أحوالهم المعيشية والترابية والتنموية، فما كان من المجلس المسير للجماعة إلا أن يضع خططه في هذا الصدد مسبقا، حيث كان منه، أن استدعى بعض الوجهاء عن سابق إصرار وترصد، فاستدعى لذلك فقط بعض الفلاحين والتجار الذين يمكن اعتبارهم بالمقارنة مع باقي أفراد الساكنة _الفقيرة_ هم الأغنياء. فبدأ اللقاء حسب كما هو معروف في اللقاءات إلى أن تم الوصول إلى الأسئلة النوعية المتعلقة بالرصد والاستقصاء، وتم خلال ذلك اللقاء، التساؤل لجينة المبادرة عن ممتلكات من يجرون معهم المقابلة: فهذا يعدد ممتلكاته الفلاحية وأدوات المكننة، والآخر يعدد رأسماله من خلال شاحناته، وذلك يعدد حجم ملكيته العقارية، وغيره يعدد رأسمال تجارته وحجم مردوديتها... إلخ. يبدو أن أحد رجال اللجنة أسر بالقول لزملائه_ حسب عهدة الرواية التي رويت لنا_ "هذوا هما خصهم يساهموا مع المبادرة". لم يكن استدعاء أولئك الافراد من الساكنة اعتباطيا من قبل الجهاز الجماعي، فقط كان جد مدروس اعتقادا من الفاعلين المنتخبين أن أصحاب المبادرة أي اللجنة سيوزعون ريعا ما. وعلى طرافة هذه الواقعة، كانت للأسف الشديد وراء عدم استفادة جماعة توغيلت من برامج الدعم المالي والتجهيز والانعاش السوسيواقتصادي التي استفادت منها جل الجماعات التربية بإقليم سيدي قاسم، ما عدا جماعة توغيلت "الغنية" في تقرير اللجنة، والفقيرة تنمويا واقتصاديا في واقع الامر. وبذاك فوتت على الجماعة إيرادات مالية وتجهيزات كمية ونوعية كانت من الموكد أن يكون لها الوقع الإيجابي بدفع عجلة التنمية المحلية والترابية على صعيد الجماعة. تم ادراك الامر خلال المجلس السابق، وبدأت تستفيد الجماعة من بعض المنح والدعم من قبل قسم المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في العمالة. وربما أول الاستفادة من المبادرة؛ اقتناء سيارة اسعاف التي لم تكن في حوزة الجماعة "الغنية". أما فيما يخص واقع توزيع الخدمات الأساسية وحالة الغياب المسجلة فيمكن الإحالة لأكبر دوار في الجماعة وهو دوار أولاد لحمر الذي يعد أكبر دوار معبرا عن غياب البنية التحتية التي تجعل أكبر دوار في الجماعة يغرق في الوحل والمياه المستعملة في أول زخة مطر، لليوم ما يزال الوضع مستمرا.

- في جماعة لمرابيح:

تعد إمكانيات الموارد المادية لجماعة لمرابيح بالمقارنة مع جماعة توغيلت هي الأقوى والأهم[138] من حيث موارد الميزانية، حيث تنعش ميزانية هذه الجماعة مداخل مجموعة من شركات مقالع الرمال التي هي من بين مقالع الرمال المهمة على ضفاف واد ورغة في تراب المنطقة. ومن الإشكالات التي تتفجر خلال السنوات حول مقالع الرمال هناك، عدة اتهامات تتعلق بالنهب

[138] للمزيد حول ميزانيات جماعة توغيلت ولمرابيح وتطوراتها أنظر: أحمد الغزوي، اعداد المجال والتنمية الترابية بالوسط القروي: حالة جماعتي المرابيح وتوغيلت بإقليم سيدي قاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل-القنيطرة 2015، ص 258-261.

والفوضى وإلحاق أضرار بالبيئة التي عرت عنها مقالات نشرت في الجرائد خلال السنوات الماضية[139]، ومن جهة أخرى، برغم من توفر جماعة لمرابيح على مجموعة من المؤهلات الطبيعية والاقتصادية، لم تحصل فيها عملية تراكم للتدخل في شأن الخدمات بشكل يستجيب لمطالب الساكنة، أو لتكون هذه الجماعة في مصافي الجماعات الترابية التي خرجت من عنق زجاجة الخدمات الاجتماعية الأساسية؛ وبالخصوص خدمة الماء الشروب، فالجماعة ما تزال فيها بعض الدواوير تعاني من غياب خدمة الماء الشروب، وهذا ما جعل مجموعة من الفعلين المحليين في مواقع التواصل للتعبير وطلب السلطات من أجل التدخل لتزيد بعض الدواوير بخدمة الماء الشروب، ومن بين الدواوير التي تشتكي وتعاني من غياب هذه الخدمة كما هي معبر عنها عند في بعض المواقع والصفحات لبعض أعضاء هيئة المجتمع المدني-المحلي، نجد دوار زناتة ودوار زعنون وعين الحمرة، وغيرها من الدواوير التي تقصد ساكنتها "عين قلالات" من أجل التزود بالماء.

- في جماعة جرف الملحة:

في هذه المدينة الصاعدة على صعيد إقليم سيدي قاسم، لم تخرج هذه المدينة من تسجيل جوانب من النقص في التجهيز الحضري الأساسي لبعض المناطق المأهولة بالسكان والتي تدخل ضمن نطاق التصميم الحضري لمدينة جرف الملحة، الأمر الذي يتعلق بالتجمع السكني الكدادرة اجميعات، واولاد هشوم اللذين في أمس الحاجة للهيكلة وفق تأهيل الحضري. ونركز على الرقعة الجغرافية التي عليها ساكنة دوار كدادرة اجميعات، والتي يقدر عدد ساكنتها 1915 نسمة، هذه الساكنة ما يزال مشهدها المجالي، قروي بحث، فما تزال هذه الساكنة لا تتوفر على أهم الخدمات الأساسية كالطرق المعبدة والمسالك وخدمة النظافة، وخدمة الصرف الصحي...إلخ. وعليه، فيمكن اعتبار هذه الوحدة الترابية جزء مهم من إشكالية المدينة بجرف الملحة، حيث تتطلب تدخلا خاصة من أجل إعادة تأهيل مجالها الترابي. ومن المعلوم يعرف دوار كدادرة مجموعة من الإشكالات التي من بينها ما يرتبط بالبنية العقارية والتنازع حولها فيما بين ذوي الحقوق، من جهة، ومن جهة أخرى التوسع العمراني الذي عرفه الدوار وتعارضه مع التخطيط الحضري لمدينة جرف الملحة. إن دوار كدادرة، له وضع خاص في المجال الترابي لمدينة جرف الملحة، وكان على الفاعل التنموي أن يراعي المعطيات المجالية والسوسيولوجية أثناء التدخل لاعادة هيكلة الدوار في السابق حتى يكون في الممكن انجاز إعادة هيكلة تستجيب لما هو عليه الدوار. لكن عدم فهم حقيقة البينة الاجتماعية من قبل الفاعلين في علاقتها بسلسلة التحولات القروية المرتبطة بالدوار الكدادرة من قبل الفاعلين ترك الدوار في اللاهيكلة، وهذا ما يزيد من عمق إشكالات في دواليب هذه الوحدة من جسم مدينة جرف الملحة ونحوها.

ثانيا: خصائص المستوى الدراسي للمنتخبين بالجماعات الترابية الأربعة و أبعادها

إن ما عرضنا له في المحور السابق، يقدم جزء من إشكالية التنمية في بعدها المجالي والترابي والتدبيري، وبالخصوص في بعض جوانب الخدمات والتجهيزات. ولا يمكن أن نعزل هذا الواقع الاستشكالي عن نوعية الفاعلين السياسيين المتعاقبين عن تدبير الشأن المحلي للجماعات الأربع حيث منهم من تغلغل في تاريخ تدبير هذه الجماعات. وهذا ما يدفع دفعا نحو استقصاء عن المستوى الدراسي للمجالس المنتخبة الحالية؛ فبأي شكل من الأشكال، لا يمكن الحديث عن قضية التنمية الترابية في المجال الترابي المحلي للجماعات الأربع بعيدا عن الحديث عن المستوى الدراسي للمنتخبين؛ فهم الذين يدبرون شأن الجماعات الأربعة. ومعلوم في أدبيات التدبير والعلوم المجالية والتنموية، أن التنمية مرتبطة بفاعلين، وعلى رأسهم الفاعل المنتخب، فهل فعلا تجاوز المشهد الانتخابي المحلي للجماعات الأربع على ضوء نتائج الانتخابات المحلية الاخيرة، انتخاب مترشحين تقليدانيين[140]؛ أي تم تجاوز انتخاب أعضاء هم مجرد أعضاء بدون مستوى دراسي كمي ونوعي يستجيبوا

[139] أنظر مقال على جريدة هسبريس الإلكترونية على الرابط الأتي: https://cutt.us/28RBR

[140] من المعلوم في الشأن المغربي أن بعض المحسوبين على النخبة المحلية المنتخبة هم مجرد عناصر" كانوا ولازالوا في الاغلب الاعم مجرد أشخاص لهم مصالح ومآرب شخصية ضيقة في مناصب سياسية بدرجة رؤساء مصالح الجماعات الترابية أو مستشارين

لمتطلبات التسيير والتدبير والقوة الاقتراحية في صناعة القرار، وبلورة مشاريع التنمية على صعيد الجماعات الترابية، حيث لا يمكن تحقيق تقدم تنموي بدون تنمويين. إن عرض المستوى الدراسي لأعضاء المجالس الأربعة ومقارنتها من شأنه أن يكشف النقاب عن عدة نقط من بينها: هل فعلا يعد نوعية المنتخبين _الحاليين_ من نقط القوة المكتسبة في المجال الترابي للجماعات الأربعة أم من نقاط ضعفها؟ وديناميةالتحول والانتقال من المنتخبين التقليدين إلى المنتخبين نوعيين؟ وغيرها من النقط التي تكشف المشهد العام للحزبية وممثليها في المجالات العميقة والمغمورة؛ فلنلقي نظرة على مؤشرات المستوى الدراسي للأعضاء المنتخبين في المجالس الترابية الخاصة بجماعات الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة.

1- المستوى الدراسي لأعضاء المجالس الترابية الأربع ومقارنة النتائج

في متن هذا المبحث سنقدم مجموعة من المعطيات المتعلقة بالمستوى الدراسي. وذلك استنادا على المعطيات الموجودة في موقع بوابة الانتخابات[141] المتعلقة بنتائج الانتخابات الجماعية الاخيرة التي كانت في 08 غشت 2021. بالعودة إلى هذه النتائج نجد المعطيات الاتية حسب كل جماعة على حدة.

أ- المستوى الدراسي لأعضاء المجالس الترابية الأربع

- جماعة الخنيشات

جدول رقم 2: المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعي الخنيشات

جماعة الخيشات		
المستويات الدراسية	**نسبة المنتخبين من لهم شواهد(%)**	**المستوى الدراسي لرئيس الجماعة**
شهادة التعليم العالي	**28.57**	**حاصل على شهادة من المستوى الإعدادي**
شهادة التعليم الثانوي	**35.71**	
شهادة التعليم الابتدائي	**28.57**	
بدون مستوى دراسي	**7.14**	

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

كما هو واضح من خلال المعطيات في الجدول أعلاه:ما يمثل 36 ب% من المنتخبين لم يتجاوز مستواهم الدراسي المستوى الابتدائي؛ في حين من لم يتجاوز مستواه الدراسي المستوى الثانوي للمنتخبين ب 36%؛ بينما ممن حصلوا على شهادة التعليم العالي بدواليب المجلس الجماعي للخنيشات نجد فقط 29 ب%.

لا أكثر ولا أقل" للمزيد حول شأن إشكالية النخبة المحلية أنظر: عماد أبركان، حكامة المدن بالمغرب بين إشكالية النخبة السياسية ورهانات التنمية الترابية، مجلة مسالك في الفكر والسياسة والاقتصاد، عدد 47-48، المرجع السابق، ص 133.

[141] وزارة الداخليةالمملكة المغربية. تم الاطلاع على النتائج في شهر http://www.elections.ma/ على بوابة الموقع الرسمي 26/11/2022

مبيان 1: توزيع نسب الشواهد الدراسية للمجلس الجماعي الخنيشات

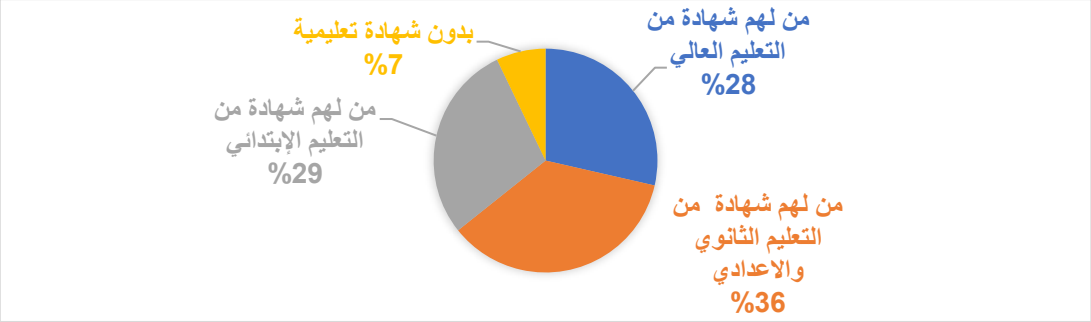

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- الجماعة الترابية: توغيلت:

جدول رقم 3: المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعي توغيلت

جماعة توغيلت		
المستويات الدراسية	نسبة المنتخبين من لهم شواهد(%)	المستوى الدراسي لرئيس الجماعة
شهادة التعليم العالي	15	حاصل على شهادة من المستوى الإبتدائي
شهادة التعليم الثانوي	40	
شهادة التعليم الابتدائي	25	
بدون مستوى دراسي	20	

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

في جماعة توغيلت كما هو واضح من خلال المعطيات أعلاه: ما يمثل 45 ب% من المنتخبين لم يتجاوز مستواهم الدراسي المستوى الابتدائي؛ في حين حوالي 40 ب% من لم يتجاوز مستواه الدراسي المستوى الثانوي. بينما ممن حصلوا على شهادة التعليم العالي بدواليب المجلس الجماعي بتوغيلت نجد فقط 15ب%.

مبيان 2: توزيع نسب الشواهد الدراسية للمجلس الجماعي توغيلت

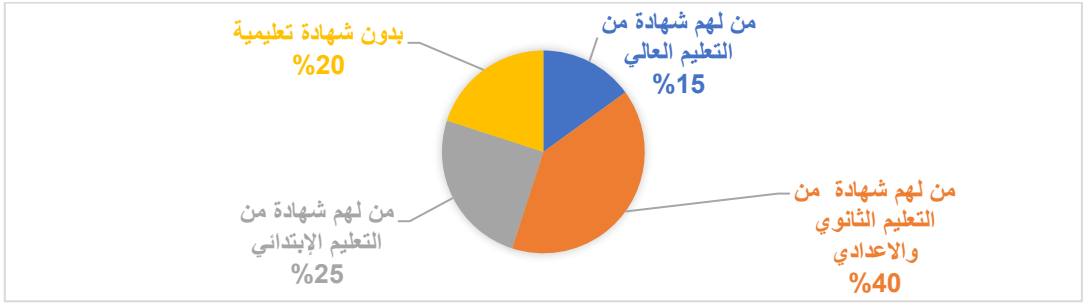

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- الجماعة الترابية: لمرابيح:

جدول رقم 4: المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعي لمرابيح

المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعة

المستويات الدراسية	نسبة المنتخبين من لهم شواهد(%)	المستوى الدراسي لرئيس الجماعة
شهادة التعليم العالي	10.71	حاصل على شهادة من المستوى الإبتدائي
شهادة التعليم الثانوي	35.71	
شهادة التعليم الابتدائي	50	
بدون مستوى دراسي	3.58	

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

وهذه جماعة لمرابيح، كما هو واضح من خلال المعطيات في الجدول السابق: ما يتجاوز 54ب% من المنتخبين في المجلس لم يتجاوز مستواهم الدراسي المستوى الابتدائي؛ في حين 36 ب% من لم يتجاوز مستواهم الدراسي المستوى الثانوي؛ بينما ممن حصلوا على شهادة التعليم العالي بدواليب المجلس الجماعي لمرابيح نجد فقط 11ب%.

مبيان 3: توزيع نسب الشواهد الدراسية للمجلس الجماعي لمر ابيح

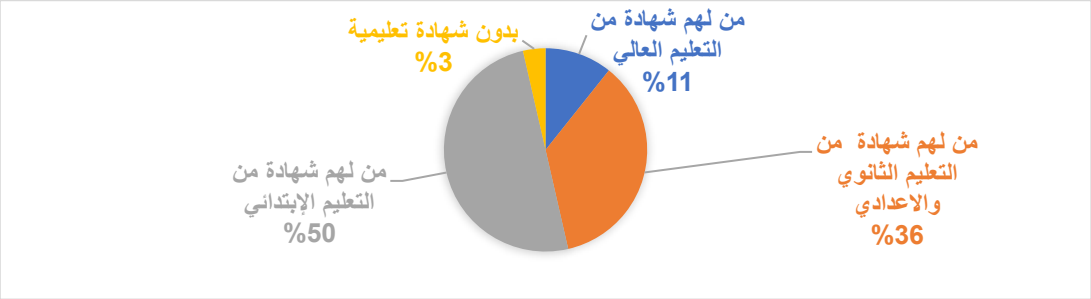

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- الجماعة الترابية: جماعة جرف الملحة:

جدول رقم 5: المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعي جرف الملحة

المستوى الدراسي لأعضاء المجلس الجماعة		
المستويات الدراسية	**نسبة المنتخبين من لهم شواهد(%)**	**المستوى الدراسي لرئيس الجماعة**
شهادة التعليم العالي	**23.33**	**حاصل على شهادة من المستوى الإعدادي**
شهادة التعليم الثانوي	**26.67**	
شهادة التعليم الابتدائي	**46.67**	
بدون مستوى دراسي	**3.33**	

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

وفيما يتعلق بمجلس مدينة جرف الملحة، فكشفت النتائج كما هي في الجدول أعلاه على الاتي: ما يمثل نصف المجلس 50ب% لم يتجاوز مستواهم الدراسي المستوى الابتدائي؛ في حين من لم يتجاوز من مستواهم الدراسي المستوى الثانوي 27 ب%؛ بينما ممن حصلوا على شهادة التعليم العالي بدواليب المجلس الجماعي بجرف الملحة نجد فقط 23 ب%.

مبيان 4: توزيع نسب الشواهد الدراسية للمجلس الجماعي لمرابيح

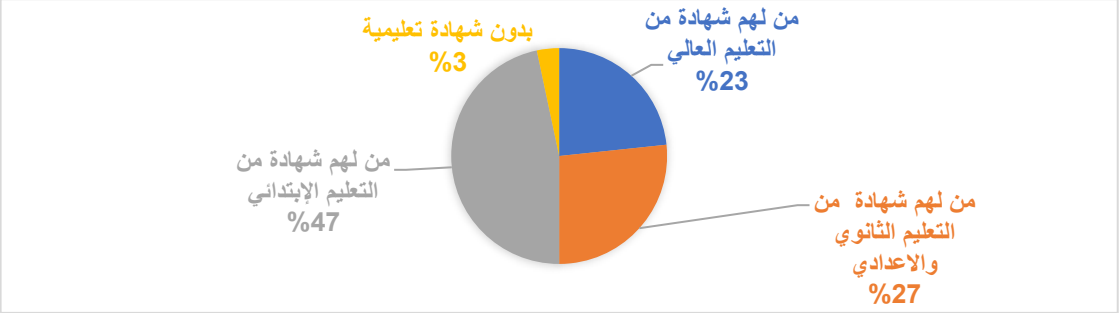

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

ب- مقارنة المستوى الدراسي بين أعضاء المجالس المنتخبة بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة

- مبيان المقارنة بين الجماعات الأربعة

مبيان 5: نسب المستوى الدراسي لأعضاء مجلس الخنشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة

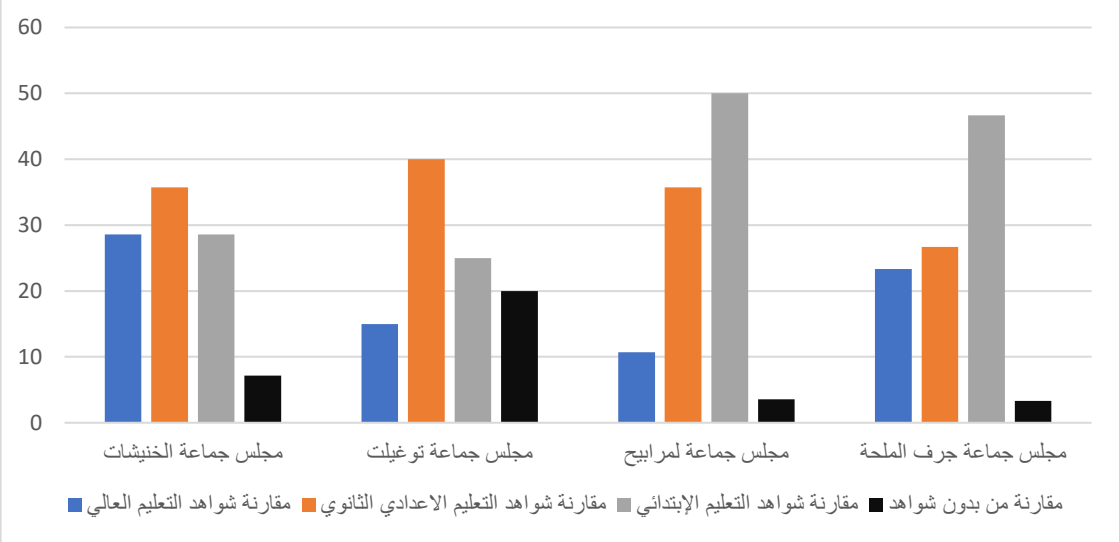

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- مقارنة بين المنتخبون الحاصلون على شواهد التعليم العالي بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة:

مبيان6: تفاوت نسبة الأعضاء في المجالس الجماعية الترابية من لهم شهادة من التعليم العالي

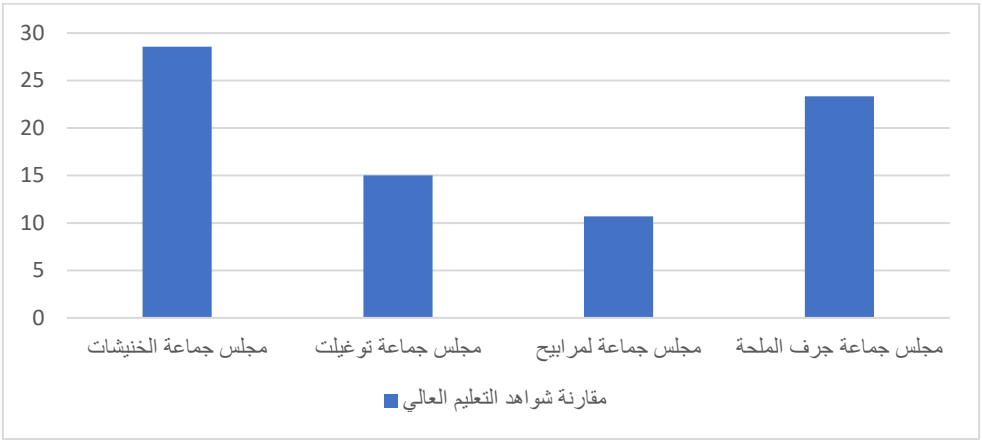

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- مقارنة بين المنتخبون الحاصلون على شواهد التعليم الثانوي-الاعدادي بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة:

مبيان7: تفاوت نسبة الأعضاء في المجالس الجماعية الترابية من لهم شهادة من التعليم الثانوي -الاعدادي

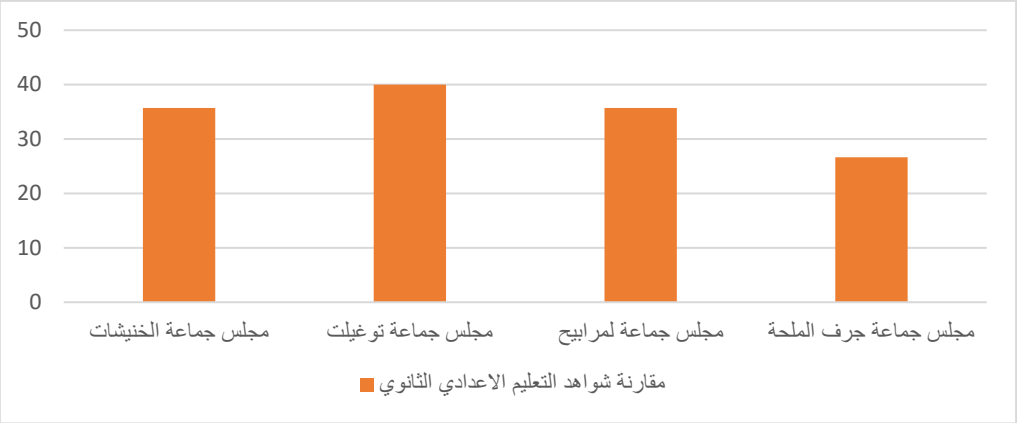

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- مقارنة بين المنتخبون الحاصلون على شواهد التعليم الابتدائي بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة:

مبيان8: تفاوت نسبة الأعضاء في المجالس الجماعية الترابية من لهم شهادة من التعليم الإبتدائي

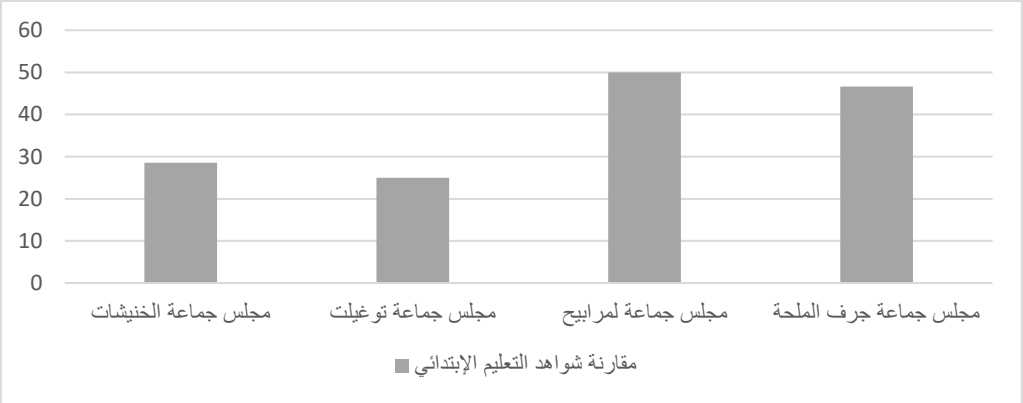

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

- مقارنة بين المنتخبون بدون مستوى دراسي بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة:

مبيان9: تفاوت نسبة الأعضاء في المجالس الجماعية الترابية من لهم شهادة من التعليم الإبتدائي

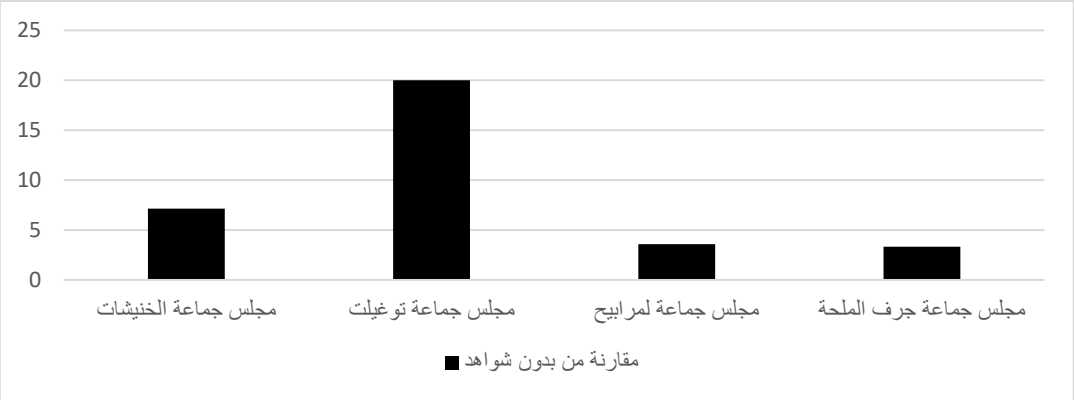

اعداد الباحث، المصدر موقع الانتخابات التابع لوزارة الداخلية

2- قراءة تركيبية للمشهد التنموي المحلي والمستوى الدراسي

يعرف معدل الأمية تفاوتا بين ساكنة الجماعات الأربع[142]، حيث تقترب نسبة أمية السكان البالغين 10 سنوات فأكثر بجماعة الخنيشات حوالي 40ب%، بينما جماعة توغيلت يسجل فيها 46ب%، فيما لمرابيح بلغت حوالي 46ب%، وفي جماعة جرف الملحة تقدر ب 30ب%، هذا الواقع للأمية غذى المجالس الجماعية المنتخبة بأعضاء، يعانون صعوبات حقيقية في القراءة والكتابة وفهم المراسلات والتجاوب السياسي والمجتمعي مع قضية التنمية الترابية والتدبير المحلي في بعده الترابي. مع العلم أن هناك زمرة من الاختصاصات، وعلى رأسها الاختصاصات الذاتية التي هي جزء من كل من الاختصاصات التي سيكون معها المجلس المدبر للجماعة في تفاعل مباشر، حيث تعد الاختصاصات الذاتية من طلائع الأدوار والمهام التي على المنتخبين المكونين للمجالس الجماعة تدبير تفاصيلها المركبة، وتفاصيل تفاصيلها الدقيقة في تنسيق تام بين الفاعلين في تراب الجماعة، وفق محدد الدمقرطة، والمقاربة التشاركية والنوع الاجتماعي، ورؤية المساواة وتكافؤ الفرص، والعين التنموية، والتشاور والحوار مع الساكنة والمجتمع المدني، ومراعاة التحديات والاكراهات الترابية والمجالية والمالية في بعدها المحلي والإقليمي والجهوي، وبرجاحة حس متّقِد يحتاط من الوقوع في تسييس الشأن التنموي، والمتاجرة والسمسرة في توزيع الخدمات الاجتماعية الأساسية، والحيطة من الانزلاق في شبهات توزيع الخدمات دون مراعاة العدالة والفوارق الترابية في ذلك، وأن يكون المنتخب يرتهن للرأي الاستشاري العلمي وليس الارتجالي والانتخابي...إلخ. وهي جملة من محددات العمل التنموي التي على الفاعلين أن يتحلوا بها يمكن تركيزها في مفهوم واحد وهو الحكامة.

إن بناء تصور تنموي عملي أو قل برنامج التنمية الجماعة _بلغة القانون التنظيمي 113.14_ لجماعة ما على ضوء التحولات الترابية والمجالية التي جرت وتجري، وفي ضل خضم تراكم الإشكالات، على ذلك العمل _في تلك الوثيقة_ أن يخرج من مشكاة معرفية متعددة الروافد المعرفية، ومن خلال التشخيص والتحليل الاستراتيجي العميق. والقطع مع التشخيص الصوري أو الشكلي للمجال حيث ما هو يتحكم في حقيقة الأمر؛ طبيعة المصالح لذوي النفوذ في تراب الجماعة، والارتجال والخضوع للضغط الداخلي في الجماعة أو الخارجي على صعيد الإقليم. هذه الممارسات في التدبير قد يمارسها منتخب أمي بالمطلق، كما يمكن أن يمارسها منتخب له شهادات علمية عليا؛ لن تقدم مثل هذه الممارسات جماعة، ولن تجعل من الجماعة رافعة التنمية، بل إنها ستكون آلة مدمرة لمقدرات الجماعة، وشق من شقوق التخلف الذي يزداد فجوة سنة بعد سنة، واستحقاق انتخابي بعد استحقاق حتى يصبح فجا عميقا، يكون قد فعل فعله من شروخ تتطلب مواردا أكثر مما كانت عليه من ذي قبل. وفي هذا السياق، إن الانحصار الاقتصادي لبعض الجماعات الترابية، وعدم الخروج من الفقر المادي والمتعدد الابعاد المتعلق بالساكنة، واستمرارية نزوح تيار الهجرة، والعزوف عن المشاركة في الانتخابات- من خلال الترشح لتدبير الشأن المحلي، والتدهور العام لكل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، كل ذلك

[142] للمزيد نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى متغير الأمية: RGPH2014

من حالة التنمية المعطوبة في الشأن المحلي له علاقة وصلة ومباشرة وغير مباشرة بالمنتخبين، وبممارساتهم في الانتخابات وفي التدبير؛ حيث منزلقات ومطبات استخدام الوسائل غير الشرعية، كشراء الأصوات، والاشتغال على المصالح الضيقة في دواليب التدبير هي طقوس مزمنة في الانتخابات والتدبير المحلي-القروي بشهادة الساكنة والمجتمع المدني وملاحظات المشاريع المنجزة في الميدان. وعليه ما المطلوب؟ إذا، كما للنجاح شروطه غير المادية والمادية، كذلك تحقيق قفزة تنموية في الجماعة الترابية-القروية يتطلب شروط موضوعية لذلك، وأول الشروط فاعلين تنمويين، على رأسهم الفاعل المنتخب، يلزمه أن يكون له الكفايات الأساسية، وتجاوز اخراج مجالس من خلفية تقليدانية[143]، فاعل يكون له الحد الأدنى من "الثقافة" الذي يسمح له بفهم مفهوم التدبير، ومفهوم المقاربة التشاركية، ونظام الجماعة الترابية، مفهوم التنمية الترابية، ومقاربة النوع، والقوانين التنظيمية، ووثيقة برنامج التنمية الجماعة، والاختصاصات-المشتركة؛ المنقولة؛ الذاتية، قانون ميزانية الجماعة، الميزانية الجماعية، وأولويات الجماعة، التشخيص الترابي، المجتمع المدني، الهيئات الاستشارية..إلخ. فهذه المفاهيم وغيرها هي من شيد عليها المشرع المغربي القوانين التنظيمية المتعلقة بالجماعات والمراسيم بتدبيرها، اعتقادا منه على ما يبدو أن الفاعلين الذين سيكونون في سدة التدبير هم بالضرورة، أشخاص لهم الحد الأدنى من المعارف والمؤهلات العلمية والفكرية والثقافية التي تجعله يستوعبوا هذه الإطارات المفاهمية والقانونية والتنموية..إلخ.

قصارى القول، مواكبة التحولات وتحقيق التنمية على صعيد الجماعة الترابية _بالخصوص الجماعات ذات الخصائص القروية_ لا يأتي من خلال القفز في الهواء، والسياسة الاملائية من خارج الجماعة أو من موظف بداخلها، بل تكسب التنمية بخطوات ثابتة، خطوة بخطوة على أرضية التراب المراد تنميته، ومن خلال مجتمعه وأفراده أي من خلال مشاركتهم في الصغيرة والكبيرة، ومن خلال نوعية فاعليه المحليين الذين يجب أن تتوفر فيهم محددات متعلقة بالنزاهة، والمسؤولية، مقترنة بالذكاء وبالثقافة والمعرفة، ورصيد متعلق بالسياسية أو المجتمع المدني، وهنا تكمن مسؤولية الساكنة التي هي المسؤول الأول على ترجيح كفة بعض المترشحين الذين لا يجدون القراءة والكتابة، وقد يكونون معروفين بالسمسرة في مقايضة التصويت بمجلس الجماعة بالرشاوي التي تعبر عن أزمة ما بعدها أزمة، حيث يتأسس مجلس يعبر عن اضمحلال وفساد المشهد السياسي المحلي الذي كلفته تتعدى الجماعة في الزمان والمكان. بل يكون لها تبيعات مستقبلية، جاءت من جزئية التصويت التي قد تؤخر بالكثير ولا تقدم في الجماعة بالشيء الذي يمكن أن يذكر. ومن الجدير بالملاحظة؛ تلمس في الثقافة المنشرة في بعض المجالات اليوم، وبالخصوص في المجال القروي والمتصل بين الجماعات الأربع، استسهال الشأن التنموي والسياسي، وكأن تدبير جماعة وفق سياسة التنمية مسألة معطى، هي شياع لكل من أراد، وكأنها غير مرتبطة بكفايات علمية وثقافية وفنية..إلخ. والأخطر من هذا، أن الفئة المثقفة والمتعلمة عازفة عزوفا عن الشأن السياسي بينما الفئة التي مستواها الدراسي جد محدود أو غير متمدرسة هي من تهرول في المعترك السياسي، وتتسابق لأخذ تزكية الترشح، إلى هذا الدرجة ينحدر المشهد الانتخابي في تفاصيل المشهد السياسي بجماعة الخنيشات وتوغيلت ولمرابيح وجرف الملحة.

[143] في الانتخابات المغربية، يتقاطر على الترشح للانتخابات الجماعية أشخاص لا علاقة لهم بالمطلق بالعمل السياسي أو التنموي_ وبالخصوص في الجماعات ذات الخصائص القروية أو المراكز الحضرية الصغيرة_ هم مجرد أشخاص، لهم "مصالح ومآرب شخصية" في بعض المناصب المرتبطة بالجماعة سواء في تمثيل دوائرهم أو لهم مطامع أكثر تتعلق برئاسة مجلس الجماعة أو احدى اللجان بدواليب الجماعة الترابية. وهذا ما يجعل بعض الجماعات الترابية تئن تحت غياب المطلق "للنخبة السياسية" باعتبارها الجهة الوحيدة التي من شأنها أن تنزل المقتضيات التنموية الدستورية والقانونية؛ وبالتالي يعد سؤال النخبة السياسية من أهم الأسئلة الكاشفة عن إشكاليات ومعيقات التنمية الترابية، للمزيد حول هذا المضمون وإشكالية النخبة ورهانات التنمية الترابية، أنظر: عماد أبركان، حكامة المدن بالمغرب بين إشكالية النخبة السياسية ورهانات التنمية الترابية، مجلة مسالك في الفكر والسياسة والاقتصاد، عدد 47-48، المغرب-2004.

خاتمة

من يدرس الشأن السياسي المحلي في الجماعات الأربعة، سيخلص أن هذه الجماعات، تخضع لنفس البراديغم الذي يحكم خط الممارسة السياسية في الملعب السياسي المحلي؛ والتي هي لم تتجاوز بعد، عامل متغير العائلة الذي يتصارع معه عامل متغير الوجاهة المالية. في حين يبقى عامل الفعل السياسي كخطاب وكإديولوجية، يستند على الحس العلمي والمعرفي والثقافي والنضالي والنقدي مجرد "لغو" غريب عن المشهد السياسي المحلي في اعتبارات وتصور المنتخبين المحليين ومريديهم الذين يشكلون معا مقاومة لأي تغيير محلي في الشأن السياسي المحلي. وهذا ما يجعل مشهد المشاركة في التخطيط الترابي، وبناء تصورات وبرامج التنمية، وإعداد مشاريع التنمية في اطار جماعة الخنيشات، وتوغيلت ولمرابيح، وجرف الملحة من منظور مفهوم التنمية الترابية، ومقاربات التنمية الجديدة، وفق محددات الشأن المحلي والمقاربة التشاركية ومستجدات التدبير غير حاضرة _ولو حضرت فهي صورية_ نظرا لإعتمال الأمية بمفهومها الواسع، حيث تتحكم نوعية الأمية في بعض أعضاء المجالس الذين يقررون في القرار التنموي المحلي، وذلك لا مفر منه لأن المنتخبين الذين يعانون من إشكالات تتعلق بالأمية متعددة الأبعاد؛ هم في حقيقة الأمر يحتلون مواقع حيوية في مفاصل الجماعات؛ كتقلد منصب رئاسة الجماعة، واللجان...إلخ. وهذا ما يزيد من عمق إشكالات التواصل والحوار مع المنتخبين قد تجد منهم من لا يستطيع أن ينبس بكلمة "تنمية" لأنه يجهل مضامينها ورافدها بحكم المستوى الدراسي ومحدودية ثقافته؛ نوعية هذا الفاعل مستمرة بدواليب مجالس الجماعات الأربعة؛ وعليه، نوعية بعض المنتخبين اليوم، هي نفسها أو نسخة طبقة الاصل لمن كان عليه المجالس السابقة في الماضي، فإنتشار الأمية ومحدودية المستوى الدراسي في جزء مهم من ثلة أعضاء المنتخبين، أمر واقع، وعليه، فالمشكلة هي مستمرة في المجالس اليوم، فالمنتخبين الذين كانوا في المجالس السابقة لا يستوعبون إشكالات التنمية المحلية، ما يزال هذا الفاعل في نسخة اليوم بحكم مستواه الدراسي؛ بعيد كل البعد عن الفهم الحقيقي لمسألة التنمية الترابية، وهذا راجع إلى بالأساس إلى المستوى المدرسي والتكوين والثقافة وغايته من دخول المعترك السياسي المحلي. بالتوازي مع هذا الاشكال الذي يتربص بتدبير الجماعات الترابية، ما يزال تدني مؤشرات التنمية وبالخصوص غياب ونجاعة التجهيزات التحتية يحاصر عدة وحدات(دواوير وأحياء) من الساكنة، هذا النقص يقوّض حياة الموطنين في تفاصيل عيشهم بمجالهم السكني. السؤال المطروح في هذا الواقع المجالي؛ ماذا عسى رئيس جماعة له شاهدة ابتدائي أو اعدادي أو ثانوي، وبدون رصيد سياسي حزبي أو نقابي أو مجتمع مدني أن يقدم في شأن التدبير التنموي؟ إن وجود مثل هذا الفاعل يكلف البلاد كثيرا: ماديا: ماذا عسى برامج تكوين المنتخبين أن تعمل مع الأمية بمعناه الواسع؟ ومعنويا: كيف يمكن غض الطرف عن حقيقة انتشار الأمية في جسم مجالس الجماعات وما يجتر من مقارنات سلبية على البلاد؟

المراجع

- أحمد الغزوي، اعداد المجال والتنمية الترابية بالوسط القروي: حالة جماعتي المرابيح وتوغيلت بإقليم سيدي قاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل-القنيطرة 2015.
- آمارتيا صن، التنمية حرية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، العدد 303، مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، 2004.
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع (بمساعدة كارين بيردسال، (مع مداخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4(2005).
- أهداف التنمية المستدامة أنظر: موقع الأمم المتحدة على الرابط الأتي: /https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar

- بوابة الموقع الرسمي http://www.elections.ma/ وزارة الداخليةالمملكة المغربية.
- طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة:معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1(2010).
- عماد أبركان، حكامة المدن بالمغرب بين إشكالية النخبة السياسية ورهانات التنمية الترابية، مجلة مسالك في الفكر والسياسة والاقتصاد، عدد 47-48.
- القانون التنظيمي 113.14 المتعلق بالجماعات.
- محمد سبيلا، في تحولات المجتمع المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1(2010).
- المصطفى البوعناني، الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية والمعطيات الظرفية والطبيعية من أواخر القرن 6هـ/12م إلى أواخر القرن 13هـ/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5- 6/ 2007-2008.
- موقع الأمم المتحدة: https://research.un.org/ar/docs/environment/conferences
- موقع المندوبية السامية للتخطيط(الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004(RGPH2004)): https://applications-web.hcp.ma/hpmc/frmmarocenchiffres.aspx
- موقع الوازرة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الوزارة التي عهد إليه عاهل البلاد خلال 2003 التكلف بتنزيل البرنامج الوطني لمحاربة الأمية. للمزيد أنظر: موقع الوزارة الوصية على الرابط الأتي: https://habous.gov.ma/alphabetisation/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AC%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D9%85%D8%AC.html
- موقع اليونسكو: محو الامية، على الرابط التالي: https://ar.unesco.org/themes/literacy
- موقع اليونسكو: محو الامية، على الرابط التالي: https://ar.unesco.org/themes/literacy
- مونوغرافية إقليم سيدي قاسم، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية لجهة الرباط سلا القنيطرة، (2016).
- نادر فرجاني، "التنمية الإنسانية": المفهوم والقياس، المستقبل العربي، العدد 283(2002).

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

دوروسائل الإعلام المحلي في تدبير الأزمات بالمجال القروي
(حالة زلزال الحوز)

Thé rôle of local media in the management of crisis in rural areas(hawze earth quack as a case if study)

خريصي عبد الحكيم
0678835185
khrissifes@gmail.com

ملخص

تعد وسائل الإعلام المحلي من الضرورات الأساس التي يركز عليها المجتمع في نقل الأخبار عبر قارات العالم، لما لها من دور فعال وتأثير ايجابي على البنيات الاجتماعية، إلا أن هناك تأثيرات سلبية عديدة، لهذا من المتطلب إجراء العديد من الدراسات الاجتماعية في هذا المجال للكشف عن أبعاد الظاهرة وتأثيراتها الراهنة والمستقبلية على المستوى المحلي والوطني، ورغم تطور وسائل الإعلام بشكل سريع في مجال الرقمنة، وضع هذا التطور الجديد المجتمع في سياق جديد مما أعطي شكلا آخر للحياة الاجتماعية يتغير معها نمط العيش والعلاقات الاجتماعية والقيم والعادات والأنماط السلوكية استجابة لروح العصر وتماشيا وفق نظمه الخاصة.

لعب الإعلام المحلي دورا كبيرا في واقعة زلزال الحوز الذي انعكس بشكل سلبي على الإنسان الذي دمر كل مبانيه وتركه متشردا، فمن خلال هذا الإعلام ظهرت لنا قوة التماسك والتضامن والتلاحم على المستوى الوطني وأصبحت المجتمعات في حالات الأزمات أسرة واحدة.

الكلمات المفاتيح: الإعلام المحلي- أثر الإعلام المحلي- وسائل الإعلام والاتصال – المجال القروي– زلزال الحوز

Abstract

Local mass media IS considered as an important pellar that societies count on to spread news all over thé World. It has a great impact on different social class, however, there are also many negative impacts. Therefore it IS a must to conducteur many researches and studies to find out its long term effect AT a local or national level.

Although the improvement of mass media and digitalisation, thé society has changed and took a Naw social way of life that Can be noticed in the mode of life and social relations, customs and habits and behaviors as a reaction to the New Era accordi g to its rythme.

Local média has played an important rôle in the (hawze) earthquack, a naturale catastrophe that turns the inhabitant life s down, but it IS worth mentioning the solidarity and loyality of the Maroccans and families have United against problems as if WE ARE one.

Kay words: Local media, the impact of local media, Media and communication, rural area, alhawze earthquack.

تقديم

يلعب الإعلام المحلي بكل وسائله دورا كبيرا ومهما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نظرا للميزة الإيجابية التي يمتاز بها والسلطة الكبيرة التي يحتلها في إشاعة الخبر وانتشاره بسرعة مهولة في جل أقطاب العالم بأسره، إذ يهتم بنقل الأحداث المرتبطة بالكوارث الطبيعية أو غيرها عن طريق آليات الإعلام الحديثة المقروءة منها والمكتوبة والمسموعة التي تتيحها مختلف الوسائل الإلكترونية.

إن وسائل الإعلام كانت ومازالت تساهم في الانتشار الثقافي وتساهم في التربية والتنشئة الاجتماعية بشكل مغاير فاق كل من الأسرة والمدرسة والشارع نظرا لاختراق هذا الأخير كل بيوت العالم وغزوها والمغرب واحد من هذه الدول، والجدير بالذكر أن مجال الإعلام كان في الأول من اهتمام الاقتصاديين حيث كان يدعم أنشطتهم الاقتصادية في مجالات استخدام التسويق للخدمات والسلع عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات، حتى أصبح اليوم يشمل جميع المجالات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية،. إلخ.

إذا كان الإعلام المحلي في الأمس بواسطة الصحف والجرائد والمذياع والمجلات عاملا رئيسا في فترة الأمس فاليوم لم يعد له الدور الكبير حيث ضعفت حدتها التأثيرية بسبب دخول الإعلام الإلكتروني والرقمي في المنافسة الذي يعتمد على الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات الإلكترونية التي تشمل شبكة الأنترنيت وآية وسيلة أخرى من الوسائل المعتمدة على المعلومات الرقمية، حيث إن الإعلام الالكتروني اليوم يختلف عن أنواع الإعلام الأخرى لأنه يتميز بالسرعة والتطور اللامحدود.

تعد وسائل الإعلام المحلي المساهم الأكبر في نقل الأحداث والأخبار من المجالات الهامشية- مجالات العالم القروي-إلى مجالات أخرى، وغالبا ما يعتمد في مثل هذه المجالات وسائل تواصلية إلكترونية حديثة لإشاعة الخبر والتعريف بالحدث أو الكارثة التي وقعت في ذلك المجال الجغرافي بكل أنواعه الاجتماعية (كزلزال الحوز مثلا، وقبله جائحة كورونا. إلخ)، فزلزال الحوز من الكوارث الطبيعية التي انعكست بشكل كبير على البنية التحتية في المجال القروي وعلى المجتمع بكل بنياته مما خلف في صفوفه مجموعة من الضحايا والخسائر البشرية الفادحة التي تستدعي التدخل من أجل الإنقاذ وإعادة بناء المجتمع من جديد وهذا يتطلب التدخل القوي من طرف الدولة والمجتمع المدني.

إن زلزال الحوز أفصح عن تماسك المجتمع والدولة من خلال التضامن الاجتماعي ومد يد العون بسرعة فائقة، وبرز ذلك من خلال تجسيده على أرض الواقع، هذا بالفعل يوضح مدى قدرة تأثير وسائل الإعلام على تسهيل المأمورية وقامت بآلية ربط تواصلي بين كل من أرد مد يد العون ومن هو في حاجة إليها. إذن فوسائل الإعلام المحلي لها أهمية ودور كبير في نجاح كل المساعدات الاجتماعية والتدخلات سواء داخل المغرب أو خارجه من الدول المجاورة.

تكمن أهمية هذه الدراسة في وسائل الإعلام المحلي التي لعبت دورا كبيرا في التخفيف من حدة الأضرار على المجتمع ولو معنويا، ونفسيا، وماديا، علاوة على ذلك نشر ونقل أحداث الكارثة الطبيعية إلى مجالات أخرى من أجل تحديد مكان الخطر، وتقديم يد المساعدة خصوصا من طرف الدولة الاجتماعية ومن طرف المجتمع المدني.

ونهدف من خلال هذه المقالة إلى الكشف عن انعكاس الزلزال على المجتمع القروي المتميز بمجالي الفلاحة والرعي أي مجال هش له مباني عشوائية مبنية بالطين والأحجار مما تكون هذه المباني معرضة أكثر للمخاطر والكوارث التي قد تحدث في المجال. وعن أثر الزلزال ومخلفاته الاجتماعية والاقتصادية، ثم الدور الفعال لوسائل الإعلام والاتصال المحلي في تدبير الأزمات. لنتساءل: كيف أسهمت وسائل الإعلام والاتصال المحلي الحديثة في تدبير أزمة زلزال الحوز؟ لتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة التالية:

ما المقصود بالإعلام المحلي؟ وما دوره في المجتمع؟ ما المقصودة بظاهرة الزلزال؟ وما انعكاسه على المجتمع؟ وكيف ساهمت وسائل الإعلام والاتصال المحلي في تدبير الأزمات(أزمة زلزال الحوز)؟ وما رد فعل الدولة الاجتماعية والمجتمع المدني في ذلك؟

أولا: الإجراءات المنهجية والنظرية للدراسة

1_ المدخل المنهجي للدراسة

تعد المقاربة السوسيولوجية الكيفية أحد الرهانات الرئيسية التي من خلالها يتم فهم المنظومة الاجتماعية بكل بنياتها أثناء الأزمات(مثل: الزلزال)، وفهم الكيفية التي تؤثر على المجتمع بكل بنياته في مجال العالم القروي، فإذا أخذنا على سبيل المثال الزلزال وما يخلفه من أضرار في صفوف المجتمع، فهذه المقاربة الكيفية تضعنا أمام عدة مفاهيم كبرى تكون المفتاح الأساس للإعلام المحلي من أجل الحفر والنبش في حيثيات الزلزال الذي يعد ظاهرة طبيعية لما له من تأثير على المجالات السكنية القروية أثناء الأزمات والجوائح، هذه المجالات تمتاز بسكن هش مهدد في كل لحظة بالسقوط. مما يستدعي مساءلة هذه الظاهرة أي وسائل الإعلام المحلي بعلاقتها بالزلزال الذي كان منذ القدم ومازال إلى يومنا هذا يفاجئنا في كل لحظة من الزمن، لكن انعكاسه وتأثيره على المجتمع وما خلفه من ظواهر عدة أصبح من اهتمام المفكرين السوسيولوجين

ومن الظواهر الاجتماعية التي تستدعي التحليل والفهم العميق عن طريق استعمال المنهج السوسيو تاريخي والمنهج الوصفي.

فالمنهج السوسيو تاريخي يقارب لنا انعكاس الزلزال على المجتمع وعن الأضرار التي كان يسببها منذ القدم فكل الكوارث الطبيعية والأزمات قديمة قدم البشرية ومن خلال هذا المنهج سوف يتضح لنا فهم كيفية التعامل مع الأزمات والكوارث في عصرنا اليوم، عصر وسائل الإعلام والتكنولوجيا، أما فيما يخص منهج الوصف فهو بطبيعة الحال يقارب لنا ما يحدث اليوم أي ما حال المجتمع اليوم بعد زلزال الحوز الذي خلف في صفوفه خسائر بشرية فادحة وشرد العديد من الأسر بدون مأوى.

كما تسمح لنا أيضا هذه المقاربة الكيفية بالاعتماد على المقابلات مع عينة من مجموعة من المشاركين في البحث لاستنطاقهم ومعرفة ما الذي حدث أثناء حدوث الكارثة؟ وكيف تعاملوا مع الزلزال في تلك اللحظة؟ ثم رصد الأثر الذي خلفه في المجتمع. وعن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام التواصلي والدولة الاجتماعية والمجتمع المدني في تدبير الأزمة، وعن التماسك والمساعدات الاجتماعية من جميع نواحي مجالات الوطن وخارجه.

إن التصور المنهجي يضعنا أمام تحليل متعدد الأبعاد ومن زوايا نظر مختلفة لفهم دور وسائل الإعلام المحلي في المجال القروي والسرعة التي تم نقل بها أخبار زلزال الحوز من عالم بعيد عن مراكز القرار وإشاعة الخبر في جميع أنحاء المجتمع، فوسائل الإعلام والاتصال اليوم تتميز بالتفاعل والسرعة. فلهذا يجب الاعتماد على مقاربات متعددة من أجل الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

2_ المقاربة النظرية

تعد دراسة تأثير وسائل الإعلام من أهم ركائز عملية الإتصال التي يصعب حصرها في مجال واحد نظرا لصعوبة دراستها وتأثيرها الذي يتخذ بعدين أساسيين الأول: إما في خدمة المجتمع وتطوره والثاني في حدة تأثيره على المجتمع والأضرار الناجمة عنه، ومن هنا فالعديد من النظريات التي درست الإعلام وتوضح بعض تأثيراته المختلفة على الجمهور وعامة الناس.

مع نهاية القرن العشرين "كانت صورة المجتمع الجديد هي أنه يتغير من نظام اجتماعي تقليدي ثابت ويرتبط فيه الناس ارتباطا وثيقا إلى مجتمع يتميز بتعقيد أكبر حيث ينعزل فيه الأفراد اجتماعيا عن بعضهم البعض[144]، هذا يدل على أن البناء المتطور للنظريات الاجتماعية رغم كونه غير متناسق بل ولكونه متعارضا أيضا، كان يبدو أنه يؤكد على هذه الأفكار الرئيسية.

إن نظرية القذيفة السحرية والمجتمع الجماهيري، تؤكد على أن فكرة المجتمع الجماهيري لا تعني المجتمع الضخم حيث تعني هذه العبارة المجتمع كثير العدد مثل الهند، في حين أن المجتمع الجماهيري يشير إلى العلاقة القائمة بين الأفراد والنظام الاجتماعي المتعلق به ويفترض في هذه النظرية أن[145]:

_الأفراد في المجتمع الجماهيري في وضع يتسم بالعزلة النفسية عن الآخرين.

_ وأن انعدام المشاعر الشخصية هو الذي يسود خلال تفاعلاتهم مع الآخرين

وتقوم نظرية القذيفة السحرية على أن لوسائل الإعلام قوة مطلقة في إرسال الرسائل الإعلامية والتي بدورها تعطي التأثير المطلوب إذا تلقاها الجمهور، وقد أطلق على هذه النظرية اسم "الإبرة تحت الجلد"، ونظرية "سير نقل الحركة".

ومن نظريات الإعلام هناك مجموعة من النظريات لكن اخترنا ما يخدم هذه الدراسة ولعل من بينهم مقاربة "هابرماس" في المجال العام، ومقاربة "جون تومسون" الذي تحدث عن وسائط الإعلام والمجتمع الحديث.

---

[144] منال أبو الحسن، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي النظريات والوظائف والتأثيرات، الطبعة الأولى، مصر: دار النشر للجامعات، القاهرة، 2006، ص، 120.

[145] منال أبو الحسن، المرجع نفسه، ص، ص، 120، 121.

يعد "يورغن هابرماس" من مدرسة فرنكفورت للفكر الاجتماعي رغم تأثر هذه المدرسة بأفكار "كارل ماركس". فهذه المدرسة وضعت دراسات مكتفة وواسعة وهو ما أسمته بصناعة الثقافة. وقد أخذ هنا "هابرماس" مجموعة من الأفكار والموضوعات حيث أراد أن يحللها بطريقته الخاصة، إذ إنه يحلل نمو وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية منذ أوائل القرن الثامن عشر حتى عصرنا الراهن، ويتتبع نشوء المجال العام ثم انحطاطه وهبوطه، ويمثل المجال العام في نظره حلبة النقاش العام التي تدور فيها المساجلات وتتشكل فيها الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس وهمومهم[146].

يعتقد "هابرماس" أن المجال العام في المجتمع الغربي بدأ نشوئه في الصالونات والمقاهي بباريس، حيث كان الناس يلتقون في هذه الأماكن ويناقشون مجموعة من القضايا الساعة من خلال ما قرؤه في النشرات والجرائد والمجلات والصحف، حيث إن هذه الصالونات لعبت دورا مهما في النقاشات السياسية وغيرها وفي نمو الديمقراطية على الرغم من قلة عدد المشاركين، وأن هذه المراحل الأولى من تطور المجال العام لم تتحقق بكاملها[147].

إن انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية وسطوة صناعة الترفيه الجماهيرية أدت إلى تشويه طبيعة المجال إلى حد بعيد لأن مناقشات القضايا السياسية أصبحت مرهونة بما يدور في البرلمانات وفي وسائل الإعلام.

يرى "جون بيتنر" من خلال نظرية العلاقات الاجتماعية أن تأثرنا بوسائل الاتصال الجماهيري يخضع لعوامل انتقائية، حيث أشارت نتائج دراسات عديدة أننا نختار ما نعرض له من محتوى وسائل الاتصال، وهذه العملية تسمى بالتعرض الانتقائي، وكذلك فإن ادراكنا للرسائل التي تتعرض لها يؤثر في طبيعة ردود أفعالنا، وتعرف هذه العملية بالإدراك الانتقائي، فإن الفرد يتذكر فقط الجوانب التي تؤكد أفكاره، وتتفق معها، فإذا كانت هذه الأفكار تختلف مع طبيعة شخصيته، فإنه قد يلغيها من عقله تماما، ولا يستعيدها، وتسمى هذه العملية بالتذكر الانتقائي، ونتيجة زيادة ميل وسائل الاتصال إلى التخصص في توجيه المحتوى الإعلامي، فإن ما يزيد من دائرة اختيارات الجمهور للوسائل الإعلامية والمحتوى الذي يتعرض له[148].

لقد بدأت نظرية العلاقات الاجتماعية تبعد جدا عن فكرة المجتمع الجماهيري والنظريات الأولى وانطلاقا من مبدأ الانتقائية في ضوء الفروق الفردية فإن جمهور وسائل الإعلام ليس جماعة متناسقة تصغى إلى الرسائل الاتصالية، وتتأثر بها بشكل مباشر وموحد مثل: الطلقات السحرية، وإنما ظهر مبدأ الانتقائية الذي يشير إلى أن استخدام وسائل الإعلام يخضع للاعتبارات الفردية والسمات الشخصية، وظروفها الذاتية[149].

يوضح "جون تومسون" العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والاتصال ونمو المجتمعات الحديثة، بالرغم من استحسانه لأفكار "هابرماس" إلا أنه ينتقده على أساس أن "موقف مدرسة فرنكفورت من صناعة الثقافة كان يتسم بالسلبية البالغة. فوسائل الإعلام الحديثة في رأيه لا تحرمنا من فرصة التفكير النقدي، بل إنها في واقع الأمر تقدم لنا أشكالا كثيرة من المعلومات التي لم يكن بوسعنا أن نحصل عليها في الماضي[150].

فهو يرى بأن مفكري مدرسة فرنكفورت يتصورون المتلقي لوسائل الإعلام والاتصال كأفراد سلبيين لا يمكنهم أن يدركوا الإيديولوجية المضمرة التي تحملها هذه الوسائل كما أنه ليس بقدرتهم إبداء رأي مخالف لنا يعرض أمامهم من

---

[146] أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم، فايز الصباغ، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص، 511.

[147] المرجع نفسه، ص 512.

[148] حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2009.

[149] سعيد ناصف، علم الاجتماع الإعلامي_ المفاهيم_ القضايا_ التطبيقات، الطبعة الأولى، الشارقة: الآفاق المشرفة ناشرون، 2015، ص، ص، 109، 110.

[150] أنتوني غيدنز، المرجع السابق، ص، 516.

معلومات[151]، وبالعكس من ذلك يرى Thompson أن المتلقين قادرون على إدراك المعاني الخفية وراء الرسائل الإعلامية، وبقدرتهم تفسيرها والتعقيب عليها بشتى أشكال التعبير الممكنة.

إن نظريات الإعلام متعددة ومختلفة عن بعضها البعض نظرا لتعدد مفكريها والاختلافات السائدة بينهم فهناك من اهتمت بوسائل الإعلام والاتصال وهناك من اهتمت بالعلاقات الاجتماعية والعلاقات التفاعلية كون وسائل الإعلام الحديثة اليوم تعتمد على التفاعل والسرعة في نقل كل الأخبار والوقائع عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي والوسائل الأخرى المتطورة. أصبح العالم اليوم عالم رقمي ويعتمد على الرقمنة التي تعد من أخطر وسائل الاتصال والإعلام اليوم على الرغم من اختلف هذه النظريات في هذا المجال إلا أن كل واحدة ساهمت في بروز نظرية جديدة قابلة للتحليل وخصوصا تلك المتمثلة في تحليل المضامين الثقافية لوسائل الإعلام والاتصال.

3_ تحديدات مفاهيمية

- **في مفهوم الاعلام المحلي**

ينقسم هذا المفهوم إلى قسمين الإعلام والإعلام المحلي:

فمفهوم الإعلام: من حيث اللغة منشق من فعل "أعلم" الرباعي الماضي والمضارع منه "يعلم" والمصدر إعلاما ومعنى أعلم قام بالتعريف والأخبار لغيره والثلاثي منه (علم) أي عرف وخبر. أما في القاموس المحيط، نجد "علم"، أعلم، فقال علمه كسمعه علما الكسر عرفه وعلم وهو في نفسه ورجل عالم وعليم وجمعها علماء وعلام كجهال وعلمه العلم تعليما وعلاما ككذاب واعلمه إياه فتعلمه[152].

يعد مفهوم "الإعلام من المفاهيم الحديثة والمهمة في نفس الوقت، فالإعلام يشير إلى عملية الحصول على المعلومات من مصادرها المختلفة من خلال التواجد السريع في مكان الحدث والحصول على المعلومات بصورة متعمقة كنقل هذه المعلومات إلى الآخرين من خلال الوسائل المتعددة وبالطريقة المناسبة[153].

والإعلام في نظر "خالد العمايرة ونايف الهشلمون" "بأنه عملية نشر المعلومات وإيصالها إلى الجماهير سواء أكانوا مستمعين أو مشاهدين أو قراء، ويقوم الإعلام على الاتصال الذي يحدث عبر وسائل وكيفيات عدة مثل الأثير (الخطبة)، والإذاعة، والتلفزيون والصحافة وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى[154].

- **أما مفهوم الاعلام المحلي** هو: هو ذلك الإعلام الموجه إلى مجتمع ضمن نطاق جغرافي محدود عبر وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية، ويعد الإعلام المحلي بصورة عامة مرآة عاكسة للمجتمع وما يوجهه من قضايا وأحداث ومشكلات، وهو أحيانا أداة مؤثرة في المشكلات وتنمية استعدادات الأفراد وقدرتهم لمواجهة قضاياهم الملحة، وفتح آفاق أوسع أمامهم للاسهام في تطوير المجتمع[155]

---

[151] لمياء مرتاض نفوسي، إشكالية التنظير في العلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2021، ص، 244.

[152] مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط الجزء الرابع فصل العين، باب الميم، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 155.

[153] سعيد ناصف، علم الاجتماع الاعلامي، المفاهيم– القضايا– التطبيقات، الطبعة الأولى، الشارقة: الناشر الآفاق المشرقة ناشرون، 2015، ص، 53

[154] خالد محمد العمايرة ونايف دياب الهشلمون، الصحافة والاعلام ، النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، فلسطين: نشورات دار الوطن، 1991، ص، 30.

[155] لبنى أحمان، بديعة حنون، التكنولوجيا الرقمية وتنامي الأبعاد العلانية للإعلام المحلي، الملتقى الدولي حول الإعلام المحلي، تحديات معاصرة ورهانات المستقبل، الجزائر: جامعة الشهيد حماه لخضر، الوادي، 17أكتوبر 2019، ص5.

- **والإعلام المحلي على المستوى الإجرائي**: هو ذلك الإعلام الذي يقوم بنقل الأخبار والمعلومات والأحداث الخاصة بالمجتمع المحلي(كالمجال القروي لحوز مراكش)، وما يدور حوله من أحداث قديمة وحديثة، ونقله إلى جل أفراد المجتمع في شتى المناطق الأخرى، والإعلام المحلي وسيلة لنقل المعلومات والقيام بتغطية المنطقة المحلية التي تعد عبارة عن بقعة جغرافية محددة يقطنون فيها سكان قليلون. حيث إن الإعلام المحلي هو الوسيلة الوحيدة لنقل قضايا مجتمعهم ومشكلاتهم إلى مراكز القرار وإلى المجالات الأخرى، فالإعلام المحلي هو أليات الربط بين المجالات القروية والحضرية سواء على المستوى المحلي أو الوطني.

- **في مفهوم الزلازل: لغويا**: هي تحريك الشيء حركة شديدة، أما علميا فهي عبارة عن اهتزازات في القشرة الأرضية تحدث بمشيئة الله تعالى، ثم بسبب التحرر السريع للطاقة المجتمعة في الصخور، والناتجة عن الحركة التصدعية لكتل الصخور المكونة للقشرة الأرضية أو الانفجار البركاني أو انبثاق المواد المنصهرة من باطن الأرض أو الانهيارات في مناطق المغارات والمناجم وضخ المياه أو التفجيرات النووية وإنشاء السدود والبحيرات الصناعية[156].

- **والزلزال على المستوى الإجرائي**: ظاهرة طبيعية تؤثر على الإنسان والبيئة والمحيط وتشكل خطرا يترتب عليها العديد من المخاطر، هذه المخاطر التي انعكست على المجتمع وما خلفته من أضرار في صفوفها حتى أصبحت ظواهر اجتماعية قابلة للتحليل والدراسة، فالزلزال يسبب في العديد من الاصابات والوفيات وهذ يحدث من خلال سقوط المباني والمنشأت.

ثانيا: الزلزال كفاعل للتضامن الاجتماعي في زمن الكوارث

1_ الزلزال أفقا للتفكير السوسيولوجي

أتت السوسيولوجيا من ظروف تاريخية خاصة ومن التقاء مجمل الانقلابات الاجتماعية: الثورة التكنولوجية، توسيع الرأسمالية، التحضر، ظهور المشاعر القومية والديمقراطية، تبدل في القيم والمعتقدات. إن تاريخ السوسيولوجيا كله انعكاس للتغيرات الاجتماعية والأحداث السياسية وما رافقها من مطالب اجتماعية تتوجه إليها[157]. ومن هنا فالسوسيولوجيا ليست علما موحدا فهي في بداياتها في سجال، وموزعة في العديد من البؤر، وتاريخها بالكامل هو تاريخ الأفراد والاستراتيجيات والمؤسسات[158].

منذ الوهلة الأولى والتفكير الاجتماعي يهتم بالظواهر الاجتماعية(الفقر، الهشاشة، الجريمة، المجتمع بكل بنياته)، هو ما جعل هذا العلم يعنى بكل ما هو ضروري وما هو عام مما فسح له المجال لربط علاقته بالعلوم الأخرى كالعلوم الطبيعية التي تدرس الإنسان باعتباره أشياء أي دراسة موضوعية. ومن هنا فطبيعة هذا الموضوع سمحت لنا بدراسة بعض الكوارث الطبيعية التي انعكست على الإنسان مثل الزلزال، والجوائح والفيروسات التي تؤثر على المجتمع في عصرنا الحالي.

إن ظاهرة الزلزال كانت منذ القدم ومازالت إلى يومنا هذا، فهذه الظاهرة الطبيعية التي تؤثر على الإنسان وممتلكاته يصعب التحكم فيها حيث عرف المغرب حوادث زلزالية كارثية أبزها "زلزال فاس سنة 1624 الذي كان من أسواء الكوارث التي عرفها المغرب ثم زلزال تطوان سنة 1909 ثم زلزال أكادير 1960 الذي أسفر عن حوالي 15ألف قتيل، ناهيك عن الجرحى والمعطوبين وتشريد ألف السكان، وفي سنة 2004 فاجعة زلزال الحسيمة الذي أثر بشكل كبير على المجتمع وما خلفه من

---

[156] عبد الله بن محمد العمري، الزلازل والتفجيرات، الطبعة الأولى، موسوعة العمري في علوم الأرض، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1443هـ/ 2023. ص،17.

[157] فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، الطبعة الأولى، سورية: دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر، 2010، ص، 11.

[158] المرجع نفسه، ص، 12، 13.

خسائر فادحة، وفي 08 شتنبر 2023 زلزال الحوز الذي بلغت دراجته 7 على سلم ريشتر، إذ بدوره كبد خسائر بشرية وتشريد العديد من الأسر وتدمير المباني"[159].

تعد ظاهرة الزلزال ليست بجديدة في المغرب فهي تعود لجدور تاريخية بدأت منذ زمن بعيد لتعرف سلسلة من الحوادث الأخرى المتتالية، مما يحتم على الدولة أن تضع استراتيجيات مستدامة للتعامل مع الخطر الطبيعي الذي أصبح يشكل تهديدا خطيرا وحقيقيا على المجال المغربي وهذا التهديد يمس جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

2_ تأثير الزلزال على المجال السكني القروي الهش

يمكن الحديث عن الزلزال بمجال الحوز ككارثة طبيعية نظرا لما يحدثه من مخاطر وأثار بليغة بالساكنة المحلية، حيث قام بهدم العديد من المنازل المبنية بمواد محلية(التابوت، الطين)، كما أنه أحدث خسائر في الأرواح، و تشريد العديد من الأسر، وكما يبدو بأن خطر الزلزال هدم كل الطرق والمباني والقناطر إضافة إلى ذلك الحقول الزراعية وغيرها.

يقول "محمد أيت حمزة"[160] في هذا الصدد أن ما يميز السكن في مجالات القرية أي القديم هو اندماجه في وسطه الطبيعي والبشري، فهو يحاول أن يستمد كل مقوماته من محيطه، فمواد بنائه من ترب وحجر وقصب وخشب، غير أن هذه المواد لم تعد تستجيب كما وكيفا لحاجيات السكان. إذن من هنا فالسكن في العالم القروي خصوصا القديم فهو معرض للسقوط دوما.

إن الزلزال له تأثير كبير على المجالات الهامشية خصوصا تلك المتعلقة بالعالم القروي والبعيدة عن مراكز القرار، حيث إن المجالات السكنية في الهامش يؤثر عليها الزلزال بشكل كبير نظرا لضعف البنيات التحتية وكونها مجالات الهشاشة وبعيدة عن المجالات الحضرية، إذن من هنا تظهر التفاوتات المجالية التي تلعب دورا كبيرا في بنيات المجتمع، لأن مجالات الوفرة تختلف تماما عن مجالات الندرة التي تسمى بالمجال الهامشي، وتكون معرضة أكثر للمخاطر والكوارث والجوائح وأغلب هذه المجالات تعيش الفقر والبطالة والتهميش وغياب أبسط شروط العيش، لهذا يجب إعادة طبيعة النظر في البنية التحتية لهذا العالم القروي وفي تعبد الطرق وفك العزلة عنه خصوصا تلك المساكن التي تكون في أعالي الجبال وغير معروفة بتاتا.

3_ التضامن الاجتماعي في زمن الأزمات

يلعب التضامن الاجتماعي دورا أساسيا في الحياة الاجتماعية، لأنه يعمل على تأسيس وتمثل الروابط داخل أي مجتمع، هذا التضامن يؤثر على البنية الاجتماعية ويقوي أواصرها، وأغلب هذه الروابط والاتحادات تكون في المجموعات المحلية الصغيرة التي تجتمع على تنظيم أو تسهيل كل ما يخص المسائل المتعلقة بالمجتمع وتحديد أهدافه، والرابطة الأصلية داخل المجتمع هي العائلة حيث يجب أن ينتمي كل فرد إلى رابطة عائلية، وكما تعتبر الدولة رابطة تشمل كل أفراد الجماعة، وتتكون من المواطنين والحكومة، كما المجتمع المدني الذي يعتبر رابطة اجتماعية أيضا، والملاحظ في السنين الأخيرة أن الدولة أصبحت دولة اجتماعية نظرا لأهمية الدور الذي تقدمه تجاه فئات المجتمع.

إذا كان التضامن الاجتماعي في الأمس يتسم بطرق تقليدية تعبر عن تماسك المجتمع وتضامنهم مع بعضهم البعض أثناء الكوارث الطبيعية والمآسي أو تقديم يد المساعدة لمن هو في حاجة ماسة لها، فإن اليوم التضامن الاجتماعي أصبح يمتاز بطرق عصرية تتجسد في العمل الجمعوي كالجمعيات والتعاونيات وفي مؤسسة الدولة الاجتماعية، ولعل وسائل الإعلام والاتصال المحلي لعبت دورا كبيرا في هذا الأمر فالإعلام المحلي أصبح اليوم أداة ربط بين المجتمع والدولة وذلك يتجسد من خلال التفاعل الجماهيري عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، هذه الوسائل سمحت بشكل كبير في إيصال المعلومات.

---

[159] وزارة الداخلية، المديرية العامة للوقاية المدنية، 2017.

[160] محمد آيت جمزة، ملامح التحولات السوسيو مجالية بحوض أسيف أمكون، سلسلة دراسات وأبحاث – رقم 60، الناشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016، ص، 239، 240.

ويعد الطرح الدوركايمي في هذا الصدد حول التضامن الاجتماعي الذي تطرق له من خلال تقسيم العمل الاجتماعي(1893)، والذي يهدف من خلاله إلى معرفة نوعية العلاقات التضامنية السائدة بين أفرد المجتمع من خلال التمييز بين ما يفرقهم وما ويوحدهم وليجسد ذلك بين نوعين من التضامن: الأول آلي ميكانيكي، والأخر عضوي.

لقد اهتم دوركهايم بالتغيرات التي قد تخلق حالة من التحول الاجتماعي، وكان معنيا بصورة خاصة بالتضامن الاجتماعي والأخلاقي، أي بالأواصر التي تشد المجتمع بعضه إلى بعض وتمنعه من الانزلاق إلى الفوضى، ويمكن الحفاظ على التضامن عندما يندرج الأفراد بنجاح في مجموعات اجتماعية وتنتظم حياتهم مجموعة من القيم والعادات المشتركة[161]. وفي هذا الصدد قدم تحليلا للتغير الاجتماعي قال فيه إن مرحلة التصنيع قد أدت إلى بروز نوع جديد من التضامن.

إن تقسيم العمل في الثقافات التقليدية يكون منخفض ويعود ذلك إلى أن أغلبية أعضاء المجتمع يكونون منخرطين في مهن متشابهة، وتربط بينهم تجربة مشتركة ومعتقدات مشتركة أيضا ويكون هنا التضامن الآلي قائما على الاجماع وتقارب المعتقدات، بيد أن قوى التصنيع والتحضر قد أدت إلى التزيد في تقسيم العمل مما أسهم في انهيار هذا الشكل من التضامن[162].

لقد ذهب دوركايم إلى أن الانتقال من نمط مجتمع التضامن الألي إلى نمط التضامن العضوي، له مصاحبات وتداعيات اجتماعية مرضية، تتمثل لديه في حالة الفقدان الجزئي للمعايير الاجتماعية الخاصة بالمجتمع والجماعات المكونة له، ومن تم تحدث حالة الأنومي الاجتماعية وما يتعرض له النسيج الاجتماعي العام من اضطرابات متتالية للعمال وصراعاتهم مع أصحاب العمل ومن تم تطلب ذلك حلا حاسما وعاجلا لهذه المشكلة الاجتماعية العامة[163]. ومن هنا سوف نتطرق إلى الدولة والدور الذي لعبته في حماية المجتمع، وعن الدور الذي لعبه المجتمع المدني في تدبير كارثة زلزال الحوز.

يعد الحديث عن الدولة والحماية الاجتماعية اليوم أنها ساهمت بشكل كبير خصوصا في تدخلاتها في زلزال الحوز الذي أثر على المنظومة الاجتماعية فالدولة منذ الأمس ومنذ زلزال أكادير وزلزال الحسيمة الذي خلف أضرارا كبيرا والدولة أنذاك تعمل على خطط واستراتيجيات وأخذ الاحتياطات اللازمة لتدبير الكوراث وذلك بطرق عصرية (أي التدبير المعقلن)، حيث قامت بإعادة هيكلة بعض المدن واصلاح ما يمكن إصلاحه سواء من تجهيزات على مستوى جميع المستويات، ومنذ كورونا وقبلها لقد وضعت الدولة صندوقا لتدبير الأزمات، وبدأت الدولة توسع نطاق ذلك وأصبحت تقوم بشكل تدخلي حيث عملت على مجموع من الأوراش التي تتجلى في إعطاء التعاون المادي وتوفير كل الحاجيات الضرورية من مأكل ومشرب وملبس وسكن ولو احتياطي، فالدولة أصبحت واعية بمسألة المخاطر ومن خلال الصندوق الذي وضعته، به يمكن تقديم المساعدات في حال الأزمات. إذن فالدولة الاجتماعية أصبحت تلعب دور التأمين في شتى المجالات الاجتماعية وغيرها.

وحتى لا ننس دور المجتمع المدني الذي لعب دورا كبيرا في تدبير أزمة زلزال الحوز من خلال الدور التحسيسي التي تقوم به ثم الإخطار بمراكز الناس المفقودين والمحتاجين ثم التطوع في إطار التدخل ومد يد المساعدة لكل من يحتاج لذلك، وهنا لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في ذلك، فالمجتمع المدني التجأ إلى مسألة التدخل في شكل من الأشكال، وذلك يظهر من خلال إعادة الإيواء والتكلف بترحيل الأطفال إلى استكمال دراستهم في المناطق الحضرية كتوفير النقل وغيره من الأشياء الأخرى.

إن دور جمعيات المجتمع المدني أبانت عن تدخلها الحقيقي في تدبير الزلزال وذلك يظهر من خلال تموقعها في المجال والتعريف ببعض المناطق الهامشية التي لم نكن نعرفها من قبل، إضافة إلى ذلك أن المجتمع المدني أصبح مؤسسا اليوم وليس عشوائيا، حيث إن ما يرتبط بمسألة التضامن بالأمس كان عن طريق بعض الشخصيات(دوي الرأسمال المادي)

---

[161] أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص، 63، 64.

[162] غيدنز، المرجع نفسه، ص، 65.

[163] محمد عبد القادر أسبيقة، دراسات اجتماعية معاصرة، الأردن: المنهل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2013، ص، 16.

الذي يكون وراءه إرسال رسالة واضحة وهو التظاهر على مواقع التوصل الاجتماعي بأنه يتضامن بحجة الشهرة وما شبه ذلك وغيره من أشكال التضامن الأخرى، لكن هذا التأسيس الذي خضع له المجتمع المدني منع ذلك وأصبح التضامن تحت ايواء مؤسسات الدولة بمساعدات جمعيات المجتمع المدني.

ثالثا: تأثير وسائل الإعلام المحلي في تدبير الأزمات

يتضح من خلال هذه الدراسة أن وسائل الإعلام والاتصال سواء القديمة أو الحديثة كان لها دورا كبيرا وأهمية قصوى في حالات الأزمات والكوارث والأوبئة التي قد تصيب المجتمع.. إلخ. حيث إن الإعلام اليوم يسمى إعلام المواجهة أو إعلام الطوارئ فالأول خاص بالسياسيين وغيرهم من الرؤساء أو المؤسسات السياسية والدبلوماسية والثاني خاص بالأزمات والكوارث التي تحدث داخل مجالات المجتمع (كزلزال الحوز).

اتسع مجال الإعلام والاتصال في شتى المجالات نظرا للتطور الذي حققه في السنين الأخيرة حتى أصبح ضروريا في جميع أنحاء العالم لما يحتله من سلطة مهيمنة، فالإعلام أصبح الركيزة الأساس لكل دوال العالم والمغرب واحدة منها، وهذا يظهر من خلال وسائل الإعلام التواصلية التي اقتحمت شتى المجالات الاجتماعية الثقافية. والاقتصادية والسياسية...

تعد وسائل الإعلام والاتصال المحلي أداة التفاعل بين الأزمة والكثير من أطرفها وحتى من ليس طرفا مباشرا فيها، كما لا يمكن للإعلامي الصمت عن أية أزمة مهما تفاوتات في حدتها أو حجمها، ففي الأمس كانت تقع كوارث وأزمات وكان يمكن للسلطات أن تخفي الأمر وهذا حدث في جميع دول العالم، لكن اليوم من الصعب تجاهل أي أزمة كيفما كانت لأن تطور وسائل الإعلام والاتصال سادت في كل مكان سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الوطني أوبين (عالم القرية وعالم المدن)، والأزمات تتفاوت من واحدة تلوى الأخرى، مثلا: فزلزال الأمس بأكادير يختلف عن زلزال اليوم بالحوز بمراكش، ومن هنا فالإعلام بكل وسائله عامة يظل له دور رئيس في التعريف بوقائع الدوال في شتى المجالات وفي حالات الأزمات والتفاعل مع مجرياتها.

إن وسائل الإعلام لا تقتصر على الأخطر والأخبار بحالة الكوارث، بل من خلاله يتم بعث رسائل التضامن بمختلف الصيغ لإظهار اللحمة الاجتماعية المتماسكة في أبعادها الإنسانية النبيلة، حيث إن الرسائل الإعلامية هدفها هو تعبئة الأفراد والمجتمع المدني لموجهة البلاء أو الأزمة كيفما كان نوعها، فمن خلال هذه الرسائل الموجهة للعامة من أجل تحفيزهم وتحمل المسؤولية وأداء الواجب الإنساني تجاه الأخرين سواء من لدن مسؤولين مؤسسة الدولة أو مؤسسة المجتمع المدني.

على الرغم من مرور المغرب بأزمات عدة ذات طبيعة مختلفة إلا أن كارثة زلزال الحوز كان محكا أساسيا لمعرفة تطور وتعامل الأجهزة الرسمية وغير الرسمية مع هذه الأزمة التي خلفت خسائر متعددة، لكنها كانت أيضا فرصة لتقييم مدى نضج وسائل الإعلام المحلي والوطني بمختلف تنوعاته وتعامله الفعال مع زلزال الحوز وفي تدبيره والاشعار بمخاطره تجاه العامة واطمئنانهم وتهدئة الأوضاع، وفي هذا الصدد فالإعلام الجديد بمنصاته الاجتماعية أو وسائل التواصل الاجتماعي التي رسخت مفهوم صحافة المواطن وأصبح من أهم الأليات المؤثرة في خلق وعي جمعي للمواطنين بقضاياهم الاجتماعية تسعى إلى تعبئة الأفراد.

على الرغم من سلبية وسائل الإعلام والاتصال فإن لها ايجابيات ولا تخلو من هذا التناقض، وحتى إن كانت هذه الوسائل الإعلامية والتواصلية في الأيام العادية تنشر أخبارا زائفة تشوش على الرأي العام وتشكك في الروايات والبلاغات الرسمية والنقد بين المسؤولين وبين فئات بنيات المجتمع، فإن وسائل الإعلام أثناء حالة الخطر والأزمات والكوارث تختلف تماما، فإذا كان الانتقاد والتتبع والمساءلة وتنوير الرأي العام بالاختلالات الموجودة في السياسات العمومية، فإن الإعلام أثناء الأزمات يساهم في تقريب وجهات نظر السلطات الرسمية والمكونات الشعبية، وأن يقوم بالتعبئة الشاملة الحقيقية بطرق

مستدامة متكاملة ومندمجة قصد الرفع من التضامن الاجتماعي والتحسيس، الذي يفرض على الجميع أن يكون يدا واحدة لمواجهة وتدبير أزمة زلزال الحوز.

نتائج

لقد توصل الباحث في هذه الدراسة الاجتماعية الميدانية إلى نتائج عدة تستدعي إعادة التفكير في مجال الحوز بكل مجاله وبنياته الاجتماعية، إذن فنتائج هذه الدراسة عديدة لكن يمكن الاقتصار على الأهم, ومادام موضوع الدراسة حول تأثير وسائل الإعلام المحلي في تدبير أزمات زلزال الحوز، فهذا الموضوع يحظى بأهمية كبرى خصوصا تلك المتعلقة بالكوارث الطبيعية كالزلزال وما خلفه من خسائر متعددة في صفوف بنبات المجتمع بكل جوانبه الاجتماعية والاقتصادية.

وكما أسفرت النتائج أن في لحظة الخطر والكوارث نلاحظ تفاعلا كبيرا بين شرائح المجتمع على وسائل آليات الإعلام التواصلية وبالأخص مواقع التواصل الاجتماعي كونه تواصل يحظى بالتفاعل بين بنيات المجتمع من كل مجالات المغرب، هذه الوسائل بالفعل كان لها دورا كبيرا في تحديد مناطق الخطر، كما لعبت الوسائل التواصلية في الأزمات بالتعريف بالمناطق الهامشية المعزولة عن العالم الحضري وحتى عن العالم القروي في أعالي الجبال، والجدير بالذكر أن وسائل الإعلام التواصلية تتميز بالسرعة في انتقال الخبر سوء كارثي أو بآخر خصوصا ما يتعلق منها بالرقمنة الجديدة التي تقوم بدورها أيضا في نقل الأحداث وكل ما يقع في بقاع العالم بشكل موضوعي وعلني يجعل من الخبر حرا وقابل للتشكيك والنسبية.

أفصح لنا الزلزال مجتمع متماسك ومتضامن أثناء الأزمات حيث إن في مرحلة الخطر يصبح المجتمع عائلة واحدة وهذه الخصال (خصال التضامن الاجتماعي) كانت متجذرة في المجتمع المغربي لكن تناقصت حداتها في ظل العالم الجديد (عالم السرعة عالم التحولات) أي عالم الرقمنة، لكن عندما يكون هناك خطر يهدد المجتمع بكل بنياته ومجالاته تظهر قوة المجتمع من جديد وتتماسك مع بعضها البعض. أضف إلى ذلك بأن المجتمع المدني أصبح مؤسسا وليس عشوائيا. أي أصبح التقنين من التضامن العشوائي الذي كان يدار عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، وأصبحت مؤسسة الدولة هي من تتكلف بالأمر بمساندة من المجتمع المدني بطبيعة الحال، ثم وضع الصندوق الوطني لتدبير الأزمات الذي كان قبل كورونا والأن استفد منه المتضررين من زلزال الحوز.

خاتمة

أحدثت وسائل الإعلام والاتصال تغيرات ملموسة وجدرية في مختلف المجالات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية وذلك من خلال التطور التكنولوجي الملحوظ الذي حققته في عصرنا الراهن، حيث أصبحنا نشاهد أشياء جديدة كعالم الرقمنة وبظهور أليات التواصل الاجتماعي المختلفة في كل لحظة من الزمن، هذه الأليات ساهمت بشكل أو بآخر في نشر الأخبار ونقل المعلومات في أسرع وقت ممكن وما يميز عالم التواصل والأنترنيت والرقمنة بأنه عصر تفاعلي بين جميع بنيات المجتمع.

إن انتشار وسائل الإعلام والاتصال بات اليوم يشغل جل المفكرين السوسيولوجيين الذين أصبحوا يهتمون بمسألة التطور السريع في هذا المجال خصوصا ما يتعلق بالميديا الجديدة التي أثرت على أفراد المجتمع مما مهدت الطريق لبروز نظريات مهمة في حقل علوم الإعلام والاتصال، فالبعض منها خاص بهذا الحقل والأخر استمد من العلوم الإنسانية المختلفة بغرض فهم عمليات الاتصال والتغيرات التي تحدثها في صفوف بنيات المجتمع.

لقد أثر الزلزال بشكل كبير على بنيات مجتمع الحوز مما خلف فيه عدة خسائر بشرية وتدمير كل منشأته العمرانية وإحداث خلل داخل منظومته الاجتماعية، فالزلزال تسبب في فرز ظواهر اجتماعية(التشرد، البطالة، الفقر، ضعف البنيات التحتية، أحياء هامشية، وجود عدد كبير من السكان بدون مأوى). كل هذه التأثيرات أفرازات لنا مجتمع متماسك

ومتضامن مع بعضه البعض لأن في الأزمات والكوارث يصبح المجتمع يد واحدة وأسرة واحدة. وهنا فوسائل الإعلام لعبت الدور المهم في التعريف بالمناطق الهامشية وبمناطق الخطر وكما لعبت دور أدوات ربط بين فئات المجتمع المدني وبين مؤسسات الدولة. من أجل تقديم يد المساعدة لمن هو في حاجة إليها.

البيبليوغرافيا

- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم، فايز الصباغ، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.
- حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2009.
- خالد محمد العمايرة ونايف دياب الهشلمون، الصحافة والإعلام ، النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، فلسطين: نشورات دار الوطن، 1991.
- سعيد ناصف، علم الاجتماع الإعلامي_ المفاهيم_ القضايا_ التطبيقات، الطبعة الأولى، الشارقة: الآفاق المشرفة ناشرون، 2015.
- عبد الله بن محمد العمري، الزلازل والتفجيرات، الطبعة الأولى، موسوعة العمري في علوم الأرض، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1443هـ، 2023.
- فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، الطبعة الأولى، سورية: دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر، 2010.
- لبنى أحمان، بديعة حنون، التكنولوجيا الرقمية وتنامي الأبعاد العلانية للإعلام المحلي، الملتقى الدولي حول الإعلام المحلي، تحديات معاصرة ورهانات المستقبل، الجزائر: جامعة الشهيد حماه لخضر، الوادي، 17أكتوبر 2019.
- لمياء مرتاض نفوسي، إشكالية التنظير في العلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2021.
- مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط الجزء الرابع فصل العين، باب الميم، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- محمد آيت حمزة، ملامح التحولات السوسيو مجالية بحوض أسيف أمكون، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 60، الناشر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.
- محمد عبد القادر أسبيقة، دراسات اجتماعية معاصرة، الأردن: المنهل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2013.
- منال أبو الحسن، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي النظريات والوظائف والتأثيرات، الطبعة الأولى، مصر: دار النشر للجامعات، القاهرة، 2006.
- وزارة الداخلية، المديرية العامة للوقاية المدنية، 2017.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

دور صناعة السفن بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط

جمال ازرن[164] - نورالدين أمعيط[165]

الملخص:

تعتبر دور صناعة السفن منشأة عسكرية جسدت مظاهر القوة العسكرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الوسيطية، فبازدهارها فرضت الكيانات السياسية قوتها وامتد نفوذها، و بتراجعها اضمحلت قوتها و صارت نسيا منسيا. وهو ما ينطبق على قوى الغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب الأقصى و الأندلس، حيث أولتها الدول المركزية، أهمية كبرى، وقد استفادت دور الصنعة من الاحتكاك و التلاقح الثقافي بين شعوب البحرالمتوسط بفضل تراكم الخبرات و توسيعها ونقلها بين أقطاره، وذلك بعد أن وفرت الطبيعة بالمغرب الإسلامي المقومات الضرورية لقيام هذا النوع من الصناعة و استمرارها.

Abstract :

Shipbuilding yards were considered military establishments that embodied the military strength of the Mediterranean basin countries during the medieval period. Their prosperity allowed political entities to assert their power and extend their influence, while their decline led to the weakening and eventual obscurity of these entities. This applies to the powers of the Islamic West, including Morocco and Andalusia, where the central states placed great importance on them. The shipbuilding yards benefited from the cultural exchange and interaction among Mediterranean peoples, accumulating and expanding expertise across the region. The natural environment of the Islamic West provided the necessary conditions for the establishment and continuity of this industry.

الكلمات المفاتيح: دار الصنعة- الإنشاء- السفن- المغرب الأقصى-الأندلس- العصر الوسيط.

مقدمة:

جسدت دار الصنعة بحوض البحر المتوسط، منشأة حيوية للأنشطة البحرية منذ العصور القديمة، واعتبرت لبنة أساسية من لبنات المؤسسة العسكرية بهذا الحوض، أما وظيفتها فكانت بالدرجة الأولى عسكرية-جهادية، توخت دفع الخطر عن سكان المدن الساحلية و المنشآت المدنية و التطلع للتوسع الخارجي؛ إضافة إلى ما ألحق بها من وظائف اجتماعية و اقتصادية[166]. وقد تعددت المسميات التي أطلقت عليها؛ فأحيانا تنعت بدار الصنعة وأخرى بدار الصناعة[167] كما جاء عند ابن سعيد في معرض حديثه عن خصائص مدينة ألميرية الأندلسية. فيما اختصها ابن خلدون بمسمى دار الإنشاء[168]. وبحكم ارتباطها بأوراش صناعة السفن بغض النظر عن طبيعة هاته الجواري، سواء ذات الاستعمال التجاري

---

[164] - طالب باحث في سلك الدكتوراه، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجديدة، المغرب.

[165] - أستاذ باحث، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجديدة، المغرب.

[166] معناها الحرفي يمكن أن يستخدم للدلالة على أي مكان للصناعة بمعناها الواسع، فهي علي محمود ، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط (من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي)، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1،دار الوحدة، بيروت،1981،ص31.

[167] ابن سعيد علي ، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة،ط1، بيروت، 1970.

[168] المنوني محمد ، ورقات عن الحضارة المرينية، منشورات كلية الآداب، سلسلة رقم 20، ط3،مطبعة النجاح الجديدة، الرباط،2000، ص109.

أم المنفعي كالصيد مثلا أو الحربي .. فقد ألصقت بها عبارة " دار صناعة البحر[169]"، وقد تتسع وظيفتها لتشمل أعمال الصيانة بعد الرجوع من عمليات الجهاد[170].

اعتبر البحر المتوسط جسرا للتبادل الحضاري بين الشعوب التي استوطنت سواحله ، فكان بذلك بؤرة حضارية و منطقة تلاقح بين حضارات الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب. ولعل حرص العرب المسلمين على عمارة و إعمار سواحل هذا البحر قد تجسد من خلال إحداث صناعة بحرية فريدة مكنتهم من تطويع المتوسط لصالحهم؛ من خلال الاهتمام الكبير ببناء دور صناعة السفن بعد أن نهلوا من تجربة بيزنطة و النورمان اللذان خبرا مبكرا أصول و أسرار هاته الصناعة.

وكنتيجة للاحتكاك و الانصهار الثقافي السالف الذكر، تكون عبارة -دار الصنعة- قد أوجدت لها مكانا بين صفحات المعاجم الأوربية[171]، بعد تأثر الغرب بلسان العرب و انبهاره بمدنيتهم. فنطقها الإسبان *Darcinah* ، وعنهم مرت لباقي اللغات الأوربية. ثم عاد العرب فأخذوها عن الإسبان *Tarsanah* ، وظنوها لفظا تركيا لذلك عربوها إلى (ترس خانة) أو ترسانة[172].

ويسعى هذا المقال الى إبراز سياق نشأة دور الصنعة ومقومات تشييدها مع رصد أهميتها والتعريف بأهم ما ساد منها ببلاد المغرب والاندلس خلال العصر الوسيط .

1. دور الصنعة، سياق النشأة و مقومات التشييد

1.1. سياق النشأة

يشير البكري إلى أن أقباط مصر هم أول من برع في إنشاء دور الصنعة بالغرب الإسلامي بالنظر إلى التجارب الكبيرة التي راكموها عقب توالي مواجهاتهم الحربية مع بيزنطة في عدة مناسبات. ويتضح ذلك من خلال مراسلة عبد الملك ابن مروان والي مصر، آمرا إياه بإرسال ألف قبطي إلى تونس من أجل إنشاء دار صنعة بتلك البقاع، وحصر مهام أهل البلد من بربر مسلمين و عرب في جر الخشب إليها لإنشاء المراكب[173]. وبعدها استوعب هؤلاء الحرفة و برعوا فيها براعة القبط من أهل مصر[174]. لتنتقل هاته الخبرة فيما بعد إلى باقي أمصار المتوسط ومنها الجزء الغربي.

1.2. مقومات التشييد

لو لم يتميز المغرب الأقصى و الأندلس بغنى معطياتهما الطبيعية ومن ضمنها الغطاء النباتي، لما كان لدور الصنعة أن تتناسل بحواضرهما سواء البحرية أو حتى الداخلية منها، وما كان لهما بناء قوة بحرية استطاعت فرض كلمتها بالحوض الغربي من المتوسط. وهذا ما خلص إليه الجامعي و الباحث الفرنسي المتخصص في الإسلام الوسيطي:- Maurice Lombard- حين أشار إلى أن إنشاء دور الصنعة لصيق بوفرة الموارد الغابية في حوض المتوسط (ما بين القرنين 7 و 11م)[175].

---

[169] فهمي علي محمود، التنظيم البحري..، م.س، ص31. قدوري الطاهر، منطقة الغرب و دورها في تنشيط الملاحة البحرية في العصر الموحدي، مجلة البحث التاريخي، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، العددان 5 و 6، الرباط،2007-2008،ص125.

[170] فوزية محمد عبد الحميد، البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1984-1985،ص.34.

[171] قدوري الطاهر، الدولة الموحدية و تهيئة المراسي و دور الصنعة، ضمن ندوة: المدن المراسي في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي،ط1،2013،ص266.

[172] ماهر سعاد ، البحرية في مصر الإسلامية و آثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة،1967،ص311.

[173] البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، مكتبة المثنى، بغداد،ص.38-39.

[174] فوزية محمد عبد الحميد، البحرية الإسلامية ..، م س،ص.33.

[175] Lombard Maurice, Un problème cartographié : le bois dans la Méditerranée musulmane(5ème-11ème).In Annales Economies, société, civilisations.14 annéé,N2 ?1959.P.242.

تبعا لذلك، أشار البكري لوفرة الخشب بجبل درن؛ لانتشار أشجار الصنوبر و الأرز و البلوط[176]، إضافة إلى غنى بلاد النكور بأصناف العرعار و الأرز[177]، كما أشار الجزنائي إلى غنى جبال بني يازغة في أحواز مدينة فاس بأشجار الأرز الذي قد يعمر مائة ألف سنة دون أن يعفن أو يستاس ما لم يصله الماء[178]. إلى جانب الخشب اشتهر المغرب بغنى ثرواته المعدنية وفي ذلك ذكر البكري غنى بلاد كتامة بمعدن اللازورد الجيد ومعادن النحاس و الحديد[179].

وعن الأندلس، فقد أتى الحميري في روضه المعطار على ذكر غناها بالتشكيلات الشجرية التي تدخل في صناعة السفن ومنها صنوبر طرطوشة الفارع الطول المتين السمك الذي لا يأتيه السوس كما يأتي غيره من الخشب[180]، وممن عُرف بوفرة أشجار الصنوبر كذلك من بلاد الأندلس هناك؛ قادش[181] و شلطيش[182] و قلصة[183] و شنتمرية و شنت ماركو[184] و شلب التي أخبرنا الإدريسي بوفرة عودها الذي غطى حاجيات العديد من دور الصنعة ببلاد الأندلس[185].

إضافة إلى الخشب ، احتاجت دور الصناعة للعديد من المواد الأولية ومنها الزفت وهو من المواد الضرورية عند صناعة السفن ، فالزفت المستخدم في الأندلس كان مستخرجا من عروق أشجار الصنوبر و لكثرة الأشجار بالأندلس و احتوائها على نسب عالية من الزيوت والشحوم، لذا عدَّ من المصادر الرئيسية لهذه المادة[186]، فضلا عن تقديمها خدمة إلى السفن التي تحتاج تشحيما خلال رسوها بالموانئ الأندلسية، إلى جانب القطران الذي يستخرج من باطن الأرض[187]؛ كما استخدم أهل الأنداس قشور شجر البلوط وحشوها بمسامير من الخشب وليس الحديد لكي لا يتآكل بفعل النداوة[188] .

أما الآلات الحديدية التي تستخدم في صناعة السفن فكانت تصنع في معامل خاصة لصهر الحديد و صبه، ومدينة أبال وهي من حصن مدينة قرطبة كان لها دور في صهر الحديد و عمل السبائك من الحديد المتوفر في جبال الأندلس[189].

وهناك معادن أخرى تدخل في صناعة الآلات الخاصة بالسفن أو الأسلحة المكونة من السبائك أو طلي الآلات وبعض أجزاء السفن كالنحاس و التوتيا[190] لدرجة أنها لا تحصى ببلاد الأندلس، وعلى ذكر التوتيا فقد كان يجلب من قرية بطرنة وهي من قرى كورة ألبيرة على الساحل الجنوبي من الأندلس حيث اشتهرت بنوعية عالية الجودة و النقاوة و الصفاء، إذ كان يخلط مع النحاس لطلي الآلات، فضلا عن غنى جبال قرطبة بتلك المادة[191].

بالوقوف على مسألة توطين دور الصنعة بالحوض الغربي للمتوسط، يبقى السؤال المطروح في هذا الاتجاه؛ هل مسمى دار الصنعة كان مقتصرا على المدن البحرية الكبرى التي عرفت استيطانا بشريا مهما و اعتدت مراكز سلطة محورية لدول

---

176 البكري،المغرب.. م س،ص: 147

177 نفسه، ص90.

178 الجزنائي علي ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور،المطبعة الملكية،ط2،الرباط،1991،ص35.

179 البكري،المغرب... م س،ص 33.

180 الحميري محمد ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت،1975،ص.391.

181 نفسه،ص.448

182 نفسه،ص344.

183 محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2002،ص.560

184 الحميري، م س،ص.347.

185 الإدريسي، نزهة...م س،ص543.

186 خزعل مصطفى ياسين،الخدمات و التسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية عصري الخلافة و الامامة،في مجلة التربية و العلم،المجلد 18،العدد 1 ،2011.،ص 72.

187 ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي،دار الثقافة، بيروت،1965،ص 108.

188 خزعل، التسهيلات.....،م س،ص 72.

189 الحميري محمد بن عبد الله، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح و تعليق: ليفي بروفنسال،ط2، دار الجيل، بيروت،1988،ص 10.

190 التوتيا :مادة من المعادن تدخل في طلي السبائك منها تستخلص من النحاس وله ألوان الأصفر و الأخضر ؛ ينظر الخوارزمي محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، مطبعة المشرق، القاهرة،1342هـ،ص 149.

191 المقري احمد بم محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، 1968،ص 143.

المغرب الإسلامي الوسيطية، أم أن الأمر شمل عددا من المراكز والنقاط الساحلية التي أهلتها معطياتها الجغرافية و الطبيعية لأن ترقى لمستوى دار صنعة؟ من جهة اخرى هل اتخاذ دور الصنعة، همَّ المراكز البحرية فقط أم أن الأمر تعداه ليشمل مدنا قارية داخلية توافرت بها مجموعة من المعطيات لتعتد كذلك؟ وهذا ما ستجيب عليه الدراسة فيما يتبع.

2. دور الصنعة ببلاد المغرب الأقصى

2.1. الواجهة المتوسطية

أ. دار الصنعة بسبتة

انعكس تطور ميناء مدينة سبتة على دار إنشائها، التي تعد من أقدم أوراش إنشاء السفن بالمغرب الأقصى على الإطلاق[192]، وقد كانت القاعدة الرئيسية لأسطول الموحدين [193]، وكان للقطع البحرية التي وفرتها هاته الدار أهمية بالغة خلال فترة حكم مؤسس الدولة الموحدية عبد المومن بن علي الكومي[194]، وواصل ابنه أبو يعقوب يوسف تكريس هاته الأهمية بتوسيعه لأرجاء هاته الدار، التي ظلت مرتبطة باسمه حتى سقوط سبتة بيد البرتغال سنة 818هـ/1415م[195]. و إن كان صاحب الحلل الموشية يرى أن هاته الدار من صنيع أبي يعقوب على ماهي حالتها عليه الآن[196].

من جهته، يرى ابن مرزوق في مسنده أن تأسيس هاته الدار كان من صنيع بني مرين[197]، بعد أن كلف أبو الحسن أحد وزرائه وهو أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتي أمر إنشاء دار صناعة السفن بسلا[198].

و بالرغم من تأسيس دار الصناعة بسلا إلا أنها لم تستطع أن تضاهي نظيرتها السبتية على مستوى تجهيز القطع الحربية، لذلك حق لها أن تنعت بالقاعدة الأساسية لصناعة السفن المغربية [199]، خاصة و أنها قد اشتهرت بمنجراتها، وهي مصانع النجارة التي كانت تصنع بها لوازم السفن المختلفة[200].

وإذا كان الزمن لم يترك أي أثر لهذه الدار يحدد موقعها في المدينة، فإن كتاب اختصار الأخبار احتفظ لنا بإشارة فريدة تفيد بأن هذا الموقع كان بمضرب الشبكة[201]، بين ما يعرف ببحر بسول و بحر الرملة[202].

ب. دار الصناعة بالقصر الصغير أو قصر مصمودة

---

192 الشريف محمد، سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الإقتصادي و الاجتماعي(عصر الموحدين و المرينيين)،تقديم: الدكتور امحمد بن عبود، منشورات جمعية تطاون-أسمير،ط2، الرباط،2006،ص48.

193 الطيبي أمين توفيق، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية،ط1989،1، طرابلس،ص121

194 ابن أبي زرع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،دار المنصورة للطباعة و الوراقة،الرباط، 1972، ص201.

195 الشريف محمد، سبتة...م س،،ص50.

196 مجهول، الحلل الموشية، تحقيق الدكتور سهيل زكار و الأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1،الدار البيضاء،1979، ص.157.158

197 ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، دراسة و تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981، ص 398.

198 الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني،دار القلم، الكويت،ص287.

199 الشريف محمد، سبتة... م س،ص49.

200 سالم عبد العزيز و العبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت،1969،ص295.

201 الأنصاري محمد بن القاسم،اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2، الرباط،1983،ص51.

202 معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر،ج 12، مطابع سلا،2000،ص 3926.

لم يكن اختيار موقع المدينة لإنشاء دار لصناعة السفن مسألة اعتباطية بالنظر للمكانة الاستراتيجية التي حظي بها هذا الموقع على بحر الزقاق. فاختصت هاته الدار بإنشاء المراكب و الزوارق و الحراريق[203] ، و يتأكد هذا إذا علمنا أن المدينة كانت خلال العصر الوسيط معبرا مهما للجيوش المغربية و محطة إقلاع للمسافرين و البضائع نحو الأندلس[204]، ماجعل الموحدين يستقرون على تشييد هاته المنشأة بقصر مصمودة و هو القصر الصغير[205] . وقد اعتمد نشاط هذه الدار على خشب الغابة التي تغطي جبل أنجرة القريب من المدينة[206].

ج. دار الصناعة بطنجة

لم تولي المصادر التاريخية اهتماما كبيرا للحديث عن دار صناعة طنجة، ما عدا النزر اليسير ومنها ما أشار له صاحب روض القرطاس عن أن مؤسس الدولة الموحدية هم بإنشاء واحدة بطنجة دارا لصناعة السفن[207]. يبدو أن نشاطها خص إنشاء المراكب المقتصرة على نقل المسافرين و البضائع سواء في اتجاه موانئ مغربية أخرى أو في اتجاه الأندلس [208].

2.2. الواجهة الأطلنتية

أ. دار الصناعة بالمعمورة

تعد المعمورة من بين أوراش السفانة الكبرى خلال العهد الموحدي[209]، حيث كانت توجد بها أكبر دار لصناعة السفن منذ سنة 558هـ، وفي ذلك يقول صاحب المن : " ..وأن أمير المؤمنين رضي الله عنه...و اضمر غزوة عظمى برا و بحرا...فأمر بانشاء القطائع في سواحل العدوة و الأندلس فصنع منها زهاء مائتي قطعة ، أعد منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على وادي سبو بمقربة سلا مائة و عشرين قطعة [210]"، وذلك ضمن 400 سفينة التي أمر بإنشائها عبد المومن بن علي بالمغرب و الأندلس[211]، أي ما يعادل 30 في المائة من مجموع السفن المصنوعة بالغرب الإسلامي[212]. كما ساهم ابتعادها نسبيا عن عمليات القراصنة الأوربيين و اللصوص النشيطين في المياه المتاخمة للسواحل الشمالية في تأمينها و استقرارها ، فكانت بذلك تمد الثغور الأخرى بالسفن تنفيذا لسياسة الملوك الموحدين الرامية إلى إنشاء مليشيات بحرية لغرض الخفر الملاحي[213] .

---

[203] المريني عبد الحق،الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، دار نشر المعرفة،الرباط،1996،ص 39.

[204] معلمة المغرب،..م س،ص 3928.

[205] المريني، الجيش المغربي.... م س،ص38.

[206] معلمة المغرب، ...م س،3928.

[207] ابن أبي زرع،الأنيس... م س،ص201.

[208] معلمة المغرب،...م س، ص.3927.

[209] إميلي حسن، المعمورة خلال القرنين 16 و 17، في ندوة المهدية تراث و مؤهلات، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة،2003.،ص.115.

[210] ابن صاحب الصلاة عبد الملك، المن بالإمامة ، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي،ط3،بيروت،1987 ،ص.147.

[211] ابن ابي زرع،الأنيس...م س ،ص201.

[212] أسكان الحسين ، المعمورة بين الخراب و التعمير خلال العصر الوسيط، في ندوة قصبة المهدية تراث و مؤهلات، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 6، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، البوكيلي للطباعة و النشر،القنيطرة، 2006.،ص 29.

[213] بنعبد الله عبد العزيز، البحرية المغربية، مجلة تطوان، عدد مزدوج 3-4، سنة 1958،59،ص115.

ويرجع السبب في كون المعمورة من أهم الموانئ لصناعة السفن إلى توفر ظهرها على أكبر غابة بالسهول الأطلسية [214] يقول عنها الوزان :" في جوارها غابة أشجارها باسقة تنتج بلوطا....وقد اعتاد الأعراب المجاورون لهذه الغابة أن يحملوا منه كميات ...إلى فاس ويحققوا بذلك الربح الوفير[215]" .

ب. دار صنعة سلا

يصعب الجزم بخصوص تاريخ بناء دار صنعة سلا لندرة الإشارات المصدرية، لكن المؤرخ السلاوي الفقيه ابن علي الدكالي يشير إلى أنها من بناء السلطان المريني يعقوب ابن عبد الحق [216]، الذي لم يدخر جهدا في تحريرمدينة سلا من سطوة القشتاليين، بعد دخولها سنة 658هـ/1260م، و نجح في إجلائهم عنها بعد أن أطبق حصاره على المدينة مدة أربعة عشر يوما[217]. ويشير صاحب الإتحاف إلى أن السلطان يعقوب ابن عبد الحق قد شارك في تسوير المدينة من الجهة الغربية، ممكنا الصخر بيديه، فبنى سورها الغربي من ناحية الوادي من أول دار الصنعة إلى البحر[218]. وكان السلطان قد أوكل بناء دار صنعة المدينة للمهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبد الله ابن الحاج الإشبيلي " وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية"[219] . وقد جلبت للدار العود من غابة المعمورة [220] لتبنى بطريقة هندسية غاية في الدقة والحرفية من خلال استغلال عمليات المد و الجزر لإخراج السفن إلى نهر أبي رقراق، وقد جعل للدار بابين كان الوادي يدخل من أحدهما و يخرج من الآخر، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل و أريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء و تعوم فيه السفينة، فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي. ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا نحو المئة قدم ليخرج المركب منشور القلاع[221]. وقد عرفت الدار أعمال توسعت وزيادات على عهد السلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بكنيته أبي سعيد، الذي أمر بإنشاء الأجفان الغزوية بها برسم غزو بلاد الروم سنة 711 هـ[222]، و يشير الجزنائي إلى إمدادها بخشب الأرز من موضع خولان ليصنعه المهندسون البحريون سفنا حربية على عهد السلطان أبي الحسن المريني[223].

ومن المحقق أن أبا عنان عمل على تجديد الأسطول المريني بعد نكبة القيروان التي حطمت أسطول أبي الحسن في أخريات أيامه[224]، حيث كان هذا الأخير يقصد بنفسه جبال جاناته(غرب قبيلة زمور) ليشرف بنفسه على قطع الخشب اللازم لصناعة السفن، وساهرا على حسن سير العمل بنفسه محتسبا الأجر و موقنا بحسن الجزاء[225]. هذا زيادة على ما كان المغاربة يحصلون عليه من لوازم وقطع غيار السفن عن طريق التجارة[226].

---

[214] أسكان الحسين ، المعمورة بين الخراب .....م س،ص 29.

[215] الوزان الحسن ، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر،ج1،ط2، دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1983،ص 210.

[216] الدكالي محمد ابن علي ، الإتحاف الوجيز-تاريخ العدوتين-، تحقيق مصطفى بو شعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية،ط2، سلا،1996،ص.82.

[217] كواندرو روجي، قراصنة سلا، ترجمة محمد حمود، مطبعة الأمنية،ص.28.

[218] نفسه.

[219] الناصري أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-الدولة المرينية-، تحقيق و تعليق ولدي المؤلف: جعفر الناصري و محمد الناصري،ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص.22.

[220] نفسه.

[221] الدكالي محمد بن علي ، الإتحاف ...م س،ص:77.

[222] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ...م س، ص 398.

[223] الجزنائي، جني زهرة الآس،..م س، ص:37. الحريري محمد ، تاريخ المغرب الإسلامي ..م س،ص287.

[224] المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين..م س.،ص108.

[225] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة-تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم و تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، ج2، دار إحياء العلوم، بيروت،ط1، 1987، ص676.

[226] معلمة المغرب،ج12، ..م س، ص. 3927.

وتشير المعلمة إلى خبو أدوار دار صنعة سلا ارتباطا بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة المرينية منذ السلطان أبي الحسن، ومع توافد المورسكيين واستقرارهم بالرباط تحولت الأنشطة البحرية الجهادية إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق ما كرس تهميش دار صناعة سلا انطلاقا من القرن 11ه /17م. و سيقع الاهتمام بدار الصناعة من جديد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أراد تجديدها بواسطة بعض أهل الخبرة من الدولة العثمانية ، فلما عاينوا المكان قالوا إن ذلك يتطلب عشرين سنة من الاصلاح ، فتخلى عن الفكرة و قرر بناء مدينة الصويرة[227].

وقد حول السلطان العلوي مولاي سليمان دار صناعة سلا إلى حارة لليهود (حي الملاح[228]) بعد أن غمر الميناء بالطمي و الرمال وصار في منجى من موجات المد العالي وأصبح المكان مؤهلا للتشييد و البناء[229].

ج. دارصناعة فاس بالداخل المغربي

أنشأها الخليفة عبد المومن الموحدي بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملتقى واد فاس مع وادي سبو[230]، وقد تخصصت هذه الدار في إنشاء القوارب و السفن الصغيرة عندما كان الخليفة يستعد لتحرير المهدية بأفريقية من هيمنة النورمانديين وإرغامهم على العودة إلى ميناء صقلية سنة 552ه / 1157م[231]. وقد استمرت هذه الدار في نشاطها حتى في عهد بني مرين حيث نجد السلطان أبا عنان يأمر بإنشاء جفنين أحدهما شيطي يجر مئة و عشرين مجذافا و الثاني شلير يجر ستين مجذافا، كانا قد دفعا بوادي سبو ليصلا معمورة سلا سنة 756ه، عند المصب ومن تم دخولهما البحر المحيط ليصبحا بعد ذلك جاهزين للخدمة [232].

وتجدر الإشارة إلى أن دار الصناعة هذه هي الوحيدة من نوعها التي تشير إليها مصادر العصر الوسيط كدار أنشئت على واد يخترق مدينة داخلية، في حين جرت العادة أن تنشأ دور الصنعة على مراسي مدن ساحلية، تشترط فيها طبوغرافية معينة حتى تدخل الخدمة.

يشار أن مدينة فاس كانت تتوفر على جمهور من الصناع المهرة المتخصصين في صناعة المراكب[233] .

وارتباطا بموضوع الخشب أنشئت المناشر التي كانت تتولى نشر جذوع الأشجار ، وقد ذكر ابن خلدون أن صناعة النجارة من ضروريات العمران ، وأن الأمم كلما مالت إلى الترف إلا وانعكس ذلك على التفنن و التأنق في هذه الصناعة[234]، هكذا كانت صناعة السفن تتم في مناشر يشرف عليها أهل الخبرة و المهارة حتى اشترط فيهم ابن خلدون أن يكونوا مهندسين عارفين بتناسب المقادير ومتقنين ليتمكنوا من إخراج الصورة من القوة الطبيعة إلى الفعل على وجه الإحكام[235]. وقد بلغ عدد هذه المنجرات حسب ابن الخطيب حوالي أربعين منجرة[236]، ولا شك أن هذا العدد يدل بشكل جلي على أهمية الألواح

---

[227] نفسه.

[228] كواندرو، قراصنة سلا...م س،ص.28.

[229] Terras.H,Les portes de l'arsenal de Salé, Hesperis, Volume 2,1922,1922,p370

[230] الجزنائي، جني زهرة الآس .....م س،ص 37.

[231] مزاري توفيق عبد الصمد، التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، مؤسسة شيكو للطباعة والنشر، المدية، 2009 ، ص220.

[232] الجزنائي، جني زهرة الآس...م س، ص37.

[233] التازي عبد الهادي،ميناء فاس في المصادر المغربية و الأجنبية،مجلة أكاديمية المملكة المغربية،العدد 17،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،2000،ص30.

[234] ابن خلدون ،المقدمة، تحقيق و تخريج و تعليق: عبد الله محمد الدرويش، ج2، الطبعة الأولى،دمشق،2004 ،ص107.

[235] ابن خلدون ،المقدمة ،....م س،ص.108.

[236] ابن الخطيب السلماني لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، تحقيق و دراسة: الدكتور محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002،صص.38-37.

المنشورة التي كانت تدخل في صناعات مختلفة ومنها صناعة السفن. وقد أدرك الوزان عدة مناجر في فاس كان يعمل بها عبيد مسيحيون كانت أجرتهم هي قوتهم اليومي بدل المال. فيقول:" وفي المدينة مستودعات كبيرة ينشر فيها الخشب من مختلف الأنواع ، ويقوم بهذا العمل عبيد مسيحيون يعطيهم أسيادهم ما يقتاتون به بدلا من المال الذي يربحونه ، و لا يمنحونهم وقتا للراحة غير نصف يوم الجمعة من الظهر حتى المساء ، فضلا عن نحو ثمانية أيام موزعة على السنة بمناسبة أعياد المسلمين[237].

3. دور الصناعة بالأندلس

تمتاز الأندلس بامتداد سواحلها على الواجهتين الشرقية و الجنوبية للمتوسط والواجهة الشمالية الغربية للأطلنتي، ما جعلها عرضة لعديد غارات شعوب حوض المتوسط والشمال الأوربي كالنورمانديون و الإفرنج.. ، إلى جانب حملات عسكرية لسلالات حكمت بلاد المغرب الأقصى، فكانت الأندلس بذلك " دارا و موطن رباط"، جعل أمراءها يوقنون بضرورة بناء قوة بحرية، و إنشاء أساطيل حربية على درجة عالية من الكفاءة و المنعة قادرة على حماية ثغورها من أي غزو، و لذلك انتشرت دور صناعة السفن على طول سواحلها وتحديدا بالجنوب الأندلسي و على الساحل الشرقي منها[238]، وخاصة منذ أيام القوط حكام شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح العربي الإسلامي وخلاله، هذا الفتح الذي لم يكن ليتأتى لولا استخدام السفن[239]. التي يظهر أن إنتاجها كان كبيرا إذ تذكر الروايات أن عدد السفن التي استخدمت في إخضاع سكان جزيرتي ميورقة و منورقة سنة 849(234) حوالي 300 سفينة، كما استخدمت اعداد كبيرة من السفن لحراسة الشواطئ الأندلسية من هجمات النورمانيين سنة 844(229). ولا شك أن توفر هذا الأسطول لغرض الدفاع و التجارة، كان سببا مهما في توفير الاستقرار النسبي المطلوب للاستمرار في تطوير البنية الصناعية الأندلسية و زيادة رخاء البلاد[240].

3.1. دور الصناعة بالسواحل الشرقية من الشمال إلى الجنوب.

أ. دار صناعة طرطوشة

أنشئت بها دار الصناعة سنة 333هـ/945م، وكانت المراكب تصنع فيها من خشب جبالها الصنوبري، الذي يمتاز بطوله و غلظه و صفاء بشرته و صلابته و مناعته ضد التسوس ومنه تتخذ صواري السفن[241]. ولعل إحاطة غابات الصنوبر بالمدينة دفع بالخلافة لتنشيط دار صناعتها منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجري، حسب إحدى النقائش الحجرية التي تذكر أن قائد عبد الرحمان الناصر، عبد الله ابن كليب بنى بها دارا بحرية لإنشاء السفن والعناية بالأسطول[242]. ولا زالت اللوحة التذكارية التي سجل فيها الناصر إنشاء دار صناعة طرطوشة سنة 333هـ مثبتة على الجدار الشمالي من كاتدرائية طرطوشة[243].

---

[237] الوزان،وصف إفريقيا..م س،ج1،ص.247.

[238] بشتاوي عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، مطابع انترناشيونال برس، ط1، القاهرة،1983،ص 73.

[239] المجالي سحر عبد المجيد مناور، الجيش الأندلسي(138-488هـ/756-1031م)، رسالة استكمال متطلبات الدكتوراة في التاريخ، إشراف: الدكتور محمد عبده حتامله،كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، نوقشت بتاريخ 1995/05/727م، ص71.

[240] بشتاوي عادل سعيد، الأندلسيون المواركة...، م س،ص 73.

[241] الادريسي،نزهة المشتاق، المجلد 1 ،..م س، ص555

[242] حناوي محمد، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة و الطوائف، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، ط 1، الرباط، 2003، ص317.

[242] الزهري محمد بن ابي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،ص 321.

[243] سالم و العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية..المصدر السابق،ص 175

ب. دانية

يقول عنها الإدريسي:" وهي مدينة تسافر إليها السفن و بها ينشأ أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها يخرج الأسطول للغزو و منها تخرج السفن إلى أقصى المشرق[244]". ويعزز الحميري ما انصرف إليه الإدريسي مضيفا إلى أنها تعرف رواجا منقطع النظير بقوله:" والسفن واردة عليها صادرة عنها[245]"، وقد استطاعت دار صناعة دانية منافسة دار ألمرية التي سبق و أشرنا أنها شكلت قاعدة للأسطول الحربي الأندلسي[246]، خاصة في عهد مجاهد العامري حاكم طائفة دانية و الجزائر الشرقية، الذي كان يهندس لمشروع ضخم يقتضي منه مضاعفة الأساطيل، لذلك صب اهتمامه على تجديد دار صناعة السفن القديمة التي كانت بدانية، ومضاعفة طاقتها لتمده بالسفن المقاتلة و الناقلة من مختلف الأحجام، و استكثار من السفن و المعدات الحربية، و قد استطاع في فترة قصيرة أن ينشئ أسطولا كبيرا يرابط في مياه دانية و الجزائر ويلوح ببصره اتجاه جيرة سردينيا آملا أن يركعها تحت سلطانه، هكذا غدت دانية فيما بعد، في عصره وعصر ولده علي، أعظم مركز للأساطيل الأندلسية[247].

ج. لقنت

على الرغم من صغرها فقد عرفت هذه المدينة الواقعة بالساحل الشرقي للأندلس رواجا منقطع النظير. وتحصينا لها فقد أحيطت بقصبة منيعة في أعلى الجبل، وبنيت بها دار صناعة تخصصت في إنشاء المراكب السفرية و الحرارق[248].

د. دار صناعة ألمرية

في عصر الخلافة ارتفعت مكانة ألمرية و أصبحت اهم موانئ الأندلس في القرن الرابع الهجري، و أشهر مراسيها و أعمرها، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الأسطول الأموي في الأندلس[249]، نظرا لشساعته و تعمقه بحيث يمكنه أن يضم عددا كبيرا من السفن. بالإضافة إلى أنه كان يمتاز بهدوء مياهه و قلة أمواجه[250] ، فاستحق مرفؤها أن ينعت بمرفأ الأندلس للحط و الإقلاع[251].

تتفق المصادر على أن ألمرية أكبر دار لصناعة الأساطيل الحربية و التجارية بامتياز، وربما هي الأكبر في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[252]. وعن ذلك يخبرنا الزهري في مؤلفه كتاب الجغرافيا:" وهذه المدينة لم يكن في بلاد الأندلس أعظم منها أجفانا و حركة في البحر، و قد انتهت أجفانها وبلغت المئة، ولم تبلغ مدينة ما بلغتها في هذا

---

244 الادريسي، نزهة.. م2،..م س.ص557.

245 الحميري،صفة... م س.ص 232.

246 حناوي، النظام العسكري... م س،ص321.

247 عنان عبد الله، دولة الاسلام في الأندلس- العصر الثاني: دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي-، مطبعة المدني، ط4، القاهرة، 1997،ص190.

248 الادريسي، نزهة المشتاق...المصدر السابق،ص.557.الحميري محمد بن عبد الله، صفة جزيرة الأندلس .....، م.س، ص170.

249 سالم عبد العزيز، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية- قاعدة أسطول الأندلس-، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر، الاسكندرية،1984،ص37.

250 سالم و العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية ....م س، ص 180.

251 ابن خلدون، المقدمة، ج2، نقلا عن سالم عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية، المصدر السابق،ص 37.

252 حناوي محمد، النظام العسكري بالأندلس في ... م س، ص317.

الفن[253]". ويضيف صاحب المعيار مسهبا في وصف المدينة و مثنيا على أسطولها قائلا:" قلت: فمدينة ألمرية؟ قال: المرية هنية مرية بحرية برية، أصيلة سرية...و حبوة الأسطول" بمعنى قاعدة الأسطول[254].

يرجع الفضل في إنشاء دار الصناعة بألمرية إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر، أقامها بها خلال تأسيس المدينة[255] وكان ذلك سنة 344هـ[256]، و أحاطها بسور ممتد على طول ضفة البح، وجعلت فيها العدة و الآلات للسفن و لما يقوم به الأسطول[257]، وكانت قد قسمت فيما بعد إلى قسمين، قسم خصص لصناعة المراكب الحربية و الآلة و العدة، وقسم أنشئت به القيسارية للقيام بأعمال التجارة[258]، وكان يحصن دار الصناعة هاته برج يقوم على بابها، مهمته تدعيم أسوارها و الدفاع عنها في حالة اقتحام الأعداء لثغر المرية[259].

ظلت ألمرية بفضل دار صناعتها تحتل المركز الأول بين قواعد الأسطول الأندلسي خلال عصر الطوائف لكثرة سفنها و دينامية دار صناعتها في الإنتاج و خاصة في عصر المعتصم بن صمادح (444-408هـ/1052-1087م)[260]. واستمر تألقها بعد جواز المرابطين لبلاد الأندلس، وهي الآن سنة 527هـ أعمر دار في الدنيا متخذة لهذا الشأن فيها من الآلات البحرية و العدد الحربية ما لم تجمعه دار قط[261].

هـ. المنكب

بها دار صناعة لإنشاء السفن[262]. يقول عنها لبن الخطيب" منشأ الأسطول، بعدته غير ممطول، و أمده لا يحتاج إلى الطول[263]" .

و. مالقة

أنشئت بها دار صناعة لإنشاء الحراريق[264]. ويقول عنها صاحب المعيار" اضطبنت دار الأسطول[265]" بمعنى احتضنت.

---

[253] الزهري ، كتاب الجغرافية، المصدر السابق، ص. 101.

[254] ابن الخطيب السلماني لسان الدين، معيار الاختيار ...م س،ص 100.

[255] المقري احمد بم محمد التلمساني، نفح الطيب ....م س،ص 162.

[256] الرشاطي أبو محمد و الاشبيلي ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار و في اختصار اقتباس الأنوار، تقديم و تحقيق إيميليو مولينا و خاثينتو بويك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1990،ص59.

[257] ابن غالب الحافظ بن أيوب، قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، نونبر 1955،ص 283.

[258] العذري أحمد بن عمر، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار، و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دون تاريخ،ص86.

[259] نفسه ، ص83.

[260] نوح فوزية عبد الحميد، البحرية الإسلامية في عهد المرابطين و الموحدين، رسالة دكتوراة تحت إشراف وفاء عبد الله المزروع، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1419هـ موافق 1998م، ص50.

[261] الرشاطي و الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار....م س، ص.60.

[262] القلقشندي أحمد، صبح الأعشى ،ج5، دار الكتب الخديوية،القاهرة،1915،ص218.

[263] ابن االخطيب،المعيار..م س، 96.

[264] العمري شهاب الدين،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4-الممالك الإسلامية في اليمن و المغرب و الأندلس و أفريقيا، تحقيق محمد عبد القادر خريسات و عصام هزايمة و يوسف بني ياسين، مركز زايد للتراث و التاريخ، الامارات،2001، ص145.

[265] ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار، ....م س، ص89.

ز. دار صناعة شلوبينية

إلى الجنوب من مدينة غرناطة الداخلية وهي الأخرى ساهمت في بناء السفن[266] .

ح. الجزيرة الخضراء

تتمتع هاته المدينة بموقع استراتيجي هام على البحر المتوسط وهي واحدة من أقرب نقط الجواز للعدوة المغربية و عن ذلك يقول ابن سعيد " مرساها أحسن المراسي للجواز[267]". ولذلك بنى بها الخليفة عبد الرحمان الناصر دارا هائلة لصناعة الأساطيل الحربية ذات أسوار و حصون[268]، ومن دوافع بنائها رغبة الناصر لدين الله تأمين البحر و قطع الطريق أمام معارضيه وعلى رأسهم عمر ابن حفصون (267-316هـ/880-929م) و أصحابه من خلال اتخاذهم لها كقاعدة خلفية لزعزعة سلطان بني أمية في الأندلس و الدعوة إلى الخلافة العباسية، و لتعزيز هذا الأمان أنشأ دار الصناعة بالمدينة و أتقن بناءها، و على أسوارها[269]. وأغلب الظن أنه وزع أسطوله على السواحل الجنوبية و الجنوبية الشرقية من الأندلس حتى يمنع وصول الإمدادات من القيروان إلى ابن حفصون الثائر[270].

3.2. دور صناعة السواحل الغربية من الجنوب إلى الشمال الأندلسي

أ. شلطيش

امتازت هاته المدينة حسب الإدريسي بصناعة الحديد، ما أهلها أن تحتضن دارا لصناعة المراسي التي ترسو بها السفن و المراكب الحمالة الجافية[271].

ب. شلب

تعد مدينة شلب من المراسي المعروفة بإنشاء السفن من خشب جبالها، وتصدر عبر مرساها النهري[272]. وقد اشتهرت بدار صناعة لبناء السفن[273].

د. قصر أبي دانس

أنشأ بها المنصور بن أبي عامر أسطولا كبيرا و جهزه برجاله البحريين و صنوف المترجلين، استعدادا لقتال النصارى و الإطاحة بهم في معقلهم بمدينة شنت ياقوب سنة 387هـ[274].

3.3. دور الصناعة بالعمق الأندلسي

أ. دار صناعة قرطبة

---

[266] القلقشندي،صبح الأعشى.....م س،ج5،ص 235.

[267] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق و تعليق: الدكتور شوقي ضيف، ج1،ط 2، دار المعارف، مصر، 1964، ص. 320

[268] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1971، ص90.

[269] الحميري محمد بن عبد الله، صفة جزيرة الأندلس... م س، ص 73.

[270] العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس،.....م س، ص.174.

[271] الادريسي،نزهة... المجلد 1....، م س، ص 542

[272] الإدريسي، نزهة..م س،م2،ص543.و الحميري، صفة جزيرة الأندلس ... م س، ص 107.

[273] ابن الآبار محمد ابن عبد الله، الحلة السيراء،تحقيق و تعليق الدكتور حسين مؤنس، ج2، ط2،دار المعارف،القاهرة، 1985، هامش ص203.

[274] ابن عذاري المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق كولان(ج.س)،ل. بروفنسال، دار الثقافة،ج2، ط2، بيروت، 1980 ، ،ص 295.

كان الأمير محمد (238-373هـ/ 852-886م) قد أمر بإنشاء المراكب بنهرها ليتوجه بها إلى البحر المحيط سنة (266هـ/ 879م)، موكلا المهمة لابن مغيث لأجل التصدي للمخاطر التي تمثلها غزوات النورمانديين بحرا[275]، ولأجل ذلك مرة أخرى أمر الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961-976م) أحد قواده وهو ابن فطيس أن يجهز أسطولا من دور صناعة قرطبة لمواجهة تعاظم خطر النورمانديين سنة (356/ 869م)، على أن تتخذ هاته المراكب هندسة شبيهة بمراكب هؤلاء المجوس القادمين من الشمال، آملين مصادرة مراكب الغزاة وممنين النفس بصعودها[276].

ب. دار صناعة إشبيلية

كانت دار صناعة السفن في إشبيلية قائمة منذ الفتح العربي، لكنها تعرضت للإهمال مدة من الزمن، حتى جاء عبد الرحمان بن الحكم (176-238هـ/792-852م) وجددها، و لعله أضاف إليها منشآت معمارية جديدة كي تنشط في إنتاج العديد من السفن و اهتم خاصة بصنع السفن الحربية الكبيرة بعد غارة النورمانديين عليها سنة (230هـ/844م)، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم و وسع عليهم، و استعد بالآلات و النفط[277]. فكانت نواة الأسطول الأندلسي الكبير الذي بلغ في عهد عبد الرحمان الناصر زهاء مئتي سفينة[278]، وفي عهده أنشئ الأسطول الإسلامي بشكل رسمي في الأندلس[279]. تجددت هذه الدار في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة 580هـ/ 1184م[280] ، بعد أن أمر عامله أبا داود يلول بن جلداسن ببناء دار صنعة للقطائع تتصل من سور القصبة الذي على باب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل[281].

خاتمة

ومما سلف يمكن تسجيل الخلاصات التالية:

1- امتداد سواحل الأندلس و تزايد احتمالية التدخل الأجنبي، فرض تعدد دور صناعة السفن بالأندلس أكثر مما هو عليه الحال بالنسبة للمغرب الأقصى.
2- عرفت دور الصناعة بالأندلس نوعا من الفتور خلال فترة ملوك الطوائف حيث تقلص دور الأسطول وتجمدت دينامية الإنتاج بهاته الدور، وذلك لانشغال هؤلاء الملوك بصراعاتهم الداخلية وسعيهم لتثبيت عروشهم، متجاهلين الأخطار الخارجية المحدقة بهم، لكن استطاعت هاته الدور تجديد دماءها بعد جواز حكام المغرب الأقصى الذين عملوا على تجديد العديد منها.

---

[275] نفسه، ص104.

[276] ابن عذاري، البيان..م س،ص239.

[277] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة،1989،ص.ص.82-83.

[278] عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس- من الفتح إلى بداية عهد الناصر-، مطبعة المدني،ط4، القاهرة،1997،ص264.

[279] الزغلول محمد حسين، الصناعة البحرية في الأندلس منذ عهد الخليفة الحكم بن عبد الرحمان (المستنصر بالله) إلى نهاية الدولة الأموية في الأندلس (350-466هـ/961-1031م)، مجلة كان التاريخية، السنة الحادية عشر، العدد الواحد و الأربعون، شتنبر 2018،ص84.ال

[280] السيد كمال أبو مصطفى،تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين ، مركز الاسكندرية للكتاب،مكتبة المهتدين الاسلامية،الاسكندرية،ص 252.

[281] ابن صاحب الصلاة، المن....م س،ص 391.

3- حالة السبق الحضاري الذي عرفته الأندلس خلال عصر الخلافة الأموية انعكس على استراتيجياتها العسكرية وجعلها تلوح بعينيها نحو الضفة المغربية الجنوبية، كخطوة استباقية تجعلها في مأمن من أي خطر جواز قادم من الجنوب.

4- إسهام حكام المغرب الأقصى بعد جوازهم للأندلس في تجديد دور الصناعة كموروث حضاري أموي، شكل جزءا هاما من الثقافة البحرية المشتركة في المنطقة.

5- مهارة إنشاء و هندسة دور الصناعة بالمغرب الأقصى ليست معطى حرفي محلي، بل هي خبرة مشرقية منقولة. على اعتبار أن الشعوب الحوض الشرقي للمتوسط (مصر و بلدان الشام)، اكتسبت خبرة حربية بحرية قبلية، نتيجة احتكاكها و اصطدامها بالبيزنطيين.

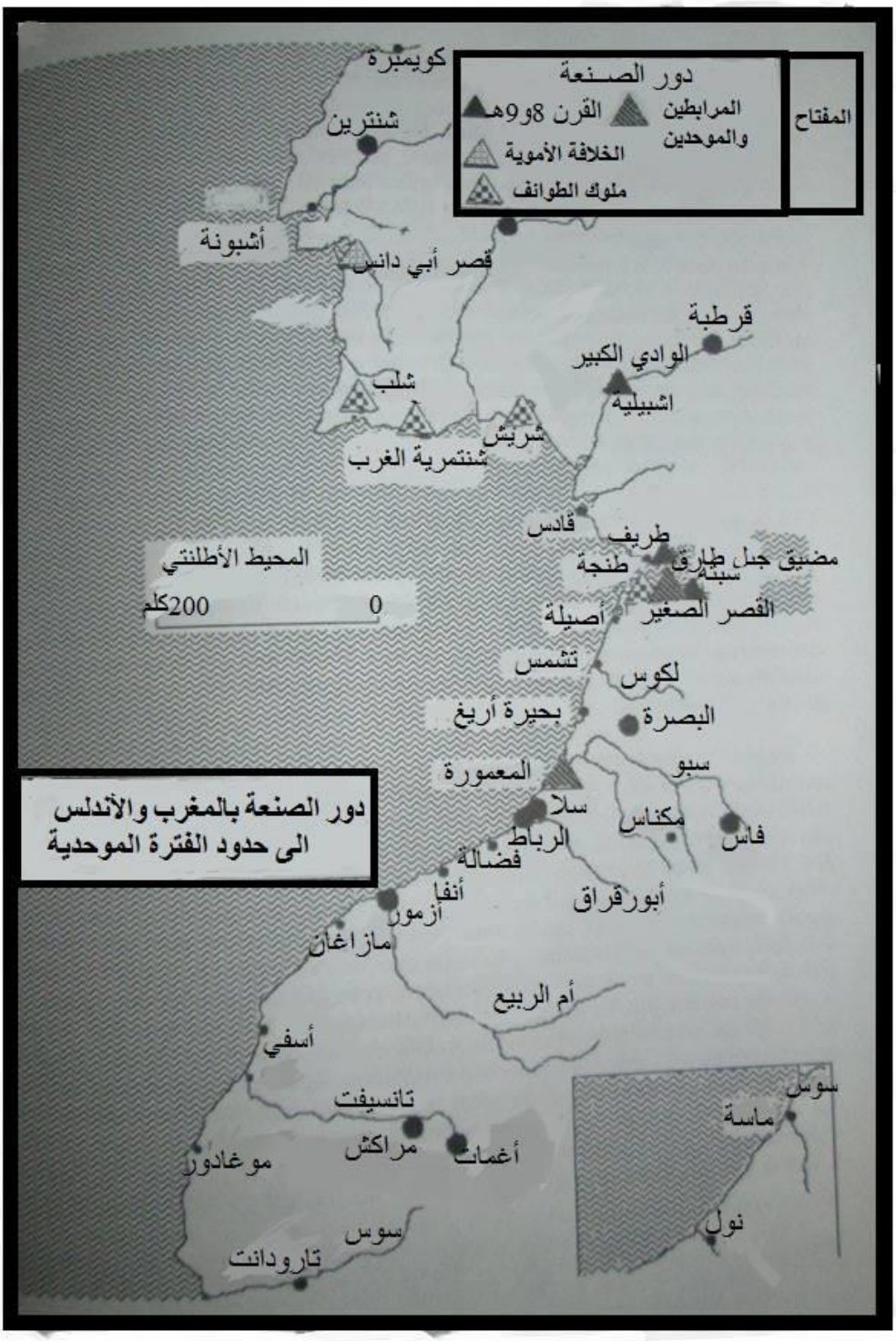

Source : Picard Christophe,L'océan Atlantique musulman de la conquete arabe à l'époque almohade,Editions Maisonneuve & Larose/editions UNESCO,Paris,1997.,P : 279 ✓

الموانئ ودور الصناعة الأندلسية

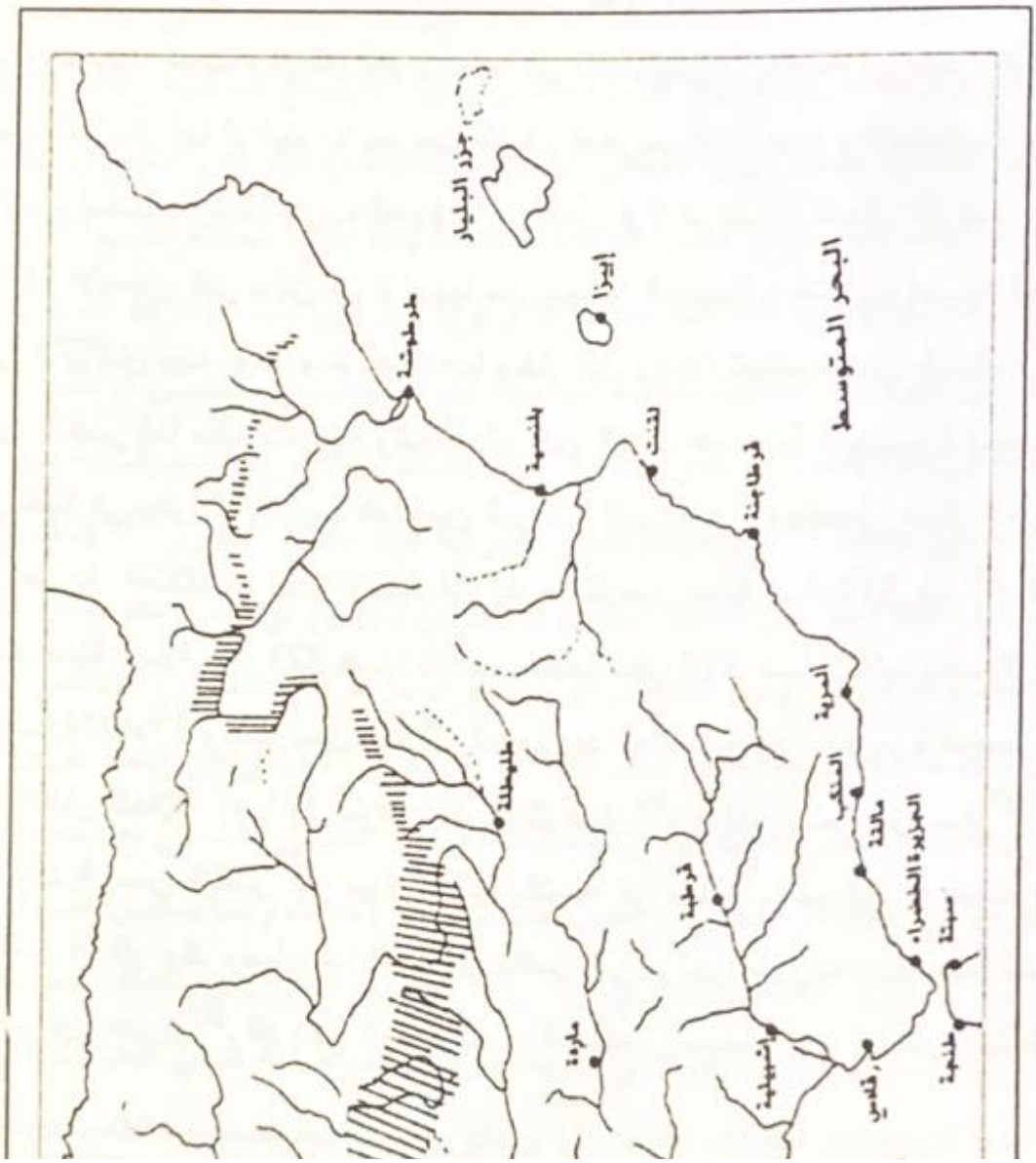

حناوي محمد، النظم العسكرية...م س، 323.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

جوانب من تاريخ فوتاجالون وشعب اليالونكي قبل الحماية الفرنسية

Aspects of the History of Futa-Djallon and the Yalunka People Before the French Protectorate

ذ.يوسف المساتي
Youssef El Moussati

طالب باحث في سلك الدكتوراه، تخصص تاريخ وعلم الآثار الإسلامي، مختبر "علامات وأركيولوجيا، التاريخ وعلم النفس: مقاربات مقارنة" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، جامعة الحسن الثاني-الدارالبيضاء.

PhD candidate specializing in Islamic history and archaeology, Laboratory of "Signs and Archaeology, History and Psychology: Comparative Approaches," Faculty of Arts and Humanities Ain Chock, Hassan II University, Casablanca.

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة تاريخ منطقة فوتاجالون وشعب اليالونكي في غرب إفريقيا قبل الحماية الفرنسية عام 1898. سلطت الضوء على أصولهم العرقية، ودورهم في التجارة الإقليمية، وتأسيس الإمارة الإسلامية في فوتاجالون في القرن الثامن عشر. كما استعرضت مواجهتهم للأطماع الفرنسية على مدى قرن من الزمن قبل فرض الحماية الفرنسية عليها، ونقد الأطروحات الكولونيالية التي حصرت الصراعات في المنطقة في الأبعاد الدينية والعرقية، متجاهلة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: اليالونكي، فوتاجالون، الاستعمار الفرنسي، غرب إفريقيا، الإمارة الإسلامية.

Study Summary

This study examines the history of the Fouta Djallon region and the Yalunka people in West Africa before the French protectorate in 1898. It highlights their ethnic origins, role in regional trade, the establishment of the Islamic emirate in Fouta Djallon in the 18th century, and their century-long resistance to French ambitions before the imposition of the French protectorate. The study also critiques colonial narratives that framed the conflicts in the region in terms of religious and ethnic dimensions, ignoring the economic and social aspects.

Keyword: Yalunka, Futa-Djallon, French colonialism, West Africa, Islamic emirate

مقدمة:

تعد دراسة تاريخ الشعوب الإفريقية مدخلا أساسيا لفهم تاريخ القارة، وتشكل منطقة غرب إفريقيا خزانا بشريا وثقافيا واقتصاديا مهما، إذ شكلت عبر التاريخ نقطة التقاء للعديد من الشعوب والإثنيات، ومنطقة جذب للعديد من القوى الاستعمارية، التي حاولت السيطرة على مواردها وثرواتها، وهو ما أدى إلى صراعات ونزاعات سياسية واقتصادية، أثرت في تاريخ المنطقة وثقافتها.

وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف جوانب من تاريخ منطقة فوتاجالون وشعب اليالونكي[282]، وهم من أقدم المكونات الإثنية في منطقة فوتاجالون، وهي مهد هذا الشعب، ومركز تاريخه وثقافته، لدرجة حملت اسمه فيما مضى "جالونكي" أو بلاد "الجالونك"، قبل أن تتغير إلى "فوتاجالون" مع تأسيس الإمارة الإسلامية على يد البولار في القرن الثامن عشر.

[282] - إذا أردنا الترجمة الدقيقة لاسم هذا الشعب إلى اللغة العربية فيجب أن تنطق "الجلندي"، بينما ترد في النطق الأجنبي بصيغ متعددة (جالونكي، يالونكي، ديالونكي ...)، ويبدو من العودة إلى النطق المحلي أنها تقترب من النطق العربي "الجلندي".

وتميزت المنطقة بتاريخها العريق وثقافتها الغنية، وتنوعها العرقي واللغوي، كما أنها شكلت مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا لعدة قرون، وشهدت صعود وسقوط العديد من الإمبراطوريات والممالك. وعلى المستوى الجغرافي تحظى المنطقة بأهمية بالغة، فهي خزانً للمياه، تنبع منها العديد من الأنهار الرئيسية في المنطقة (نهر السنغال وغيرها)، كما أنها تتميز بتنوعها البيولوجي والحيواني.

لعب اليالونكي[283] دورا مهما في تاريخ المنطقة وثقافتها واقتصادها، حيث عرفوا بنشاطهم التجاري والزراعي والرعوي، كما عرفوا بمقاومتهم للاستعمار الفرنسي، ومشاركتهم في العديد من الحركات التحررية في المنطقة كحركة ساموري توري، بالإضافة إلى مساهماتهم الكبيرة في التجارة الإقليمية، وخاصة تجارة الذهب والعبيد، والنشاطات الزراعية والرعوية.

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز المراحل التاريخية في تاريخ المنطقة وشعب اليالونكي قبيل فرض الحماية الفرنسية عليها (سنة 1898)، حيث اعتمدت على المنهج التاريخي، عبر التركيز على التوطين الجغرافي والوصف الكرنولوجي للأحداث التي عرفتها منطقة فوتاجالون في المرحلة قبل الاستعمارية.

وقد كان من اللافت أثناء الاشتغال على هذا الموضوع أن أغلب الكتابات متأثرة بالنفس الاستعماري، حصر الصراعات التي شهدتها المنطقة في البعد الديني أو العرقي، وتجاهلت الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية، التي كانت وراء هذه الصراعات، وهو ما يستدعي مراجعات وتصحيحات للسرديات التقليدية لتنقيحه من الرواسب الاستعمارية، التي حاولت تشويه صورة هذه الشعوب وتاريخها، وترسيخ نظرة دونية لها.

أولا: الجغرافيا والاقتصاد في فوتاجالون

يعيش اليالونكا في مواقع كثيرة، لكنهم يتوزعون على ثلاث مناطق رئيسية هي:

1- بلاد سوسو، أي أحواض الأنهار الساحلية من نهر نونيز إلى نهر كولنتي أو نهر سكارسي العظمى.
2- فوتاجالون[284]: منطقة جبلية يستوطنها شعب الفولا إضافة إلى اليالونكي الذين يعتبرون سكانها الأصليين.
3- بلاد مالينكي: تمتد في الحوض الأعلى لنهر النيجر، وتشكل دائرة كوروسا، وسيغيري، وكانكان، وجزء من دائرة فارانا، كورانكو، التي شكلت جنوب دائرة فارانا، ودائرة كيسيدوغو، وجزء من دائرة بيلا، ويتواجد بها اليالونكي القادمين من فوتاجالون على مدار قرون، والذين يمتدون على الضفة اليسرى لنهر النيجر العلوي[285].

لكن وجودهم التاريخي منذ قرون تركز في منطقة فوتاجالون، وهي "عبارة عن مزيج من السافانا والغابات، مع هيمنة الجبال التي معظمها يقع على ارتفاع 1000 إلى 2000 قدم فوق مستوى سطح البحر"[286] وتشكل منطقة فوتاجالون القلب النابض تاريخيا وجغرافيا لليالونكا، فهي مهدهم الرئيسي ومنطقتهم الأساسية، كما أنها حملت اسمهم لقرون قبل تغييره في القرن الثامن عشر، وتعني "جالون" باللغة المحلية لليالونكا "جبل"[287] وفوتا يعني المرتفع بلغة اليالونكا.

---

283 - تجب الإشارة إلى أن هذا الشعب امتد على منطقة جغرافية واسعة سابقا شملت مالي وسيراليون وغينيا، وإن كانت أهميتهم قد تراجعت حاليا.

284 - هي التي تتركز حولها هذه الدراسة.

285- Charles Simond, Les Français en Afrique au XIXe siècle. Ouvrage orné de 43 cartes et de 247 photographies (Paris: H.-E. Martin, 1901), p 143-144.

286- André Metz, "Étude d'une nouvelle voie de communication de la Guinée française vers le Niger," Revue du Génie Militaire (Berger-Levrault, 1 juillet 1896), p 509-512

287 - William J. Samarin, "The Colonial Heritage of the Central African Republic: A Linguistic Perspective," The International Journal of African Historical Studies 22, no. 4 (1989), p702

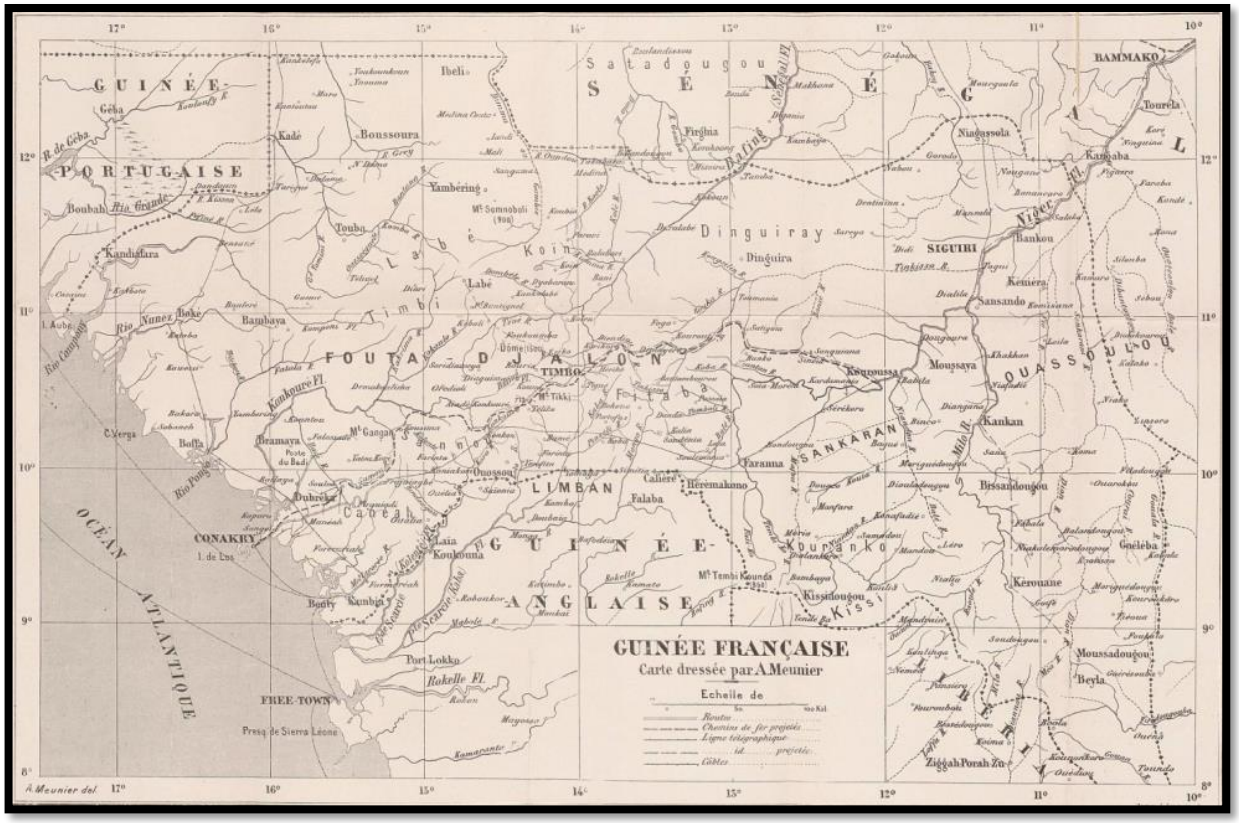

الصورة 01: خريطة قديمة لموقع فوتاجالون ضمن غينيا الفرنسية

Famechon, M. Notice sur la Guinée française. Publiée à l'occasion de l'Exposition Universelle. Conakry: Comité Local de l'Exposition, 1900. P230.

تحتل فوتا جالون المنطقة الجبلية من الجزء الشمالي من غينيا، على حدود السنغال ومالي[288]"، ولا يوجد ترسيم جغرافي دقيق لفوتا جالون، بينما تتوزع الحدود الطبيعية لأحواض المرتفعات الجبلية في ثلاث من المناطق الأربع الكبرى لجمهورية غينيا، وتمتد قليلاً إلى الدول المجاورة السنغال وسيراليون، وتقدر مساحتها ب 59 ألف كلم مربع.

تعد المنطقة منبعا أساسيا للمياه في المنطقة وافريقيا عموما، حيث تنبع بها عدة أنهار كبرى من أبرزها بافينغ (يُطلق عليه اسم السنغال السفلي) وباكوي، اللذان يكونان عند التقائهما نهر السنغال، الذي يتدفق عبر السنغال غربا ليصب في المحيط الأطلسي، كما ينبع من هذه المرتفعات نهر تينكيسو، أحد روافد نهر النيجر الذي يتدفق شرقا عبر مالي والنيجر ونيجيريا ليصب في خليج غينيا. و"بين بافينغ وباكوي، كما هو الحال بين باكوي والنيجر (وخاصة في هذه المنطقة الأخيرة)، تتدفق العديد من الأنهار، تتخذ معظمها أيضًا شكل قوس دائري بانحناء أكثر أو أقل وضوحًا، وتنتهي بالتدفق غربًا في حوض السنغال. أقصى شرق هذه الأنهار هو باولي (النهر الأحمر)، والذي يبدو مترددًا لفترة طويلة بشأن المسار الذي يجب أن يتبعه، حيث يرتفع شمالًا كما لو كان سينضم إلى النيجر، ثم يتراجع إلى الجنوب الغربي قبل أن يتجه غربًا"[289].

[288] - Orange, Didier. Hydroclimatologie du Fouta Djalon et Dynamique Actuelle d'un Vieux Paysage Latéritique (Afrique de l'Ouest). Thèse de doctorat, Sciences de la Vie et de la Terre, Institut de Géologie Strasbourg, Université Louis Pasteur de Strasbourg, 1990, p7

[289]- Tellier, G. "Autour de Kita: Étude Soudanaise". Paris et Limoges: Imprimerie et Librairie Henri Charles-Lavauzelle, 1902, P11-22. Simond, Les Français en Afrique, p 143-144

على ضفاف نهري باكوي وبافينغ امتدت عدد من المناطق والقرى والمستوطنات البشرية (كولو، كانكوماكانيا، بوكيه) التي عمرها اليالونك والمالنكيين والمالينكس والتكرور والفولان، مع سيادة لهجة اليالونك[290]، الذين على اختلاف اثنياتهم يمارسون الزراعة المعاشية، حيث يعتبر الأرز والدخن محاصيلهم الأساسية، إضافة إلى الفول السوداني والبطاطا الحلوة والذرة والفاصوليا، والأرز والجلود والعاج، وشمع العسل. كما عرفوا بصيد الأسماك، مع عدم ميلهم إلى الأنشطة الحرفية أو الصناعية، برغم وجود بعض الخزافين وصانعي الأحذية والحدادين بينهم[291]، في مقابل نجاحهم في التجارة، حتى "كانوا التجار الأكثر نشاطًا على ساحل غينيا العليا وفي المناطق الداخلية"[292].

عرف اليالونكي من سكان فوتا جالون، بممارستهم لتربية النحل والدواجن والمواشي التي توفر الحليب ومشتقاته كالجبن والألبان[293]، كما أنها تعتبر من علامات الثراء، إذ تستخدم في الاحتفالات الاجتماعية، وتقدم مهرا للعروس، كما تستخدم وسيلة للتبادل والمقايضة[294]. ويكلف الأطفال في العادة بالرعي، بينما تتكلف النساء بحلب الأبقار ومساعدة الرجال في بعض الأعمال الزراعية[295]، مع الإشارة إلى أنه خلال القرون الماضية عرف اليالونكيون وغيرهم من سكان فوتاجالون بنهب القوافل واعتراض سبلها[296].

عرفت المنطقة عدة تغييرات مناخية ونباتية أثرت على طبيعة الأنشطة الممارسة فيها، إذ عرفت نشاطا مكثفا لاستخراج الحديد وإنتاجه وتصنيعه، والذي كان ينقل صوب الشمال عن طريق القوافل البرية وشبكات التجارة الساحلية والنهرية"[297]، وبسبب استنزاف قطع الأشجار بعد القرن الخامس عشر ميلادي، اندثرت عدد كبير من الغابات، وهو ما أدى لتحول في طبيعة النشاط الممارس حيث اصبح الاعتماد أكثر على تربية الماشية، كما تم التركيز على تصنيع الحديد، وهي الأنشطة التي أثرت في تقاليد المنطقة اقتصاديا[298]، إضافة إلى تجارة الذهب حيث يبدو أن فوتاجالون كانت أحد المواقع المهمة في تجارة الذهب. ابتداء من خمسينيات القرن الثامن عشر ، سيبدأ سكان المنطقة بالنزوح منها صوب وجهات أخرى خاصة نحو المدن، بحثا عن فرص الشغل وهربا من ظروف الاقتتال في المنطقة[299].

---

[290]- Tellier, ibid, p11-22.

[291]- Metz, "Étude d'une nouvelle voie", p509-512. Société de géographie commerciale (France), "Toucouleurs et Diallonkés de Dinguiraye: Note Ethnographiques," Bulletin de la Société de géographie commerciale de Paris, vol. 35 (Paris: Société de géographie commerciale, 1913), 588-597, pp 594-597.

[292] - Winston McGowan, "The Establishment of Long-Distance Trade between Sierra Leone and Its Hinterland, 1787-1821," The Journal of African History 31, no. 1 (1990), p27-29

[293] - Metz, "Étude d'une nouvelle voie", p509-512. Société de géographie commerciale (France), "Toucouleurs et Diallonkés de Dinguiraye", p 594-597

[294] - Metz, "Étude d'une nouvelle voie", p509-512

[295]- Metz, "Étude d'une nouvelle voie", p 509-512. Seth Opuni Asiama, "Colonialism and the Modern State: Land Tenure Relations in Sierra Leone," Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente 61, no. 2 (Giugno 2006), p 225.

[296]- ربما هذا ما يمكن ان يفسر سبب الحروب التي دارت بينهم وبين الفولاني

[297] - George E. Brooks, "A Provisional Historical Schema for Western Africa Based on Seven Climate Periods (ca. 9000 B.C. to the 19th Century) (Un schéma provisoire de l'histoire de l'Afrique occidentale, fondé sur sept périodes climatiques (de ca. 9000 av. J.-C. au XIXe siècle))," Cahiers d'Études Africaines 26, no. 101/102, , EHESS, (1986): pp 43-62, p52

[298] - ibid, p57

[299]- Metz, "Étude d'une nouvelle voie", 509-512

عرفت المنطقة شبكة تجارية وتواصلية امتدت على قرون، إضافة إلى المراكز التجارية التي أقامها الاوروبيون خلال القرن التاسع عشر على الساحل[300]، ومع بداية سيطرة فرنسا على المنطقة منذ سنة 1880، وفي سعيها المستمر لاستغلال المنطقة بدأت بمجموعة مشاريع مستوى البنية التحتية حيث شقت طريقا مسافته 300 كيلومترا من كوناكري إلى تيمبو المركز الأساسي في فوتاجالون[301].

ثانيا: أعراق و إثنيات الفوتاجالون

استوطن اليالونكي منطقة فوتا جالون، وهي منطقة تتميز بتنوعها العرقي، وتنقسم الأعراق الرئيسية فيها إلى:

- الفولاني (ذوي البشرة الفاتحة): يعيشون في المرتفعات ويتميزون ببشرتهم الفاتحة مقارنة مع الباقي[302].
- العرق الأصلي: يتنوع اسمه حسب الموقع الجغرافي، وينقسم إلى:
  - اليالونكي: يعيشون على ضفاف نهر النيجر، وفي مرتفعات فوتا دجالون[303].
  - الماكيني: يعيشون في كابا[304].
  - السوسو: يعيشون على الساحل الغربي لأفريقيا[305].

وهذه الأعراق ليست ثابتة، بل تنقسم إلى أربعة مكونات أو عائلات كبرى[306]، هي:

1- يالونكي أو سوسو: ومعناها "رجال الجبل، هم مكونون أساسا من السوسو الموجودين في الساحل "الذين طردتهم الغزوات الأولى لشعب الفولاني من بلادهم، حيث لجأ البعض إلى المحيط الأطلسي ونجحوا في احتواء الغزاة"[307]. وهم ينتمون للشعوب المانديه، "ولكنهم ينتمون إلى مجموعة "الفو"، مثل جيرانهم السوسو"[308]، واليالونكي مقسمون إلى قبيلتين فرعيتين "تطلقان على أنفسهما اسمي (لانغا) و(ساكو)"[309].

2- الفولاني بروري: يعتبرون الفولاني أكبر مجموعة عرقية في فوتا جالون، ويسيطرون على معظم المنطقة، وعلى الرغم من أن الكتابات الاستعمارية تصفهم بأنهم غزاة متشددون، إلا أن الدراسات الإثنوغرافية تؤكد أنهم "شعب مسالم وخجول، كثير منهم فولاني خالص، وهم مسلمون غير متشددين"[310]، ويعيشون بشكل رئيسي على الزراعة وتربية الماشية. ولا يبالون بالزعامات السياسية.

3- التكرور: ذهبت بعض الدراسات إلى أنهم ربما كانوا قادة الفولاني قبل وصول السيديانكي، ترك التكرور "الكثير من أفرادهم في السنغال، ولا سيما في سالديه. حيث سمح لهم السيديانكي المسيطر ببعض الامتيازات، ولا سيما الحق في التصويت لتعيين الرؤساء"[311]؛ بينما رجح آخرون أنهم كانوا "موجودين في

---

[300] - Louis Léon César Faidherbe, Notice sur la colonie du Sénégal et sur les pays qui sont en relation avec elle (Paris: Imprimerie Impériale, 1859), p70

[301] - Constant Adolphe Chatelain, L'Afrique et l'expansion coloniale (Paris: H. Charles-Lavauzelle, 1901), p106

[302]- Eugène, Salesses. "De Conakry au Niger." Bulletin de l'Union Géographique du Nord de la France 18 (1897). p65-66.

[303]-ibid. Maurice Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé ou mandingue: étude grammaticale du dialecte dyoula, vocabulaire français-dyoula... étude comparée des principaux dialectes mandé (Paris: E. Leroux, 1901), P 285.

[304]- Salesses, "De Conakry au Niger", p65-66.

[305]- ibid. Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, pp 285-290.

[306]- Joseph Edme Charles Maclaud, "Missions aux colonies: Guinée française et Fouta-Djallon," Revue Coloniale, (Paris: Hachette, 1899), p442-448

[307]- ibid.

[308] - Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 266-267

[309]- ibid.

[310] - Maclaud, "Missions aux colonies", p442-448

[311] - ibid.

فوتاجالون قبل القرن السابع عشر، لكنهم لم يمارسوا السيادة هناك، بل تم غزوهم مع اليالونكي من قبل الغزاة السيديانا ومنذ ذلك الحين يعانون من هيمنة السيديانا السياسية". ويسقط هذا الكلام ما قيل سابقا عن غزو الفلاني للمنطقة، ويجعله محط شك كبير.

4- سيديانكي: هم العرق المسيطر على فوتا جالون، وهم ينتمون للمندينغ ، ولنفس "المجموعة التي ينتمي إليها الماليكي"[312] الذين نزحوا رفقة كاراموكا ألفا في القرن السابع عشر نحو فوتاجالون، قبل أن يتحول نزوحهم إلى غزو أولا "بالمكر ثم بالقوة، وهم مقسمون إلى حزبين: ألفايا وصوريا، وقد عاثوا ظلما في فوتا جالون أكثر من قرن من الزمان"[313] بيد أنهم رغم ذلك "اختلطوا مع التكرور والفولانيين واعتمد الكثير منهم اللغة الفولانية"[314] وهذا ما جعل عددا من الباحثين يعتقد أنهم من الفولان.

ثالثا: تداخل صنعته الهجرات والتهجير والنزوح

يبدو التقارب واضحا في السمات واللغة بين اليالونكي والمانينكي والسوسو، الذين يرتبطون بعرق البامبارا، وهي كلها فروع من عائلة ماندي العظيمة[315]، ويجد الأمر تفسيره في التبادل الثقافي الذي تطور عبر القرون بين هذه المجموعات البشرية ، ويؤكد وجود تاريخ مشترك وأصول مشتركة بين هذه المجموعات، لدرجة أدت إلى استبدال أعراق بأخرى او امتزاجها، حيث "تم استبدال عرق سوسو بمالينكي النقي ويالونكي"[316]. وقد ساهم في هذا الأمر ما عرفته المنطقة من موجات تهجير وغزو واستعمار وتنقل مستمر ف"مثلما تم دفع سكان الباسك أو البريتونيين من قبل الغال (الفرنسيين القدماء) عند وصولهم إلى فرنسا"[317]، تم دفع مجموعات اليالونكي إلى مناطق مختلفة خاصة المناطق الساحلية الأقل خصوبة، بينما استولى الفولاني على المناطق الأكثر خصوبة وارتفاعًا، وهذا ما جعلهم يلعبون "الدور الرئيسي اليوم في المنطقة الأفريقية الواقعة بين خطي عرض 10 و18 درجة شمالاً"[318].

[312]- Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 266-267
[313]- Maclaud, "Missions aux colonies", p442-443
[314] - Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 266-267
[315]- Salesses, "De Conakry au Niger", p65-66. Metz, "Étude d'une nouvelle voie", P 509-512.
[316]- Metz, "Étude d'une nouvelle voie", p 509-512
[317] - Salesses, "De Conakry au Niger", p65-66.
[318]- Faidherbe, Notice sur la colonie du Sénégal. p24.

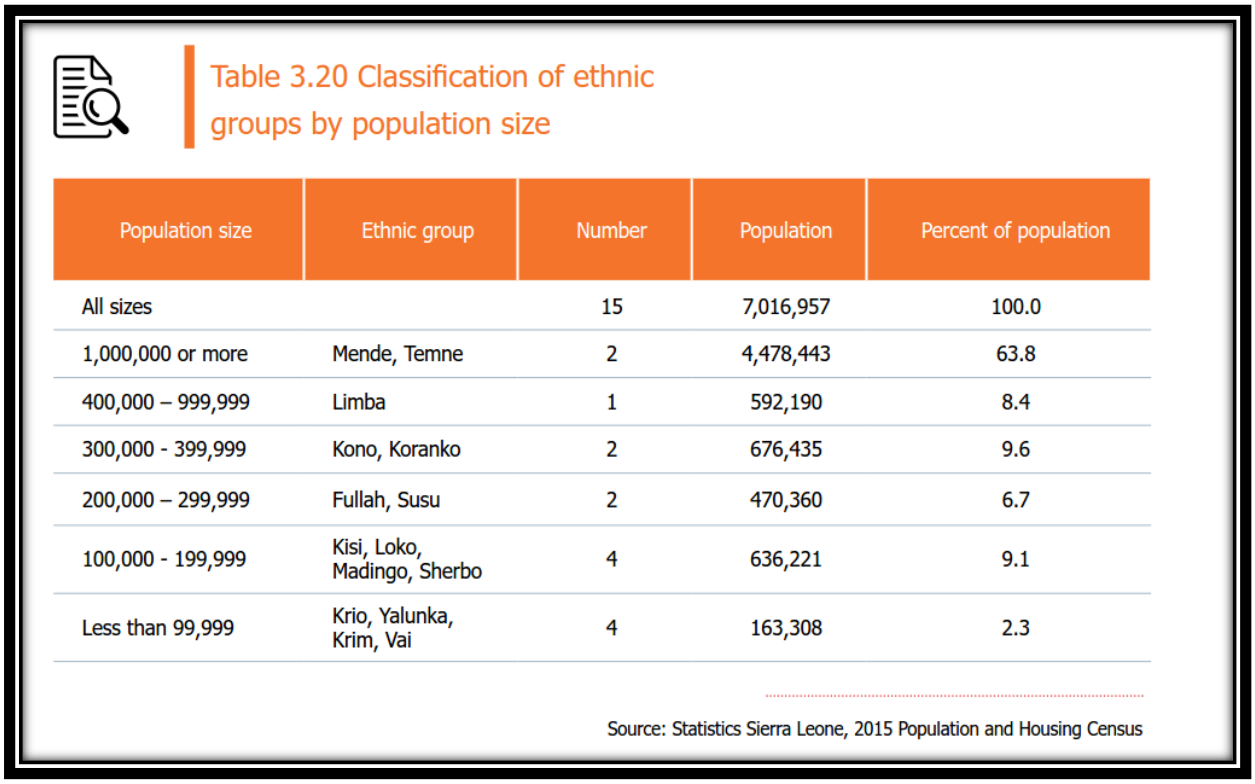

Table 3.20 Classification of ethnic groups by population size

Population size	Ethnic group	Number	Population	Percent of population
All sizes		15	7,016,957	100.0
1,000,000 or more	Mende, Temne	2	4,478,443	63.8
400,000 – 999,999	Limba	1	592,190	8.4
300,000 - 399,999	Kono, Koranko	2	676,435	9.6
200,000 – 299,999	Fullah, Susu	2	470,360	6.7
100,000 - 199,999	Kisi, Loko, Madingo, Sherbo	4	636,221	9.1
Less than 99,999	Krio, Yalunka, Krim, Vai	4	163,308	2.3

Source: Statistics Sierra Leone, 2015 Population and Housing Census

الصورة رقم 02: تصنيف المجموعات العرقية الموجودة في سيراليون سنة 2015

Sierra Leone 2015 Population and Housing Census national analytical report, p90

Ethnic group	Population	Sex ratio	Total	Male	Female
All ethnic groups	7,016,957	96.5	100.0	100.0	100.0
Mende	2,258,232	94.3	32.2	31.8	32.6
Temne	2,220,211	96.2	31.6	31.6	31.7
Limba	592,190	95.2	8.4	8.4	8.5
Kono	363,051	95.5	5.2	5.1	5.2
Koranko	313,384	100.3	4.5	4.6	4.4
Fullah	266,581	110.6	3.8	4.1	3.5
Susu	203,779	97.4	2.9	2.9	2.9
Kissi	175,843	100.8	2.5	2.6	2.5
Loko	165,692	94.2	2.4	2.3	2.4
Madingo	160,080	102.0	2.3	2.3	2.2
Sherbro	134,606	97.9	1.9	1.9	1.9
Krio	94,593	103.5	1.3	1.4	1.3
Yalunka	51,781	102.8	0.7	0.8	0.7
Krim	15,729	94.5	0.2	0.2	0.2
Vai	1,205	84.0	0.0	0.0	0.0

الصورة رقم 03: حجم السكان، ونسبة الجنس والتوزيع بالنسبة المئوية، وسكان الأسر المعيشية حسب الجنس والعرق

Sierra Leone 2015 Population and Housing Census national analytical report, p91

رابعا: من جالونك إلى فوتاجالون

تشير الدراسات التاريخية والاستخباراتية الكولونيالية إلى أن "فوتا جالون، كانت تسمى جالونك، قبل أن تتحول تدريجيًا إلى جالو، ثم أضافوا إليه كلمة فوتا"[319]، خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وقد استوطنتها في البداية قبيلة السوسو، وهي إحدى فروع عرق المندينغ الكبير في غرب إفريقيا، التي قامت بغزو مملكة واغادو في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، مما أدى إلى طرد شعب السونينكي[320] من المنطقة؛ وخلال القرن السادس عشر سيحتل الماندينغو مصبات نهر نونيز حيث صدوا هجومات "باغا-فوريه، لكن كان عليهم قبول تقاسم أراضيهم مع الباغا، ثم الخضوع للغزاة السوسو، الذين استولوا على كامل أراضيهم"[321].

تحول السوسو إلى "سادة جزء من وادي النيجر العلوي، بعدما أبعدوا إلى الجنوب في نهاية القرن الثامن عشر من قبل بامانا وسونينكي وماليكي"[322]، واستقروا بمنطقة فوتاجالون الجبلية قرونا قبل وصول الفولاني، حيث حملوا اسم

[319] - Louis Tauxier, Moeurs et histoire des Peuls: 1, Origines; 2, les Peuls de l'Issa-Ber et du Macina; 3, les Peuls du Fouta-Djallon (Paris: Payot, 1937), pp 221-223

[320]- Ministère de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, "Bulletin de Géographie Historique et Descriptive," année 1906, n° 1 (Paris: Imprimerie Nationale, Ernest Leroux, Éditeur), p 104.

[321]- Alfred Moulin, L'Afrique à travers les âges (Paris: P. Ollendorff, 1914), pp168-175

[322] - Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 285-290.

"ديالونكي" الذي لا يزال يستخدمه جيرانهم للإشارة إليهم، فهو من بقايا فترة وجودهم في فوتا جالون، بيد أن هذا اللقب حملته أيضا مجموعات أخرى على حدود فوتا جالون، إضافة إلى لغة السوسو، وأهم هذه المجموعات هي يالونكي لانجان وساكو، الذين يعيشون في الشمال الشرقي من فوتا جالون، وقريتهم الرئيسية هي فيرجيا.

ترك السوسو آثارًا عديدة لمرورهم في المنطقة، بما في ذلك أسماء جغرافية في لغة السوسو، مثل "غيا" (جبل)، و"فيلي" (هضبة)، و"كور" (نهر)[323]؛ إلى أن حل القرن السابع عشر حيث كانت فوتاجالون تتكون من سكان المنطقة الأصليين من اليالونكي، وهم من الماندينغ المنتمين إلى مجموعة "الفو"، مثل جيرانهم السوسو، والذين يدين أغلبهم بمعتقدات تعددية أو وثنية؛ ومجموعات من الفولان، دون أن يحاولوا السيطرة على المنطقة[324].

خامسا: بزوغ فجر جديد: ظهور السيديانا وصعود الإسلام

خلال هذه الفترة (القرن السابع عشر) ستظهر على مسرح الأحداث قبيلة السيديانا (أو السيديانكي)، الذين جاءوا عبر وادي تينكيسو، و"كان ملوكهم الأوائل: سيري (1650)، وسيدي، وسامبيغو، ومادي، وكيكالا، ونوهو، ثم كهرموكو"[325]؛ وشكل ظهورها محط خلاف بين الباحثين، إذ اختلفوا في الانتماء العقدي للفولاني بين من اعتبرهم مجموعات وثنية في البداية يرجع استقرارها في المنطقة الى العصور الوسطى قبل أن تتحول إلى مجموعات إسلامية بعد ظهور التبشير الإسلامي[326]

كما اختلفوا حول الانتماء الإثني للسيديانا الذين سيطروا على مرتفعات فوتاجالون، بين من اعتبرهم مجموعة فولانية مسلمة، سيطرت على المنطقة بعد حروب مع اليالونكي والفولانيين الوثنيين، بينما اعتبرهم آخرون قبيلة ماندية من نفس المجموعة التي ينتمي إليها المالينكي تنتمي لمجموعة "التان"،حاولت السيطرة على المنطقة[327]، ويبدو أن الخلاف حول هذه النقطة كان محكوما بطبيعة الكتابات الكولونيالية، وتصورها للصراعات الموجودة في المنطقة بين من يرجعها للعامل الديني (الصراع الإسلامي/الوثني/المسيحي)، ومن يرجعها للعامل القبلي، ومن يرجعها للمصالح الاقتصادية.

بيد أن الراجح أن السيديانكي مجموعات فولانية، مسلمة هاجرت إلى مرتفعات فوتاجالون، وبالضبط إلى شمال المناطق الداخلية، المعروفة باسم "يالونكادو" وهي موطن اليالونكا[328]، وحملوا اسم البولار، بينما حملت المجموعات السابقة من الفولاني اسم الفولبي، الذين قدموا المنطقة "تحت قيادة زعيم يدعى كوليبولي، وكانوا آنذاك وثنيين"[329]، وعاشوا وسط مجموعات السوسو واليالونكي الماندينغ في سلام، إلى أن بدأ المنعطف الأساسي مع القرن الثامن عشر، حيث تقوت الجماعات المسلمة، وامتد فيها الإسلام موازاة مع نشاط البعثات الأوروبية المسيحية في المنطقة[330].

أدى النشاط التبشيري وبداية التغلغل الأوروبي إلى تجمع السيديانا تحت قيادة رجال الدين المسلمين وتوحيد قبائل الفولاني بقيادة رجال الدين، تحت لواء الولي المتصوف إبراهيم ألفا المعروف باسم "كراموكو ألفا"، وهو متصوف وفقيه

---

323 - Ministère de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, "Bulletin de Géographie Historique et Descriptive," 104.

324- Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 266-267. Paul Marty, "La découverte des sources de la Gambie et du Sénégal, Mollien, 1818-1819 : un centenaire colonial," in Société de l'histoire des colonies françaises (Paris, 1921), p 81-85.

325 - Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175

326 - Marty, "La découverte des sources", p 81-85.

327- Delafosse, Essai de manuel pratique de la langue mandé, p 266-267

328 - . Mikako Nishimuko, "Primary Education in Sierra Leone and Development Partnership with Britain: Progress Towards Achieving Education for All (EFA)" (PhD diss., Institute of Education, University of London, 2013), 69.

329 - Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175

330- Marty, "La découverte des sources", p 81-85.

"كان يقيم في تيمبو، وكان ابن ألفا نوحو، ابن ألفا كيكالا، قبل أن يظهر على مسرح الأحداث العامة، قام بخلوة استمرت سبع سنوات وسبعة أسابيع وسبعة أيام، قضاها بالكامل في العزلة والعفة والصيام"[331].

سادسا: تأسيس إمارة فوتا جالون: الجهاد ونظام الحكم:

عقد ألفا إبراهيم اجتماعا عاما لقادة الجهاد ضد الوثنيين وغيرهم "بالقرب من بومبولي، حوالي سنة 1725، وتم الاتفاق على إعلان الجهاد، وفي سنة 1727، أعلن الفولاني بقيادة ألفا إبراهيم الجهاد لتحويل اليالونكا إلى الإسلام بالقوة، وأقاموا حكومة جديدة في يالونكادو، وأطلقوا عليها اسم فوتا جالون[332]، وتم تقسيمها إلى سبع مقاطعات أو "ديوال"، وكل واحدة منها يرأسها قائد، مسؤول عن شن عمليات قتالية فعالة في مقاطعته (ديواله)، مع احتفاظ كراموكو ألفا، ممثل تيمبو، بالقيادة الروحية للحرب المقدسة"[333]، و"أصبحت تيمبو عاصمة الإمبراطورية وفاكومبا المدينة المقدسة"[334].

وبرغم تمكن الفولا من الاستيلاء على السلطة السياسية، إلا أنهم لم يعملوا على أسلمة المنطقة بكاملها، حيث بقي جزء كبير من اليالونكي والسوسو على معتقداتهم الدينية، وهو ما يؤشر على أن الأمر ربما يتجاوز ما روجت له عدد من الأطروحات الكولونيالية حول الدافع الديني لحرب الفولا على اليالونكي والبولار، كما أنه يسقط فرضية الحرب الإثنية باعتبار أن البولار ينحدرون من الفولا، كما يؤشر على هذا ما حدث لاحقا إذ سنة 1756، ثار "العبيد في فوتاجالون وأعلنوا أنفسهم أحراراً، وذهبوا بأعداد كبيرة إلى فوتابوندو حيث بنوا مدينة كونديا وحافظوا على استقلالهم"[335]، ويحتمل أن هؤلاء العبيد تشكلوا من السكان الأصليين اليالونكيين الذين أخضعهم الفولان وأصبحوا عبيدا وأقنانا في الأرض، قبل ثورتهم ولجوئهم إلى بوندو، وهي دولة فولانية في ذلك الوقت[336].

وبين سنتي 1760 و1761، قام اليالنكييون بحملات وغزوات عسكرية استهدفت مناطق مختلفة في مقدمتها منطقة كيسي التي ينبع منها نهر النيجر (نهر جوليبا) آنذاك، وفي سنة 1762 انضم اليالنكيون إلى الفولانيين ودخلوا "واسولو (واسولا) التي لم يتم اخراجهم منها إلا بعد هزيمتين واحدة في باليا والأخرى على ضفاف ديموكو"[337].

سابعا: اضطرابات سياسية وتوسع إقليمي

مع تقدم ألفا إبراهيم في العمر، وغلبة البعد الديني الصوفي عليه أكثر من السياسي العسكري، إضافة إلى وضعه الصحي المتقلب، خاصة مع تنامي حركة "كونتا بوراما"، "ملك اليالونكي على أعالي النيجر، "الذي سيجمع جيشا ويسير نحو تيمبو، حيث هُزم الفولانيون، بقيادة المرابط كهرموكو (ألفا إبراهيم)، بالقرب من فالكومبا حوالي سنة 1775"[338]. سيقرر قادة الديوالي عزل إبراهيم وإسناد الأمر لابن عمه "إبراهيم سوري الكبير" الملقب بـ "ماهوندو" أي "الكبير"[339]، الذي حقق انتصارات متتالية على أعدائه، قبل أن يحرز انتصارا كبيرا وكاملا على كونتا بوراما"بالقرب من سيكاكور سنة 1780"[340]، ومن ثم سيواصل التوسعات في منطقة فوتاجالون ونواحيها، حيث أحرز انتصارات متتالية في غزا كوين، وكولادي، ولابي ألفا (على أحمدو ساليو)، وبوندو (على الملك ماكا)، وفردن في أعالي كازامانس[341].

331- ibid.
332- Nishimuko, "Primary Education," 69. Winston McGowan, "Fula Resistance to French Expansion into Futa Jallon 1889-1896," The Journal of African History 22, no. 2 (1981), p245
333- Marty, "La découverte des sources", p 81-85.
334- Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175.
335- Tauxier, Moeurs et histoire, P226
336 - ibid.
337 - ibid.
338 - Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175
339 - Marty, "La découverte des sources", p 81-85.
340- Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175
341 - ibid.

مباشرة بعد احكامهم لسيطرتهم على فوتاجالون، سيتم تقسيم البلاد إلى سبع مقاطعات "ديوال"، ودب الخلاف حول الحكم إذ برغم "تأكيد قيادة عائلة ألفا كيكالا، من خلال عضوين فيها، كراموكو ألفا وإبراهيم سوري"[342]، إلا أن الخلاف كان واضحا بينهما، فإن أغلب القادة كانوا يميلون إلى إبراهيم السوري، القائد العسكري المنتصر الذي نودي به لمنصب الإمامي[343] سنة 1788، في مواجهة ألفا إبراهيم المتصوف والرمز الديني والروحي.

بعد وفاة ألفا إبراهيم، وجد أبناءهم أنفسهم محرومين من السلطة، "فثاروا، ولإنهاء هذه الحرب الأهلية، أصدر مجلس الحكماء مرسوماً يقضي بأن لقب "الإمامي" سيكون بالتناوب كل عامين لعضو من عائلتي ألفا وسوريا"[344] ورغم هذه الصيغة التوافقية إلا أنه كثيرا ما كانت تحدث نزاعات، ف"حزب سورايا هو الأقوى، وأحيانًا يبقى الإمام الذي يمثله في منصبه لمدة ثلاث سنوات متتالية، بينما لا يحكم زميله بعد ذلك إلا خلال العام الذي ينهي تناوب السلطة، وتحت هذين الإمامين، يوجد رئيس مجلس المملكة المسمى ديامبرو-ديو-ماهودو-بول-بولور (المتحدث باسم الفولاني)، الذي يلعب معهم نفس الدور الذي لعبه رئيس مجلس العشرة مع دوق البندقية"[345].

أما في الديوال الأخرى، فقد انتقلت السلطة وراثيًا من قبل أبناء القادة الأوائل، ولازال نسل الإمامي في جميع هذه العائلات قائما إلى اليوم "ومعظمها احتفظ بسيادته، وقد انقسموا بدورهم إلى مؤيدين للألفايا أو السورايا، أي إلى مؤيدي الإمامي من فرع أو آخر"[346].

تركز تاريخ منطقة فوتا جالون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على الصراع حول السلطة، حيث عمل الفولان على بسط هيمنتهم، التي امتدت إلى المناطق المحيطة (مالينكي، سوسو، فولاكندا، تندا، ميخيفوري، لاندومان، تيميني، باغا)، إضافة إلى اليالونكي، الذين تحول وثنيوهم إلى مصدر تزويد الفولاني بالعبيد والحبوب والماشية، كما فرضوا إتاوات (الجزية) على شعوب اليالونكي والسوسو الساحلية[347].

بعد وفاة إبراهيم السوري سنة 1813، عين ابن ألفا إبراهيم "سليفو" في منصب الإمامي، ثم ""سعدو" نجل إبراهيم، وهو التعيين الذي أثار غضب منافسه عبد الله الذي قتله، ثم قُتل بدوره على يد ابن ضحيته، عبد القادر سنة 1819"[348]، وهذا الأخير سيدشن حركات توسعات جديدة مكنته من ضم نيقولو والجابون إلى فوتاجالون، إلى أن توفي مريضا في تيمبو سنة 1830، وخلفه ألفا بو بكر (1830-1837).

في نفس الوقت الذي بدأت المنطقة تعرف تمردات سياسية ضد الحكام قادها بعض السكان الأصليين لفوتا جالون المعروفين باسم "الهوب"[349] أو الحيبو[350] إضافة إلى بعض المنشقين الدينيين[351]، وقد "أدى هذا التمرد إلى انفصال منطقة

---

342 - Marty, "La découverte des sources", p 81-85.

343 - الإمامي ينحدر من الإمام ويرمز لمنصب يجمع بين السلطة الروحية والسياسية.

344 - Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175. Roger Botte, "Révolte, Pouvoir, Religion: Les Hubbu du Fūta-Jalon (Guinée)," The Journal of African History 29, no. 3 (1988), p394

345- Louis Henrique-Duluc, ed, Les colonies françaises: notices illustrées, vol. 1 (Paris: Quantin, 1889-1890), p 121

346 - Marty, "La découverte des sources", p 81-85.

347 - ibid.

348- Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175.

349 - كان بعض الهوب يؤمنون بعبادة الجلانغ أو عبادة الأجداد

350 - اختلف كثير من الباحثين حول جذور الحبو إذ رجح بعضهم أن الامر لا يتعلق بإثنية معينة، وإنما بطائفة دينية صوفية، وأن أصل الكلمة من الأمداح التي كانت يرددها المتصوفة بقيادة ألفا مامادو ديوه وتتغنى بحب رسول الله حتى اصبح يعرفون بالحيبو كناية عن حبهم للرسول، قبل أن يتحولوا إلى ثوار ضد حكام فوتاجالون، كما اشتهروا باعتراضهم للقوافل ونهبها. للمزيد حول تاريخية الإسم وتحولاته انظر:
Botte, "Révolte, Pouvoir, Religion", P392.

351 - من الوارد أيضا أن اليالونكي انضموا إلى ثورات الهوب، ولعل هذا ما يفسر تأييد العديد منهم للاستعمار الفرنسي خلال المواجهات المسلحة التي ستدور بين الجيوش الاستعمارية الفرنسية والفولاني في فوتاجالون.

بايلو فيتابا (مقاطعة فادويه حاجي)، وقائدها - وهو أحد كبار الشخصيات الدينية ، ألفا مامادو ديوهي"[352] حيث "تفرقوا في جميع مخابئ فوتا الجنوبية، ثم تجمعوا مرة أخيرة، وقد تقلص عددهم بالفعل، تحت بركة القالي في غومبا، وقاوموا السلطات التقليدية لفوتا، وانتهى بهم الأمر إلى أن يتم القضاء عليهم"[353].

ويبدو أن اليالونكي كانوا جزءا من هذه الثورات والتمردات على الفولاني خلال أواخر القرن التاسع عشر، كما تشير لذلك الثورة التي قادها "ألفا يحيى محمدو".

ثامنا: فجر الاستعمار: التغلغل الفرنسي وفرض الحماية

موازاة مع هذه التحركات شرع الفرنسيون في التوقيع على معاهدات حماية مع ملوك السوسو الموجودين على الساحل يفرضون بموجبها الحماية الفرنسية عليهم، وذلك "تأمينا" لهم ضد جيرانهم، في نفس الوقت الذي بدأت بريطانيا أيضا تتحرك صوب المنطقة، حيث أرسلت بعثة إنجليزية إلى فوتاجالون في بداية سنة 1881، وهو ما اعتبرته فرنسا إعلانا عن أطماع بريطانية في المنطقة[354]، فكان الرد الفرنسي بداية التوغل التدريجي في المنطقة عن طريق التجارة أو حماية الملوك المتنازعين، وتقديم الدعم لمختلف الأطراف المتنازعة، حتى تمكن المبعوث الفرنسي إلى فوتاجالون "جان بايول" من إقناع إمامي فوتاجالون بتوقيع اتفاقية تجارية، في يوليوز 1881، اعتبرتها فرنسا مؤسسة ل"حقوقها في الإقليم، على الرغم من أن هذه الوثيقة المثيرة للجدل لم تمنح الفرنسيين أي سلطة فعلية في فوتا، إلا أنها مكنت فرنسا من الحصول على قبول بمطالبها في الساحة الدولية"[355].

وتمكنت فرنسا من إعادة التوقيع على معاهدة مماثلة لها سنة 1885 مع إبراهيم سوراي إمامي فوتاجالون، قبل أن تتمكن سنة 1889، من انتزاع اعتراف كل من البرتغال وألمانيا وبريطانيا، وباقي القوى الأوروبية بفوتاجالون كجزء من دائرة النفوذ الفرنسي[356]، وإن كان هذا لم يوقف الأطماع البريطانية في المنطقة، التي وإن وقعت مع فرنسا في باريس اتفاقية ثنائية في 10 غشت 1889، تعترف بموجبها بالأمر إلا أنها أكدت أن إنشاء محمية فرنسية على فوتا لا يزيل الحقوق التجارية التي اكتسبتها التجارة البريطانية بموجب المعاهدات المبرمة مع أئمة الفولا في فبراير 1873 ومارس 1881"[357].

بيد أن فرنسا استغلت الوضع العام، لتعيد التوقيع على معاهدة أخرى سنة 1890 بين الفرنسيين وإبراهيم سوراي، والتي ستظهر فيها بوادر الأزمة بين حكام فوتاجالون والفرنسيين، حيث رفض الإمامي إبراهيم ديباجة المعاهدة، وعبر بصريح العبارة عن رفضه للحماية الفرنسية قائلا لممثل فرنسا: "يجب أن تبقى فوتا في حوزة الفولا وفرنسا للفرنسيين"[358] فاضطر الفرنسيون للرضوخ لمطالبه وأبرموا معاهدة جديدة في ماي 1893، قام فيها المفاوض الفرنسي "ألبي"، بتغيير "صياغة ديباجة هذه الاتفاقية من "رؤساء فوتا جالون الموضوعين تحت حماية فرنسا بموجب معاهدة 5 يوليو 1881" إلى "رؤساء فوتا جالون المرتبطين بصداقة مع فرنسا بموجب معاهدة 5 يوليو 1881""[359].

بيد أن هذا لم يوقف الأطماع الفرنسية في المنطقة، ولا محاولاتها للتأسيس القانوني لسيطرتها على فوتاجالون، فاتجه الإمامي نحو دعم الحركات المعادية لفرنسا في محاولة منه لوقف تقدمها صوبه، هكذا لعب كثير من اليالونكي دور الوساطة في تجارة الأسلحة بين الانجليز وحركة ساموري[360]، برعاية من أئمة فوتاجالون كما زودوه بالثيران التي كانت تستعمل كغذاء

[352]- Botte, "Révolte, Pouvoir, Religion", p391
[353] - Marty, "La découverte des sources", p 81-85.
[354]- McGowan, "Fula Resistance", p246
[355] - ibid.
[356]- ibid.
[357] - ibid.
[358]- ibid.
[359] - ibid.
[360] - Claude Prost, Sénégal-Soudan, conférence de garnison faite à Châlons-sur-Marne, le 10 février 1897 (Châlons-sur-Marne: Martin frères, 1897), pp15-16

وكمقابل لشراء الأسلحة والذخيرة "في المقابل، زودت قوات ساموري الفولا بالذهب والمطاط، والعبيد، الذين يعتبرون المنتوجات الأكثر رواجا في فوتاجالون"[361]، وقد شكلت الوساطة التي قام بها اليالونكي مفتاحا أساسيا لحركة ساموري توري، والتي تطورت إلى سماح أئمة فوتاجالون لبعض قوات ساموري باستخدام المنطقة قاعدة لمهاجمة الممتلكات الفرنسية في أعالي النيجر[362].

ورغم إدراك الفرنسيين لطبيعة تعامل إمامي فوتاجالون واليالونكي مع حركة ساموري توري، إلا أنهم غضوا الطرف عن ذلك، تجنبا لفتح جبهة مباشرة معهم، والتحول إلى حرب مفتوحة بين الفرنسيين من جهة وتحالف ساموري توري والفوتاجالون، ساعدهم على ذلك انكار أئمة فوتا لمساعدتهم لساموري، حيث كانوا يزعمون أن ما يحصل عليهم رعاياهم –خاصة اليالونكي- من أسلحة نارية "سيتم استخدامها للدفاع عن أنفسهم ضد هجوم محتمل من قبل ساموري على فوتا"[363]. فاقتصرت السياسة الفرنسية على محاولات تخويف الأئمة واقناعهم بقطع علاقاتهم مع ساموري، وإقناع البريطانيين بحظر بيع الأسلحة للأفارقة[364].

استمر دعم الفوتاجالون لحركة ساموري توري إلى غاية سنة 1893، عندما نجح الفرنسيون في إجباره على التراجع من أعالي النيجر إلى منطقة الغابات في المناطق النائية من ساحل العاج، وهذا ما أدى القضاء على الحدود المشتركة بين حدود امبراطوريته والفوتاجالون وبالتالي حرمانه من دعم عسكري مهم، إضافة إلى جعل أئمة الفولا في مواجهة مباشرة مع الفرنسيين الذين شكلوا قوات عسكرية ضخمة في شتنبر 1894، على الحدود الشمالية والغربية لفوتاجالون، دفعت الإمام "بوكار بيرو" إلى تقديم وعد بالخضوع النهائي لفرنسا، وفي نفس الوقت أرسل وفدا للبريطانيين يعرض عليهم تسليم ممتلكاته لهم، غير أنه قوبل بالرفض على اعتبار أن فوتا كانت ضمن المجال الفرنسي"[365] ، إلا أنه تمكن من إقناع الفرنسيين طيلة سنتين (1894-1895) بأن البريطانيين يحرضونه على عدم الذهاب لكوناكري من أجل توقيع معاهدة تقبل فيها فوتاجالون الحماية الفرنسية عليها[366]، كما تذرع بالأوضاع الداخلية المتوترة، وصعوبة الحصول على إجماع شيوخ الفولاني في فوتاجالون، وإكراهات موسم الامطار، وضرورة أخذ موافقة الإمامي الذي سيليه في الحكم، وغيرها من المبررات.

وسرعان ما ستتوقف مراوغات إمامي فوتاجالون بعد قرار الحكومة البريطانية قطع علاقتها بها، ووقف تزويد اليالونكي وغيرهم بالأسلحة في يونيو 1895، وهو القرار الناتج عن إبرام اتفاقية تجارية أنجلو فرنسية في يناير 1895، حددت بموجبها شروط التجارة البريطانية مع فوتا، وبالتالي حرمان أئمة الفولا من مصدر دعم قوي، جعلهم في مواجهة مباشرة مع المطالب الفرنسية بتوقيع معاهدة الحماية، والاعتراف بالسيادة الفرنسية على فوتاجالون.

في نفس الوقت اشتعل فتيل الحرب الأهلية بين إمامي فوتاجالون "بوكار"، وأحد ولاته "ألفا ياياه" الذي تمرد عليه، وشن عليه حملة منذ دجنبر 1895، انتهت بهزيمة بوكار، الذي فر إلى كوناكري طالبا دعم الفرنسيين، الذين ساندوه وأعادوه للسلطة، في فبراير 1896[367]، مقابل توقيع الاتفاقية معهم. وأمام مواصلة الإمامي بوكار لمراوغاته أرسل الحاكم العام الفرنسي في كوناكري، ممثله "دي بيكمان" رفقة كتيبة عسكرية إلى تيمبو لعرض المعاهدة عليه، مع تهديد بعدوان فرنسي عليه في حالة الرفض، فقرر إمامي فوتاجالون بوكار بيرو الموافقة على توقيع المعاهدة المقترحة عليه في 13 أبريل 1896، والتي تتضمن السماح لفرنسا بإنشاء موقع عسكري في تيمبو، والتزام بوكار بالذهاب إلى كوناكري لتوقيع معاهدة تكميلية مع فرنسا.

---

361 - ibid.
362- ibid.
363 - ibid.
364- ibid.
365 -ibid, p248
366 - ibid, p 249,
367- ibid, p255

وسرعان ما اكتشف الفرنسيون المراوغة الفولانية، إذ "اكتشف المترجمون في سانت لويس أن الإمامي لم يوقع المعاهدة في الواقع، وبدلاً من إرفاق توقيعه بالوثيقة كما طلب دي بيكمان وكما تظاهر بوكار، قام الأخير بخط تعبير بالعربية "بسم الله الرحمن الرحيم"، إضافة لذلك اكتشف المترجمون أن الملاحظة باللغة العربية التي أرفقها بوكار بالمعاهدة لم تكن تأكيدًا لوعوده وتأكيداته الشفهية لبيكمان كما اعتقد لأخير، بل كتب الإمامي ملاحظة أنه لم يعط إجابة واضحة ومحددة عن المقترحات المعروضة عليه في الاتفاقية، وأن قراره مؤجل إلى أن تتاح له الفرصة للتشاور مع مجلس الشيوخ"[368].

دفعت هذه المراوغات الحكومة الفرنسية إلى الموافقة على المقترح الذي كان قد تقدم به قبل سنتين حاكم بالاي (أبريل 1894) باحتلال ولاية فوتاجالون عسكريا، والتي كانت قد رفضتها وزارة إدارة المستعمرات معتبرة إياها "خطوة سابقة لأوانها"، وتقرر بالتالي الإعداد لمشروع الاحتلال العسكري للمنطقة، استغلت في ذلك موالاة عدد من ولاة المقاطعات لسياستها، وقرب انتهاء انتداء مدة الإمامي بوكار في غشت 1896، حيث كان المرشح من فصيل ألفايا هو "عمر بادمبا" والذي كان على عداء شديد لبوكار، وفي نفس الوقت قريبا للفرنسيين.

حاول الإمامي بوكار منع ألفايا عمر من تولي زمام الإمامة في فوتاجالون، من خلال خلق منافسين له، ودعم "باباتي يوسف" و"مودي عمر" الذين استغلا علاقة ألفايا عمر بادمبا بالفرنسيين للتشنيع عليه، وتطور الأمر إلى محاولة اغتياله، ثم استخدام التدخل المسلح لمنع تنصيب بادمبا كإمامي، وهو ما اعتبر سابقة من نوعها داخل فوتاجالون، أدت إلى هزيمة بادمبا في شتنبر 1896 أمام قوة منافسيه، فلجأ إلى كوناكري طلبا لدعم القوات الفرنسية[369]، التي وافقت مقابل القبول الفوري لسلطة للمقيم الفرنسي والخضوع للسيادة الفرنسية.

في 3 نونبر 1896 دخلت القوات الفرنسية برفقة عمر بادمبا وسوراي الحادي عشر، واحتلت عاصمة فوتاجالون "تيمبو" دون الحاجة لأي مواجهات عسكرية، وأعلن حكام المقاطعات خضوعهم لسلطة الفرنسيين بما فيهم بعض المعارضين السابقين.

حاول بوكار تنظيم مقاومة عسكرية ضد الفرنسيين، فقام بعدة مبادرات لرأب صدع المقاطعات الفلانية، وطلب من ألفا يايا وألفا إبراهيم، أبرز أعدائه دعمه مقابل نسيان الماضي والتأسيس لصفحة جديدة، لكن لم تلق نداءاته الاستجابة الكافية، بل قبل بعضهم العروض الفرنسية وأعلنوا دعمهم لها، وستنتهي محاولات بوكار بعد هزيمة قواته في بوريداكا وسط فوتاجالون في 14 نونبر 1896 على يد كتيبة صغيرة مكونة من ثمانين من الرماة الفرنسيين، في مقابل 800 محارب كانوا ضمن صفوفه سقط منهم حوالي 150 قتيلا و300 جريح، في مقابل إصابة 3 جنود فرنسيين بجروح طفيفة.

بينما انتهى بوكار بالقبض عليه وقتله من طرف محاربي بادمبا أثناء محاولته الفرار إلى سيراليون[370]، لتنتهي بذلك المقاومة المسلحة الفولانية للفرنسين في منطقة فوتاجالون، وتم تعيين عمر بادمبا وسوراي الحادي عشر أئمة لفوتاجالون، ومنح الأخير ممتلكات بوكار بيرو مكافأة له على خدماته للفرنسيين، كما اعترفت فرنسا بألفا يايا إمامي دائم للايب، وتم تشييد موقع عسكري في تيمبو في فبراير 1897، قبل أن توضع المنطقة بموجب مرسوم صادر سنة 1899 تحت الحماية الفرنسية هي وكل المناطق الداخلية التي تربط فوتا دجالون بساحل العاج[371].

خاتمة

بناءً على ما سبق يمكن تسجيل أن اليالونكيين، استوطنوا منطقة فوتاجالون لقرون، حيث مارسوا التجارة والزراعة وتربية المواشي، وامتدت شبكاتهم التجارية إلى مناطق واسعة من غرب إفريقيا، كما كان لهم دور مهم في مقاومة الاستعمار

368 - ibid, p252.
369- ibid, p257
370- ibid, p 259.
371- Moulin, L'Afrique à travers les âges, pp168-175.

الفرنسي. وقد ساهمت الهجرات والنزوح والغزوات في تداخل الأعراق في المنطقة واختلاطها، وهو ما يظهر جليًا في التقارب الكبير بين اليالونكي والسوسو والمانينكي، الذين ينتمون جميعًا إلى عرق الماندينغ، بالإضافة إلى علاقتهم بالفولاني.

تميَّز تاريخ فوتاجالون بصراعات سياسية واقتصادية، كان أبرزها الصراع بين الفولاني واليالونكي، وهو الصراع الذي صورته الكتابات الاستعمارية على أنه صراع ديني بين المسلمين والوثنيين، في حين أن الوقائع التاريخية تشير إلى أن العامل الديني لم يكن هو المحرك الأساسي للصراعات في المنطقة، بل المصالح الاقتصادية، وهذا يتضح من بقاء عدد كبير من اليالونكي على وثنيتهم، وثورة العبيد التي اندلعت في المنطقة سنة 1756، وقيام اليالونكي بعدة غزوات ضد مناطق مجاورة، وتحالفهم مع ساموري توري ضد الفرنسيين.

إن السردية التاريخية –على علاتها- التي حاولت هذه الدراسة تقديمها، تضع محط التشكيك ما قدمته الكتابات الاستعمارية من صور مغلوطة تجاهلت العوامل الاقتصادية والاجتماعية للاضطرابات في المنطقة، في مقابل التحيز للجوانب الدينية والإثنية، وهو تحيز يدخل في إطار استراتيجية استعمارية هدفت إلى تقسيم الشعوب الافريقية، وإضعاف الهويات المحلية، ومن شأن تحليل الكتابات الاستعمارية وتطورها الكشف ليس فقط عن المنطق الكولونيالي في تبرير الغزوات الاستعمارية، بل أيضًا عن جذور الوعي (واللاوعي) الأوروبي حول إفريقيا، ويكشف الكثير من الأبعاد الكامنة في الخطابات السياسية والاقتصادية المعاصرة.

لقد صورت الكتابات الكولونيالية الفولاني على أنهم غزاة وأشرار، واليالونكي كضحايا مستغلين، لكن حينما تحوَّل اليالونكي لمساندة حركة ساموري توري ولعب دور الوساطة في تجارة الأسلحة، تحولوا فجأة في الكتابات الاستعمارية إلى أشرار وقطاع طرق.

بينما أكدت الدراسة أن الفولاني عاشوا في سلام مع اليالونكي، وأن القرن الثامن عشر شهد تغيرًا في الأوضاع أملته الظروف العامة التي مرت بها المنطقة، ولم تكن طبيعته دينية أو عرقية بل اقتصادية وسياسية. ولعل هذا ما وعت به بعض الدراسات فقد أشار البعض إلى أنه "لم ينتشر الإسلام من خلال الجهاد فحسب، بل انتشر أيضًا من خلال الزواج المختلط وتشكيل المدارس القرآنية. على سبيل المثال، تزوج السوسو، الذين اعتنقوا الإسلام، من التيميني وأخذوا أطفال التيميني إلى مدارسهم القرآنية. أصبح أحفاد الزيجات بين السوسو والتيميني المتعلمون مزدهرين من خلال التجارة. ساعد هؤلاء المتحولون الجدد في نشر الإسلام في الشمال. أصبح السوسو أقوى من التيميني ووسعوا أراضيهم (علي، 1990). بالإضافة إلى المدارس القرآنية، كانت هناك أيضًا الجامعة الإسلامية لفودي تراوالي في غبيل، التي أسسها عالم قرآني، فودي تراوالي. بحلول سبعينيات القرن التاسع عشر، كان بالجامعة عدة مئات من الرجال المسجلين، وكان بها أيضًا طالبات"[372].

كما أثارت الدراسة أيضًا ضرورة الوقوف عند الكتابات الاستعمارية ودراستها بشكل عميق لتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التي عملت على زرعها، ولفهم البراديغم الذي أطرها، وهو عمل يتطلب عدة منهجية وبحثية قوية، مع ضرورة إعادة البحث في تاريخ الإثنيات والعرقيات والمجموعات اللغوية في افريقيا، بمعزل عن القراءات السابقة، أو على الأقل وفق أفق نقدي يستحضر كل محركاتها وعواملها، وهو ما من شأنه أن يشكل مفتاحًا أساسيًا لفهم تاريخ المنطقة والعالمين الإسلامي والأوروبي وربما يعيد تصحيح كثير من السرديات التاريخية.

372 - Nishimuko, "Primary Education," 69.

المراجع المعتمدة

- Asiama, Seth Opuni. "Colonialism and the Modern State: Land Tenure Relations in Sierra Leone." Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente 61, no. 2 (June 2006).
- Botte, Roger. "Révolte, Pouvoir, Religion: Les Hubbu du Fūta-Jalon (Guinée)." The Journal of African History 29, no. 3 (1988): 391-413.
- Brooks, George E. "A Provisional Historical Schema for Western Africa Based on Seven Climate Periods (ca. 9000 B.C. to the 19th Century) (Un schéma provisoire de l'histoire de l'Afrique occidentale, fondé sur sept périodes climatiques (de ca. 9000 av. J.-C. au XIXe siècle))." Cahiers d'Études Africaines 26, no. 101/102 (1986): 43-62.
- Chatelain, Constant Adolphe. L'Afrique et l'expansion coloniale. Paris: H. Charles-Lavauzelle, 1901.
- Delafosse, Maurice. Essai de manuel pratique de la langue mandé ou mandingue: étude grammaticale du dialecte dyoula, vocabulaire français-dyoula... étude comparée des principaux dialectes mandé. Paris: E. Leroux, 1901.
- Faidherbe, Louis Léon César. *Notice sur la colonie du Sénégal et sur les pays qui sont en relation avec elle*. Paris: Imprimerie Impériale, 1859.
- Famechon, M. Notice sur la Guinée française. Publiée à l'occasion de l'Exposition Universelle. Conakry: Comité Local de l'Exposition, 1900.
- Henrique-Duluc, Louis, ed. Les colonies françaises: notices illustrées. Vol. 1. Paris: Quantin, 1889-1890.
- Marty, Paul. "La découverte des sources de la Gambie et du Sénégal, Mollien, 1818-1819 : un centenaire colonial." In Société de l'histoire des colonies françaises, 54-98. Paris, 1921.
- Maclaud, Joseph Edme Charles. "Missions aux colonies: Guinée française et Fouta-Djallon." Revue Coloniale. Paris: Hachette, 1899.
- McGowan, Winston. "Fula Resistance to French Expansion into Futa Jallon 1889-1896." The Journal of African History 22, no. 2 (1981): 245-261.
- McGowan, Winston. "The Establishment of Long-Distance Trade between Sierra Leone and Its Hinterland, 1787-1821." The Journal of African History 31, no. 1 (1990)
- Metz, André. "Étude d'une nouvelle voie de communication de la Guinée française vers le Niger." Revue du Génie Militaire. Berger-Levrault, 1 juillet 1896.
- Ministère de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, "Bulletin de Géographie Historique et Descriptive," année 1906, n° 1 (Paris: Imprimerie Nationale, Ernest Leroux, Éditeur),
- Moulin, Alfred. L'Afrique à travers les âges. Paris: P. Ollendorff, 1914.
- Orange, Didier. Hydroclimatologie du Fouta Djalon et Dynamique Actuelle d'un Vieux Paysage Latéritique (Afrique de l'Ouest). Thèse de doctorat, Sciences de la Vie et de la Terre, Institut de Géologie Strasbourg, Université Louis Pasteur de Strasbourg, 1990
- Nishimuko, Mikako. "Primary Education in Sierra Leone and Development Partnership with Britain: Progress Towards Achieving Education for All (EFA)." PhD diss., Institute of Education, University of London, 2013.
- Prost, Claude. Sénégal-Soudan, conférence de garnison faite à Châlons-sur-Marne, le 10 février 1897. Châlons-sur-Marne: Martin frères, 1897.

- Samarin, William J. "The Colonial Heritage of the Central African Republic: A Linguistic Perspective." The International Journal of African Historical Studies 22, no. 4 (1989): 697-711.
- Sierra Leone. 2015 Population and Housing Census National Analytical Report. Freetown: Statistics Sierra Leone, 2015.
- Simond, Charles. Les Français en Afrique au XIXe siècle. Ouvrage orné de 43 cartes et de 247 photographies. Paris: H.-E. Martin, 1901.
- Société de géographie commerciale (France). "Toucouleurs et Diallonkés de Dinguiraye: Note Ethnographiques." Bulletin de la Société de géographie commerciale de Paris, vol. 35. Paris: Société de géographie commerciale, 1913.
- Tauxier, Moeurs et histoire desPeuls, Peuls: 1, Origines; 2, les Peuls de l'Issa-Ber et du Macina; 3, les Peuls du Fouta-Djallon*. Paris: Payot, 1937.
- Tellier, G. Autour de Kita: Étude Soudanaise. Paris et Limoges: Imprimerie et Librairie Henri Charles-Lavauzelle, 1902.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد السابع والعشرون
أيلول – شتنبر 2024
ISSN 2569-734X

Étude de l'évolution de la température dans la région centre-orientale du Maroc (cas du bassin de Guercif) et son lien avec l'activité solaire.

دراسة تطور درجة الحرارة في المنطقة الوسطى الشرقية للمغرب (حالة حوض كرسيف) ومدى ارتباطها بالنشاط الشمسي

Aziz Seghir
chercheur en hydro-climatologie, LAGEA-DD, FLSH-Sais, Fès
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Fès Sais
Département de Géographie B.P 59 Fès Sais
Email : seghiraziz@gmail.com

Résumé :

Cette étude constitue une approche climatique visant à suivre l'évolution de la température dans la région centre-orientale du Maroc et son lien avec les cycles solaires, qui alternent tous les 11 ans entre des cycles froids marqués par une diminution du nombre de taches solaires, et des cycles chauds associés à une augmentation de celles-ci. Ce constat scientifique nous a motive de prendre cette étude afin de déterminer le degré de corrélation entre l'augmentation et la bésse des températures en chaque cycle solaire, en utilisant le coefficient de corrélation. Nous avons uniquement utilisé des statistiques sur les températures moyennes et maximales ainsi que les statistiques du nombre de taches solaires enregistrées depuis 1990. Selon les résultats obtenus, il est apparu clairement que chaque période de forte activité solaire est suivie d'une hausse des températures, avec l'arrivée des vents solaires, et inversement, les cycles solaires faibles correspondent à une baisse des temperatures.

Mots clés : température, activité solaire, cycles solaires, changement climatique, région centre-orientale

ملخص

تعتبر هذه الدراسة بمثابة مقاربه مناخيه لتتبع تطور درجة الحرارة في المنطقة الوسطى الشرقية للمغرب ومدى ارتباطها بالدورات الشمسية التي تتعاقب كل 11 سنة بين دورات باردة تعرف انخفاضا في أعداد البقع الشمسية وأخرى حارة ترتبط بزيادة أعدادها. هذا المعطى كان سببا علميا دفعنا الى خوض هذه الدراسة لمعرفه مدى الارتباط المتواجد بين الزيادة في درجه الحرارة وعلاقتها بكل دوره شمسيه من خلال استخدام معامل الارتباط. وقد اعتمدنا فقط على إحصائيات درجة الحرارة المتوسطة والقصوى ثم إحصائيات عدد البقع الشمسة المحصاة منذ1990، وحسب النتائج التي توصلنا اليها ظهر جليا بأن كل نشاط شمسي مرتفع يعقبه ارتفع في درجة الحرارة مع وصول الرياح الشمسية والعكس صحيح، إذ أن الدورات التي مرت شهدت انخفاضا في درجات الحرارة

الكلمات المفتاح: الحرارة، النشاط الشمسي، الدورات الشمسية، التغيرات المناخية، الجهة الوسطى الشرقية

Introduction :

Le soleil est considéré comme le moteur principal du système climatique de la Terre. Des variations de l'intensité du rayonnement solaire atteignant la terre peuvent entraîner des changements dans le climat mondial et régional. Pendant longtemps, les études concernant l'impact des changements dans l'activité solaire sur le climat terrestre ont été peu nombreuses. Cependant, les études récentes ont montré des corrélations significatives entre les paramètres climatiques et l'activité solaire. Il a été constaté que les températures de la haute troposphère et

de la stratosphère varient avec chaque cycle de l'activité solaire, qui dure entre 10 et 12 ans. Sur une échelle de temps plus longue, il a été observé que la température mondiale, en particulier celle de l'air dans l'hémisphère nord, est étroitement liée aux variations à long terme de l'activité solaire, que ce soit en ce qui concerne les enregistrements modernes des températures de 1860 à 1990 ou les reconstructions des températures datant de 1750.(Eigil Friis-Christensen 1993)

Dans la région orientale du Maroc, en raison de sa position géographique continentale, une augmentation des températures a été observée ces dernières années, dépassant la moyenne habituelle, avec des pics atteignant parfois 48 degrés, aggravant la sécheresse, provoquant des incendies et entraînant une rareté des ressources en eau. Il est donc nécessaire de mener davantage d'enquêtes pour déterminer si la température de la région est sensible à l'activité solaire et aux éruptions solaires, en analysant les coefficients de corrélation pour détecter un lien potentiel entre la répartition des températures dans la région et la dynamique de l'activité solaire.

1 : Matériels et Méthode :

1-1 : l'activité solaire

Le rayonnement solaire est la source directe d'énergie dans le système climatique, et il est généralement utilisé pour évaluer l'impact du Soleil sur le climat en termes de distribution et de durée. Cependant, l'évaluation de ses effets sur le climat dans les rapports de l'organe des Nations unies chargé de l'évaluation objective de la recherche scientifique sur le changement climatique (GIEC) se concentre principalement sur l'échelle mondiale et manque d'une vision du changement climatique regional.

Les variations de l'activité solaires peuvent expliquer l'implication dynamique entre la stratosphère et la troposphère, ainsi qu'entre la stratosphère et la mésosphère, en particulier en ce qui concerne l'échange de chaleur entre les régions tropicales et polaires. Ainsi, toute fluctuation du rayonnement solaire pourrait contribuer à modifier les systèmes météorologiques à différents niveaux. Une étude réalisée par Baldwin MP et Dunkerton TJ (2001) indique que les variations significatives dans la force de la circulation stratosphérique, qui apparaissent d'abord à environ 50 kilomètres d'altitude, descendent vers la partie inférieure de la stratosphère, suivies par des systèmes météorologiques troposphériques inhabituels. Ces événements stratosphériques précèdent les changements dans les distributions probabilistes des valeurs extrêmes de l'Oscillation Arctique (AO), de l'Oscillation de l'Atlantique Nord (NAO), de l'emplacement des trajectoires des tempêtes et de la probabilité d'occurrence des tempêtes dans les latitudes moyennes

Le soleil connaît des variations dans son activité thermique avec l'apparition de ce que l'on appelle les taches solaires (figure n° 1), qui apparaissent sombres à la surface du Soleil. Elles semblent sombres car elles sont plus froides que les autres parties de la surface solaire. Leur température est extrêmement élevée, environ 6500 degrés Fahrenheit (3700 °C) (Don J. Easterbrook 2016). Elles se forment dans des zones où les champs magnétiques sont particulièrement forts. Ces champs magnétiques sont si puissants qu'ils empêchent une partie de la chaleur interne du Soleil d'atteindre la surface. Au cours des dernières décennies, les forces sous-jacentes aux taches solaires ont été mieux comprises. Les 150 dernières années ont été suffisantes pour établir que les taches solaires apparaissent en cycles (figure n°2 et 3), et que le

nombre moyen de taches visibles varie au fil du temps, augmentant et diminuant dans un cycle régulier qui dure entre 9,5 et 11 ans, avec une moyenne d'environ 10,8 ans. (**Don J. Easterbrook 2016**).

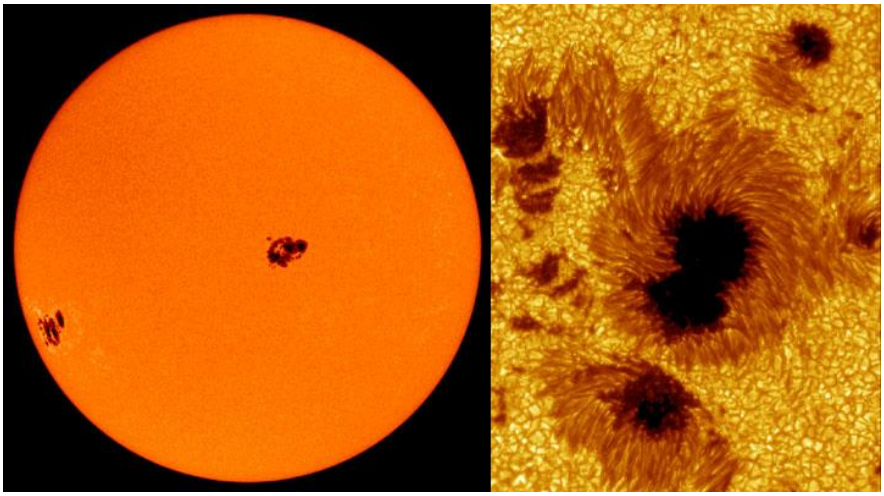

Figure n°1: taches Solaires (*source* SOHO (NASA & ESA)

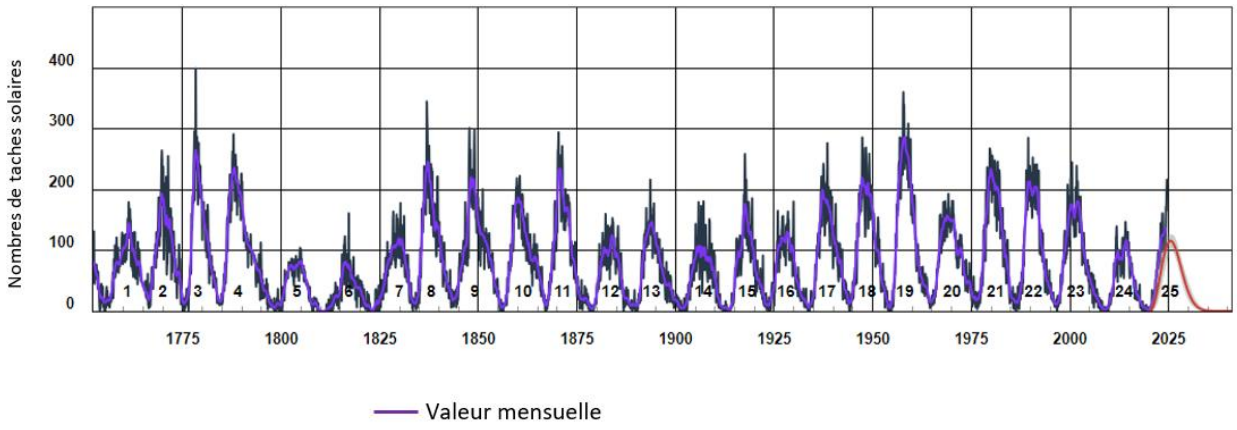

Figure n°2: cycles et nombres des taches solaire

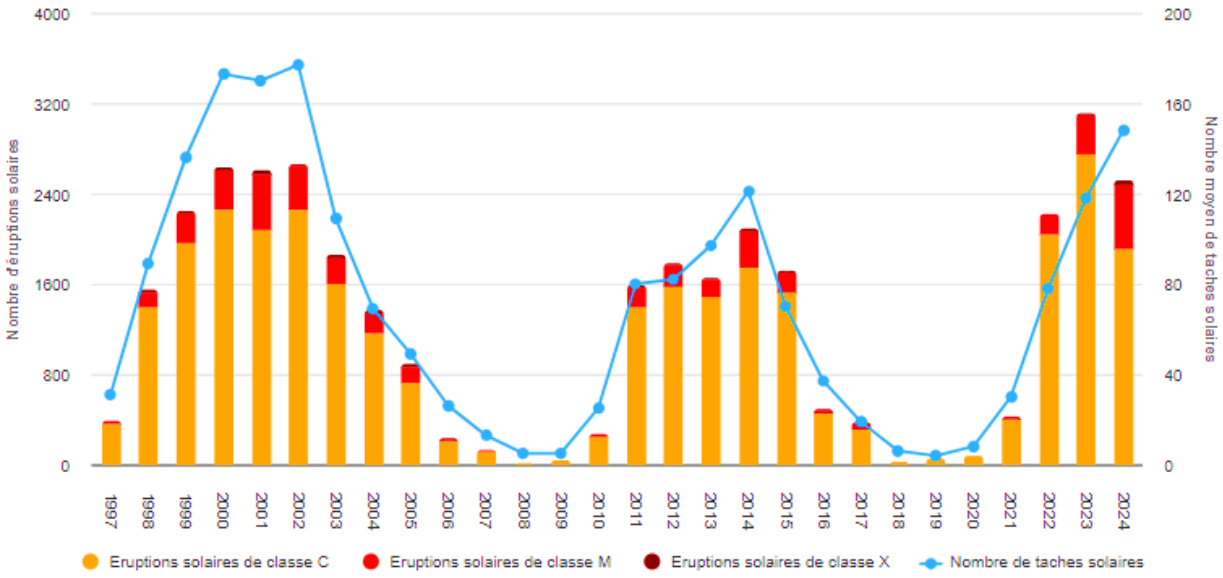

Figure n° 3 progression du cycles solaire et nombres de tache solaires (sources NOAA SWPC)

Le graphique ci-dessus vous indique le nombre d'éruptions solaires de classe C, M et X qui se sont produites au cours du mois passé, ainsi que le nombre de taches solaires pour chaque jour. Cela vous donne une idée de l'activité solaire au cours du mois passé.

Dans cette étude, nous tenterons de suivre l'évolution des températures dans la région étudiée et de les relier à l'évolution de la dynamique de l'activité solaire afin de comprendre dans quelle mesure l'augmentation des températures est liée à l'apparition des taches solaires.

Mais, l'un des plus grands défis est l'absence de données concernant l'insolation dans la région, ainsi que l'absence de stations pour mesurer la pression et l'humidité. C'est pourquoi nous avons eu recours à certains sites qui accordent une grande importance à la collecte de données climatiques pour chaque endroit, tels que Climate engine, Nasa power, spaceweatherlive

1-2: Zone d'étude

La zone d'étude se situe dans la partie centrale du bassin de la Moulouya, dans la région centre-est du Maroc, plus précisément dans la région de Guercif. Elle est encadrée par les montagnes de Beni Snassen au nord, les montagnes du Rif oriental à l'ouest, la chaîne de l'Atlas au sud et les plateaux orientaux à l'est, ce qui lui confère une configuration géographique particulière.

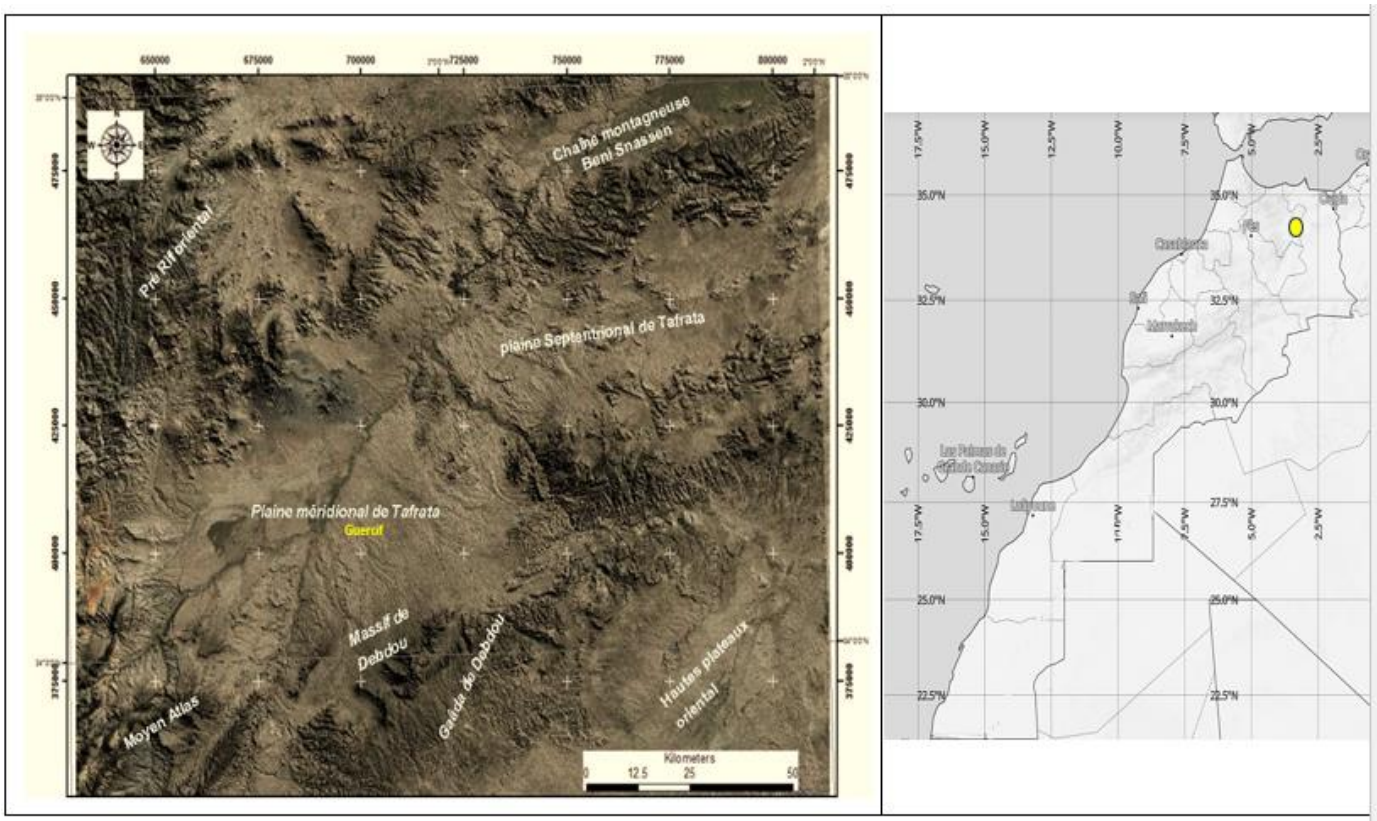

Figure n° 4: Situation et présentation de la zone d'étude

Cette situation géographique empêche l'accès des influences climatiques humides provenant de l'océan Atlantique ou de la mer Méditerranée, rendant son climat plus continental, avec des caractéristiques proches des zones désertiques d'abri à cause de la conformation du relief. Son climat est semi-aride, avec des hivers froids et des étés chauds et secs. Les précipitations moyennes ne dépassent pas 130 mm par an, les températures moyennes annuelles avoisinent les 18.9°C, c'est le cas pour la Station de Guercif (360 m d'altitude) mais aussi pour celle de la station de Tafrata (560 m d'altitude) située plus à l'est. D'une manière générale, les températures moyennes maximales peuvent y atteindre 25.4°C et les minimales 12.8°C (figure n°5). Quant au nombre de jours au cours desquels des gelées sont possibles, ils concernent en moyenne une trentaine de jours par an.

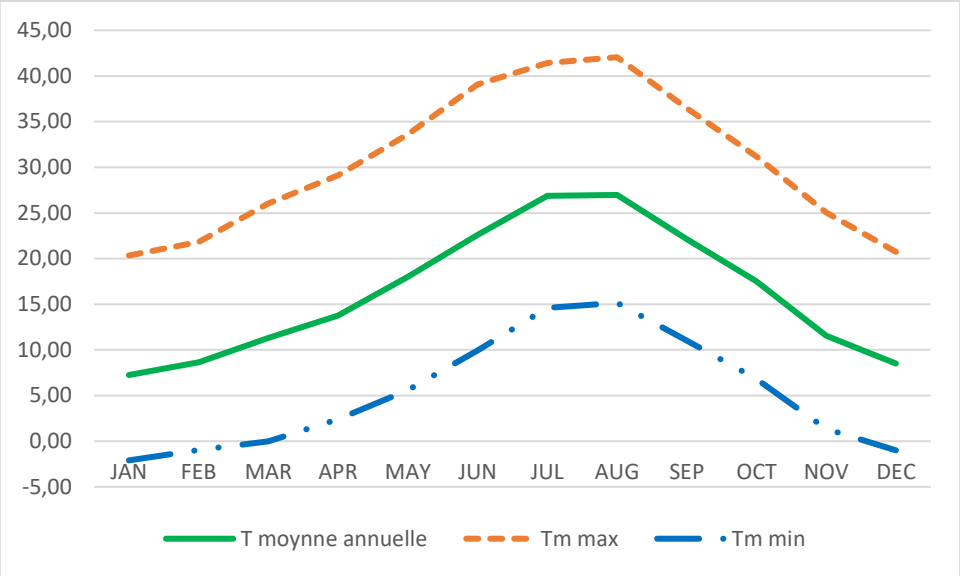

Figure n° 5 : température annuelle, moyenne max et min période (1990-2023)

À l'échelle annuelle, on se rend compte de l'importance des fluctuations thermiques qui permettent tout de même de dégager l'existence des pics de chaleurs assez remarquables. Ces périodes de hausse thermiques sont particulièrement marquées pour toutes les régions aux années : 1988/89, 1996,1997, 2000/01. Nous pouvons avancer en fait que ces trois périodes sont parmi les plus chaudes enregistrées sur notre bassin au cours des 30 dernières années.

2. résultats et discussion

L'augmentation des températures au cours des soixante dernières années peut être expliquée par de nombreuses influences variations de l'activité solaire, mais nous attribuons cette augmentation aux changements de l'activité solaire comme influence principale sur tous les changements météorologiques. Au cours des cent cinquante dernières années, l'augmentation globale de l'activité solaire a probablement contribué à l'élévation des températures mondiales, en particulier durant la première moitié du XXe siècle.

Le suivi de l'évolution des températures minimales et maximales à l'échelle annuelle au cours de la période étudiée, nous a permis de constater une tendance à l'augmentation dès l'année 2000 (figure n°6).

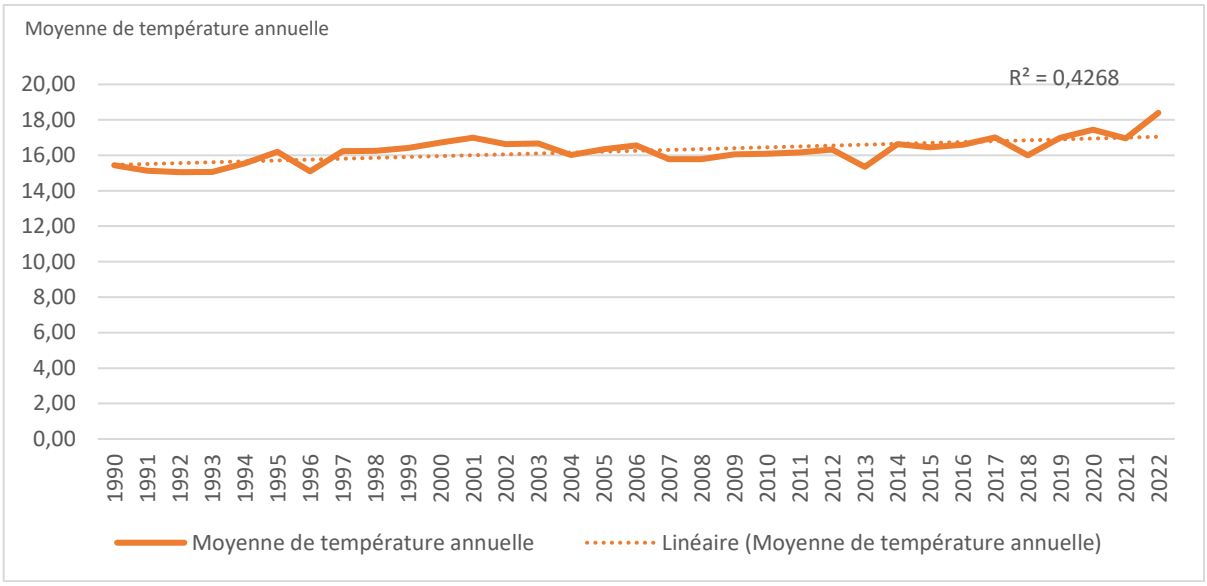

Figure n°6 : température moyenne annuelle

En représentant les valeurs moyennes des températures maximales et en les reliant aux variables de l'activité solaire dans la figure n°7, il apparaît clairement qu'avec l'augmentation du nombre de taches solaires, les températures augmentent également. En revanche, lors des périodes de faible activité solaire, les températures ont tendance à diminuer

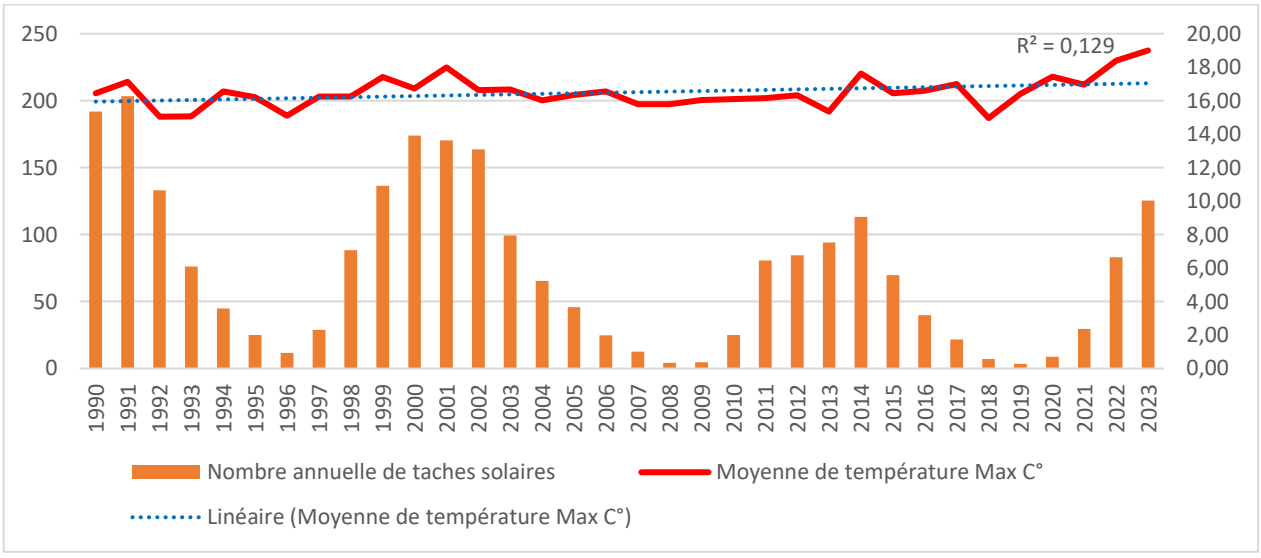

Figure n° 7 : la température moyenne maximale en rapport avec l'activité solaire

La figure n°8 montre le coefficient de corrélation entre la température maximale dans la région et les variations des rayons cosmiques au cours des trois derniers cycles solaires (cycle 22, 23, 24, et début du cycle 25). À partir de cette figure, nous pouvons observer que le nombre de taches solaires et les rayons cosmiques sont approximativement corrélés (coefficient de corrélation de 0,4)

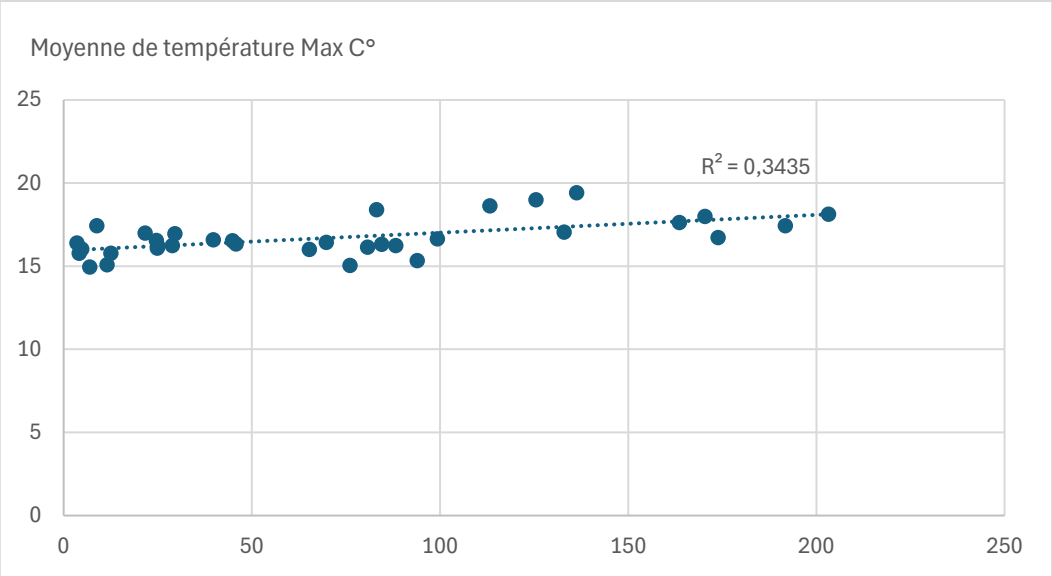

Figure n° 8 : corrélation de la température moyenne des maxmums avec le nombre annuel de tache solaires

Pour mettre en lumière la corrélation entre les périodes d'intense activité solaire accompagnées de fortes éruptions solaires puissants de classe X et M depuis Juin 1991 (https://www.spaceweatherlive.com/), le graphique (figure n°9) suivant montre que les températures maximales réagissent automatiquement à chaque pic d'activité solaire, aussi bien en hiver qu'en été. Par exemple, certaines valeurs maximales en hiver ont atteint 17 degrés C° en janvier 2005, tout comme en décembre 2023, où la température maximale a atteint environ 20 degrés C°, ce qui est inhabituel pour cette région pendant la saison hivernale. La même observation s'applique aux températures maximales en été, qui ont parfois atteint jusqu'à 48 degrés, en particulier ces dernières années.

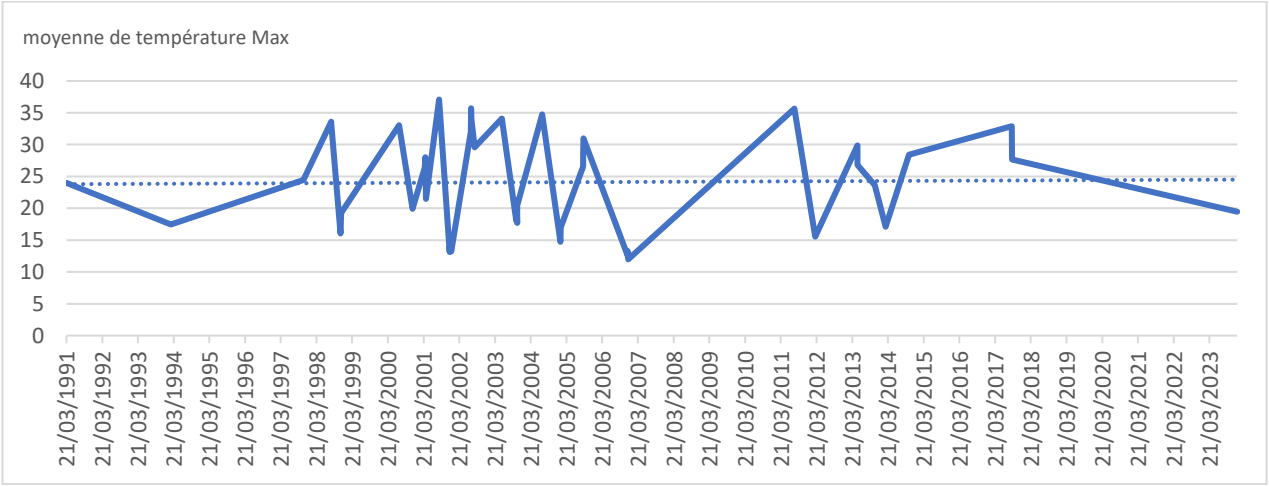

Figure n°9: Corrélation entre la température maximale moyenne et de fortes éruptions solaires puissants de classe X et M depuis 1991

L'augmentation récurrente des températures accompagne souvent les cycles solaires actifs, marqués par l'afflux de vents rapides provenant des trous coronaux et les effets d'un champ magnétique perturbé. Cette situation entraîne la formation d'un anticyclone qui provoque un temps chaud et un couvert nuageux élevé, en raison de l'intensification de la chaleur et de la pression, en particulier pendant l'été.

Dans certains cas, lors d'une forte activité solaire et de l'arrivée des vents solaires sur terre, qui affectent souvent l'hémisphère nord, la température augmente. Cela entraîne la formation de hautes pressions et favorise l'ascension des influences désertiques qui génèrent des vents chauds, connus sous le nom de chergui. Sous l'effet de cette situation, cela se traduit souvent par le déclenchement d'incendies.

Conclusion :

Toute évaluation de la variabilité et du changement climatiques dépend essentiellement de l'existence et de la précision des relevés de paramètres météorologiques. L'une des principales préoccupations de la climatologie contemporaine est d'attribuer des causes, notamment la contribution de la variabilité solaire, aux variations observées de température. Un certain nombre d'approches ont été utilisées et, dans tous les cas, il faut veiller à vérifier la validité statistique des résultats dans le contexte de la variabilité innée (naturelle) des données de température. L'approche la plus simple dans cette approche nous a permettre à calculer la corrélation de la série chronologique de température avec celle d'activité solaire.

En suivant l'évolution des températures dans la région étudiée et leur relation avec l'activité solaire, il a été confirmé qu'il existe effectivement un lien commun entre les variations de température lors de chaque cycle solaire. En effet, dans la plupart des cas, les cycles solaires avec une activité élevée coïncident avec une augmentation de la température et une diminution du taux d'humidité, tandis que les cycles avec une faible activité solaire correspondent à une baisse des températures. Cependant, en raison du manque de données spécifiques sur le climat de la région étudiée, cette étude reste limitée aux informations disponibles. C'est pourquoi nous considérons cette approche comme une étape dans la perspective d'approfondir davantage la recherche sur l'impact de l'activité solaire sur les fluctuations climatiques dans la région orientale du Maroc, non seulement en ce qui concerne la température, mais aussi en ce qui concerne les précipitations, l'humidité et les vents

Références bibliographiques :

- **Baldwin MP, Dunkerton TJ. 2001 :** Stratospheric harbingers of anomalous weather regimes. Science 294: 581, doi: 10.1126/science.1063315
- **Don J. Easterbrook 2016:** Evidence-Based Climate Science: Data Opposing CO2 Emissions as the Primary Source of Global Warming, ScienceDirect, Second Edition 2016
- **Eigil Friis-Christensen 1993**: Solar activity variations and global temperature, sceince direct ;EnergyVolume 18, Issue 12, December 1993, Pages 1273-1284. https://doi.org/10.1016/0360-5442(93)90015-6
- **SOHO (NASA & ESA) and the Royal Swedish Academy of Sciences**

Site web

- https://www.spaceweatherlive.com/
- https://www.sidc.be/SILSO/datafiles
- https://www.climateengine.org/
- https://power.larc.nasa.gov/data-access-viewer/